مجموع آثار سماحة الشيخ

عبدالله بن محمد بن حميد

رحمه الله

١٣٢٩هـ - ١٤٠٢هـ

تفسير آيات من القرآن الكريم

المجلد الثاني



ح رئاسة الشؤون الدينية بالمسجد الحرام والمسجد النبوي ، 1446هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
رئاسة الشؤون الدينية بالمسجد الحرام والمسجد النبوي
مجموع آثار سماحة الشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله
رئاسة الشؤون الدينية بالمسجد الحرام والمسجد النبوي
ط 1 - مكة المكرمة ، 1446 هـ
23 مج ، 475 ص؛ 17×24 سم

رقم الإيداع: 1446/9287
ردمك: 978-603-8506-00-4 (مجموعة)
ردمك: 978-603-8506-02-8 (ج2)

رئاسة الشؤون الدينية بالمسجد الحرام والمسجد النبوي

حرمين
رئاسة الشؤون الدينية بالمسجد الحرام والمسجد النبوي

برنامج إصدارات الحرمين

مجموعُ آثارِ سماحةِ الشَّيخ

عبدالله بن محمد بن حميد

رحمه الله

١٣٢٩هـ - ١٤٠٢هـ

تفسير آيات من القرآن الكريم

المجلَّدُ الثَّاني

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ لله، جعَلَ القرآن ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩]، وأُصلِّي وأُسلِّم على نبيِّنا محمَّدٍ عبدالله ورسوله، الذي أُنزل عليه القرآن، يُحِلُّ حلالَه، ويُحرِّم حرامَه، ويَعملُ بمُحْكَمه، ويؤمنُ بمُتشابِهه، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه؛ الذين ساروا على نَهْجه، واقْتَفَوْا أثَرَه، وتمسَّكوا بهَدْيه، فعزُّوا وسادُوا، وملكُوا وقادُوا، ومن تبعَ هديَهم، ولَزِمَ سُنَّتَهم إلى يوم الدِّين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فهذا تفسير آيات من كتاب الله -تعالى- ، وإيضاح معانيه وهداياته؛ من كلام سماحة العلامة الشيخ: عبدالله بن محمد ابن حميد وشرحه، جُمِع من مجاميع آثاره السمعية والورقية؛ منها ما كان من مقالات نشرها لتصحيح أفكار الناس وتصويبها، ورسائل ومراسلات تواصل بها مع الخاصة والعامة، ووثائق دونها خلال عمله بدوائر حكومية، ونصائح وفتاوى كانت ردوداً على أسئلة الناس بعامة وطلبة العلم بخاصة، وأحكام قضائية للفصل بين متنازعين، ودروس ومحاضرات ألقاها عبر المنابر والمجالس، وشروحه لكتب العقيدة والحديث والفقه؛ في مجموع سمي بـ: "تفسير آيات من القرآن الكريم"، مع الاعتناء بـ:

- ترتيبه حسب ترتيب السور والآيات.

- تخريج الأحاديث والآثار الواردة.

- عزو أقوال المفسرين إلى مصادرها.

- عزو النقولات العلمية إلى مظانها.

- نسبة التفسير والتوجيهات البيانية والهدايات إلى موطن ورودها في مؤلفات سماحة الشيخ: عبدالله ابن حميد رحمه الله.

ونسأل الله -تعالى- أن يجعل هذا العمل من علم سماحته النافع وآثاره التي يصله ثوابها، وينفع بها الإسلام والمسلمين؛ إنه سميع مجيب.

سورة الفاتحة

قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ (الـ) في الحمد هنا لاستغراق المحامد، فاستغرقت جميع المحامد كلها لله، هذا. ولفظة (الـ) تدل على الاستغراق. ومعنى الاستغراق: هو التعميم. أي: أن جميع المحامد كلها له، ومعلوم أن (الـ) تأتي لمعان: تارة لتفيد الحقيقة، مثل: الرجل خير من المرأة. وتارة للجنس، مثل: أهلك الناس الدينار والدرهم. وتارة لاستغراق الأفراد، مثل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، فالحمد صدر من المخلوق والمحمود هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولفظة ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ تضمنت ثلاثة أشياء: حامد -وهو أنت-، ومحمود -وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، وصيغة حمد -وهو قولك: الحمد، وهو ما صدر منك-. ثم الحامد الذي هو أنت قلت: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؛ فمعنى: ﴿إِيَّاكَ﴾ الكاف هنا خطاب لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، و﴿نَعْبُدُ﴾ فعل مضارع، وفاعل المضارع المستتر هو أنت؛ يعني: نعبد نحن، والمعبود هو الله، فكما أن الحمد الدال على استغراق الأفراد صدر منك للمحمود فالعبادة صدرت منك للمعبود بجميع أنواعها، ثم -أيضا- فصل تلك المحامد في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؛ فإن مِن لازم من يستحق الحمد كله أن يكون هو المعبود، فعبادتك له تقتضي عبادته محبة، وخوفا، ورجاء، فهذه هي أركان التوحيد، بالإضافة إلى الائتمار والانتهاء.

فإذا قيل: فمن ربك؟ فقل: ربي الله الذي رباني، وربَّى الخلق جميعا، وهو معبودي، ليس لي معبود سواه، هذا معناه؛ يعني: معناه إذا قيل لك من ربك؟ فقل: ربي الله الذي رباني، بمعنى: خلقني وأوجدني ورباني، وهو معبودي؛ يعني:

هو الذي أنا أعبده ليس لي معبود سواه، والدليل على هذا قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢]، فكل ما سوى الله عالم؛ الدود والذئاب والشجر والحجر والملائكة والسماوات والأرض ومن فيها، كلها عالم، هذه هي العوالم؛ لأنها مخلوقة مقهورة مربوبة لله تعالى.

فإذا قيل لك أيضا: ما معنى الرب؟ تقول: الرب معناه: المالك المعبود المتصرف، هذا معناه، ولفظة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: معناها: المعبود هو الله ما فيه شك؛ لكن الكلام في نفس العابد، ولما أثبت العابد أن الحمد لله بقوله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، لزمه أن يخص الله بالعبادة فيقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

قال تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤]."يعني يوم الجزاء والحساب"[(١)].

قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].

قال رسول الله ﷺ: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ»[(٢)]، أي: اطلب العون من الله، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فالحرص على ما ينفعك عبادة، واستعن بالله معنى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[(٣)].

قال النبي ﷺ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ»[(٤)] وهو

---

(١) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٩/ أ).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: (ح: ٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) **ينظر**:شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٣١/ أ).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه: (ح: ٢٥١٩) وأحمد: (ح: ٢٧٦٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

معنى قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فتقديم المعمول وهو قوله: ﴿إِيَّاكَ﴾، على العامل وهو: ﴿نَعْبُدُ﴾؛ يفيد الحصر، ويعني: لا تصلح العبادة إلا له، كما لا يصلح الاستعانة إلا به، كما أنه لا يجوز لك أن تستعين بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله. فالآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة[(١)].

إيا: ضمير منفصل، مبني على السكون، محله نصب مفعول مقدم لنعبد، والكاف: حرف خطاب. ﴿نَعْبُدُ﴾: فعل مضارع. وتقديم المعمول على عامله في مثل هذا يفيد الحصر، معنى يفيد الحصر. ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يعني: لا نعبد غيرك. ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: لا نستعين ونطلب العون من غيرك[(٢)].

قال تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦].

اهدنا: طلب الهداية التي هي التوفيق، والإرشاد من الله عَزَّ وَجَلَّ[(٣)].

اهد: فعل دعاء، مبني على ما يجزم به مضارعه، وهو حذف الياء، والكسرة قبلها دالة عليها. نا: ضمير متصل، مبني على السكون، محله نصب على المفعولية. ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾: مفعول ثان. ﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: صفة للصراط، منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة[(٤)].

---

(١) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٩/ أ). وفي الفتاوى والدروس في المسجد الحرام: (٧٦)، ذكر أن تقديم المعمول على العامل يفيد الحصر.

(٢) **ينظر**: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (١٢/ أ).

(٣) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب الصلاة من الروض المربع: (١٢/ ب).

(٤) **ينظر**: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه للآجرومية: (١١/ أ).

قال تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٧].

﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ وهم اليهود. ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ وهم النصارى؛ لأن اليهود معهم علم ولكنهم لم يعملوا به، والنصارى لم يكن عندهم علم، بل عبدوا الله على جهل وضلال، فانطبق عليهم قوله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤][١].

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ﴾: بدل من صراط الأول، وهو بدل كل من كل. ﴿صِرَٰطَ﴾: مضاف، ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول، مضاف إليه، مبني على الفتح، محله جر بالمضاف[٢].

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١٦/ ب).

(٢) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (١١/ ب).

سورة البقرة

قال تعالى:: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة:١-٣].

معنى الإيمان بالغيب هو: الإيمان باليوم الآخر، والإيمان بما بعد الموت[(١)]، فهو معنى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾.

فإنه لابد أن تؤمن بما سيقع لك بعد الموت، وذلك أنك إذا مت لا بد أن تكون في قبرك، إما معذبا وإما منعما، فالقبر حفرة من حفر النار، أو روضة من رياض الجنة، على حسب ما قدمته في هذه الدنيا، وتؤمن بسؤال الملكين، وهو أنك إذا وضعت في قبرك جاءك الملكان منكر ونكير، فسألاك عن المسائل الثلاث: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ إن كنت من أهل الخير ومن أهل التقى والصلاح، فإن الله يثبتك ويلقنك الجواب، وإن كنت بعكس ذلك فإنك تقول: لا، أو تقول: هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته، ثم يضرب بمرزبة من حديد لو اجتمع أهل الأرض على أن يقلوها ما استطاعوا، فيصيح صيحة يسمعها كل من خلق الله إلا الجن والإنس، فلو سمعها الإنسان لصعق، لا يستطيع أن يعيش على ظهر هذه الأرض؛ ولكن الله حجب عنا ما كان يلاقيه الموتى في قبورهم، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

---

(١) ينظر: الفتاوى والدروس في المسجد الحرام: (١٠٢).

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة:١١].

معنى الآية، هو أن الله ﷻ ينهى عباده عن الفساد في الأرض، وإن زعموا أنهم مصلحون، فالفساد في الحقيقة، والصلاح في الحقيقة، لا يرجع إلى رأي فلان، أو رأي الرئيس الفلاني، ويقول: أنا أريد الإصلاح، فكم مريد للإصلاح على حد زعمه والواقع أنه مفسد. ولكن الميزان في معرفة الفساد في الأرض، ومعرفة الصلاح في الأرض، هو القرآن، والسنة. فما دل على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، فهو الصلاح، وما خالفهما فهو الفساد. فمن الفساد في الأرض: معصية الله، فإن معصية الله بارتكاب نواهيه، وترك أوامره، هذا هو الفساد في الأرض. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة:١١]. فكل شيء خالف الكتاب، والسنة، فهو في الحقيقة فساد في الأرض، فما في الأرض ولا في السماء، من صلاح إلا وسببه طاعة الله وطاعة رسوله، وما فيهما من فساد، إلا وسببه مخالفة الله ومخالفة رسوله"(١).

قال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة:١٧].

قال الله تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ بنور: جار ومجرور، والباء أفادت التعدية؛ لأن المعنى: أن الله أذهب نورهم، وسلبهم إياه، فعُدِّي الفعل بالباء، فصارت للتعدية(٢).

---

(١) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٦/ ب).

(٢) **ينظر**: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (١/ ب).

قال تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:١٩].

حذر: مفعول لأجله(١).

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١].

فقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ يعني: وحدوا ربكم، أي أفردوه بالعبادة. ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي: أوجدكم من العدم، كما أوجد آباءكم ومن كان قبلكم. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي: تفردونه، وتوحدونه بالعبادة(٢).

قال ابن عباس: كل ما جاء في القرآن بمعنى: اعبدوا، أو اتقوا، فالمراد به وحدوا(٣).

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢].

أخذ يستدل على وحدانيته، وكمال قدرته، بما يشاهدونه من خلقه، قال: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ فالله هو الذي أوجد هذه الأرض، وجعلها على هذه السعة، وأرساها بالجبال، وجعل البحار، وجعل الأنهار

---

(١) **ينظر**: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (١٢/أ).

(٢) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٨/أ).

(٣) **ينظر**: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (ص٩١)، وتفسير البغوي: (١/ ٧١) قاله بتصرف، وأصله: " كُلُّ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْعِبَادَةِ فَمَعْنَاهَا التَّوْحِيدُ".

سارحة من قطر إلى قطر، وما فيها من أشجار، ونباتات، وبحار، كلها تدل على كمال قدرته، وعلى أنه هو الذي أوجدها وكونها بعد العدم. ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ أي: رفعها، وزينها بما خلق فيها من النجوم، والأفلاك، إلى غير ذلك. ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ أي: أنه أنزل الأمطار، فأخرج به من الثمرات، من أشجار، وأعشاب، وفواكه، فإن الأرض واحدة، والماء واحد، ومع هذا تجد النبات مختلفا، هذا مُرٌّ، وهذا حلو، وهذا أصفر، وهذا أخضر، وهذا مرتفع على ساق، وهذا منبسط في الأرض، والمادة واحدة، هي الأرض والماء. فمن الذي كوَّن هذا؟ ومن الذي أوجده؟ ألم يكن الله. ثم قال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ بعدما ذكر المقدمات، أمرك بأن لا تجعل له ندّاً أي مثيلاً، وشبيهاً، ونظيراً، ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه هو الخالق لهذه الأشياء كلها، فهو المستحق للعبادة.

قال ابن كثير في تفسيره على هذه الآية: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أي: أنه هو الخالق لهذه الأشياء، يعني: لا تجعلوا لله أنداداً: أي: أمثالاً، وأشباهاً، ونظراء. ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ تعلمون أنه هو الذي خلقكم، وخلق من كان قبلكم، وتعلمون أنه هو الذي خلق الأرض، وأوجدها، وتعلمون أنه هو الذي خلق هذه السماوات وبناها، وتعلمون أنه هو الذي أنزل هذه الأمطار، وتعلمون أنه هو الذي أنبت هذه النباتات على تنوعها واختلافها، فهو المستحق حينئذ للعبادة.

قال ابن عباس في تفسير هذه الآية[1]: "هو الشرك أخفى من دبيب النمل

(١) ينظر: تفسير ابن كثير: (١/ ١٠٥).

على الصفاة السوداء في ظلمة الليل". يعني: أن الله يحذرنا أن نجعل له نداً، وهذا الند هو: الشريك، فإن الشرك أخفى من دبيب النمل، على الصفاة السوداء، في ظلمة الليل[(١)].

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [البقرة:٤٠].

﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ الرهبة هنا بمعنى الخوف، وإياي فخافون[(٢)].

قال تعالى: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة:٤١].

﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾ أي: إياي وحدون[(٣)].

قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[البقرة:٤٣].

ذكر الإمام القرطبي، وغيره في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ قال: في الآية دليل على وجوب الجماعة، وهو قوله: ﴿اركعوا مع الراكعين﴾[(٤)].

فأمر أولا بإقامة الصلاة وشرعيتها في ذاتها، وختم الآية بالأمر الذي يقتضي الوجوب، وهو قوله: ﴿وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾، فيؤخذ منه وجوب أدائها

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٨/ أ)، وفي (١٥/ ب) أوضح معنى الند فقط.
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٢/ ب).
(٣) ينظر: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (ص٧١).
(٤) ينظر: تفسير القرطبي (١/ ٣٤٨)، تفسير ابن كثير (١/ ٢٤٦).

جماعة في المساجد مع المسلمين، لا في البيوت، حتى وإن كانوا جماعة فلا يجوز؛ لأن في ذلك تعطيلا للمساجد ووظيفتها؛ لأن الصلاة في المساجد من أكبر شعائر الدين وعلاماته التي يجب إظهارها، ويشهد لهذا التفسير قوله ﷺ للأعمى: «هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟» قال: نعم. قال: «فَأَجِبْ»[(١)]. فأمره الرسول ﷺ بوجوب أداء الصلاة مع الجماعة. ولو جاز له فعلها في بيته جماعة لبين له الرسول ﷺ ذلك؛ لأنه قلَّ أن يخلو بيت امرئ من المأمورين بالصلاة، ولأنه ﷺ قد بعث ليبين للناس ما نُزِّل إليهم، كيف وهو ألطفهم، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨][(٢)].

﴿وَأَقِيمُوا﴾ الواو: عاطفة. أقيموا: فعل أمر، (مبني) على ما يجزم به مضارعه، (وهو) حذف النون، (والواو) فاعل. ﴿الصَّلَوٰةَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره. ﴿وَءَاتُوا﴾ الواو: عاطفة. ءاتوا: (فعل أمر)، مبني على ما يجزم به مضارعه، والواو فاعل، و﴿الزَّكَوٰةَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة[(٣)].

قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ أي: أَتباعه على دينه[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: (ح: ٦٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) **ينظر**: الرسائل والمقالات: (٢/ ٩١).

(٣) **ينظر**: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (١٢/ أ).

(٤) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب الصلاة من الروض المربع: (١٠/ أ).

قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠].

﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾ انفجر: فعل ماض، والتاء علامة التأنيث ﴿مِنْهُ﴾: مِن حرف جر، والهاء ضمير مبني على الضم، محله الجر. ﴿ٱثْنَتَا﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الألف، نيابة عن الضمة؛ لأنه ملحق بالمثنى.

﴿عَشْرَةَ﴾: مبني على الفتح، لا محل له من الإعراب؛ لوقوعه موقع نون المثنى. ﴿عَيْنًا﴾: تمييز منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة[(١)].

﴿وَلَا﴾: ناهية. ﴿تَعْثَوْا۟﴾: فعل مضارع، مجزوم بلا، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: في: حرف جر، والأرض: اسم مجرور بفي، وعلامة جره الكسرة الظاهرة في آخره. ﴿مُفْسِدِينَ﴾: حال منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، وصاحب الحال الواو في ﴿تَعْثَوْا۟﴾[(٢)].

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ

---

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٤/أ).
(٢) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (١٣/أ).

﴿وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة:٦١].

﴿وَضُرِبَتْ﴾ ضرب: فعل مبني للمجهول، والتاء للتأنيث.

﴿عَلَيْهِمُ﴾: جار ومجرور، على حرف جر، والضمير مبني على الكسر في محل جر بعلى، والميم علامة الجمع. ﴿ٱلذِّلَّةُ﴾: نائب فاعل، مرفوع وعلامة رفعه الضمة.

﴿وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾: الواو: حرف عطف، والمسكنة: معطوف على الذلة، مرفوعة؛ لأنها معطوفة على مرفوع[(١)].

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١١٥].

يعني: في أي مكان، وأي جهة اتجهت تريد الله ﷻ، متقرباً إليه بالعمل الصالح، فالله -سبحانه- يقبله هذا هو المعنى، مثل: «مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ قِبْلَةٌ»[(٢)]. المعنى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ كله لله، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ أينما تتجه بعملك الصالح، قاصداً به وجه الله، فالله يقبله، ويثيبك، في أي جهة كان، ما دام أن اتجاهك وقصدك بعملك هو وجه الله. ليس المراد: أن وجه الله حالٌّ في كل مكان، لا[(٣)].

---

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٩/ أ).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه: (ح:٣٤٤) وابن ماجه في سننه: (ح:١٠١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٣١/ أ).

قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ﴾ أي: حتى تتبع دينهم[(١)].

ففي هذه الآية من الوعيد الشديد الذي ترجف له القلوب وتنصدع منه الافئدة ما يوجب على أهل الإسلام جميعاً حكاماً ومحكومين مجانبتهم والابتعاد عنهم، وأنهم سيبذلون كل ما في وسعهم حتى يتبع المسلمون ملتهم، ولم تقف عداوتهم عند حد ولم تنته بزمن من الأزمان، بل إن مكايدهم ضد الإسلام والمسلمين قائمة موجودة ما دام هناك إسلام وله أنصار يؤمنون به ورجال يتبعونه ويحكمونه، لقد حاربوا الإسلام وغزوا المسلمين في هذه الأزمنة بأسلحة فتاكة[(٢)].

قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

قال تعالى ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ﴾، ﴿ٱبْتَلَىٰٓ﴾: فعل ماض ﴿إِبْرَٰهِۦمَ﴾ مفعول، ﴿رَبُّهُۥ﴾: فاعل. فلو رفعت (إبراهيمُ) وقلت: (وإذ ابتلى إبراهيمُ ربه) اختل المعنى[(٣)].

---

(١) ينظر: الفتاوى والدروس في المسجد الحرام: (٩١٦).

(٢) ينظر: الرسائل والمقالات: (٢/ ٣٧٠).

(٣) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (١/ أ).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة:١٢٥].

هذا أمر، والأمر يقتضي الوجوب، لكن الإمام ابن جرير يقول: مقام إبراهيم، ليس هو خاصاً بهذا الحجر المحاط عليه الآن، بل مقام إبراهيم كل الحرم. سواء كان المسجد، أو بيتك، كله داخل في مقام إبراهيم. هذا هو اختيار ابن جرير[١]. وأما المعروف في كلام الكثير من أهل العلم فلا، بل هو خاصٌّ بهذا المكان؛ لأن الرسول ﷺ صلى خلفه وتلا قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[٢].

معنى مثابة: أي أنهم كلما خرجوا منه ثابوا، أي: رجعوا إليه لا يشبعون منه ولاسيما الذي يتردد إليه، فإنه إذا جاء وقت العمرة أو جاء وقت الحج يحن إليه كما أن الطفل يحن إلى أمه، فهذا البيت كالمغناطيس لقلوب الرجال، هذا هو

(١) بعد الرجوع إلى كلام ابن جرير الطبري، ظهر أن اختياره مخالف لما ذكره الشيخ؛ حيث قال: "إن أولى الأقوال بالصواب: أنه المقام المعروف بهذا الاسم الذي هو في المسجد الحرام". اهـ. جامع البيان: (٢/٥٢٨). ولعل سبب نقل الشيخ عنه ذلك الاختيار؛ إما سقط حرف الجر -في- من قوله "الذي هو في المسجد الحرام" من النسخة المقروءة عليه، أو-عجلة القارئ بحيث لم يظهر حرف -في- أثناء قراءته. -والله أعلم-.

(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب المناسك من الروض المربع مسموع صدر عن مكتبة الإبانة السمعية بجدة: (٦/أ)، وأيضاً في شرحه لكتاب الصلاة من الروض المربع: (١٧/أ). ذكر رأي ابن جرير فقط.

معنى ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٢٥] أي: أنهم يترددون إليه ولا يشبعون منه بل دائمًا يأتون إليه، لا تجد أن أحداً يشبع منه ويتأخر عنه إذا اعتاد المجيء إليه إلَّا لعذر، ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥] الآية، ومعلوم أن هذه البلاد هي أشرف بقعة على وجه الأرض فإن الله فضَّلها وعظَّمها وجعل لها من المزايا والخصائص ما ليس لغيرها، فقد أقسم بها سبحانه وتعالى في محكم القرآن في موضعين من كتابه، ولم يقسم بأي أرض كانت ولا بأي بلد، لم يُقسم إلَّا بهذه البلاد، قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: ٣] يعني: مكة، حلف بها سبحانه وتعالى، وقال: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البلد: ١] يعني: مكة، ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البلد: ٢].والنبي ﷺ كان واقفاً على ناقته بالحزْوَرة وقال: «وَاللهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَى اللهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ»(١)، فأخبر ﷺ أن هذه البلاد هي أحب البلاد إلى الله، وهي أيضاً أحب البلاد إليه، وقال: «لَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ»، وجاء في حديث المفاضلة بين الصلاة في مكة والصلاة في غيرها: أنَّ الصلاة هنا بمائة ألف صلاة، وهذا خير كبير ونعمة عظيمة أنك إذا صليت ركعتين مع صلاح النية وإخلاص العمل لله تقابل صلاتك مائة ألف صلاة في غيرها وكذلك الفريضة، أي فضل أعظم من هذا الفضل.

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه: (ح: ٣٩٢٦) وابن ماجه: (ح:٣١٠٨) وأحمد: (ح:١٨٧١٨) من حديث عدي بن الحمراء رضي الله عنه.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ أي: عدولاً خياراً وأنهم شهداء على غيرهم من الناس[1].

قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ يعني صلاتكم[2].

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾.

﴿وَمَا﴾ ما: نافية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱللَّهُ﴾: اسم كان؛ لأنها ترفع الاسم، وتنصب الخبر. ﴿لِيُضِيعَ﴾ اللام: لام الجحود، يضيع: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد لام الجحود[3].

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [البقرة:١٦٥].

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ أي: أنهم

---

(١) ينظر: الرسائل والمقالات: (٢/ ٢٥٠).

(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٢/أ).

(٣) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٨/أ).

يرجونهم، ويعظمونهم، كما يعظمون الله. والمحبة نوعان: النوع الأول: ثلاثة أقسام: لا يلام أحد عليها؛ كمحبة الإنسان للطعام عند احتياجه إليه، ومحبته للماء عند احتياجه إليه، فهو يبذل كل رخيص وغالٍ، في تحصيل ما يريد، فإنه يحبه، ولهذا قال النبي ﷺ: (إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، وَحَضَرَ الْعَشَاءُ، فَابْدَءُوا بِالْعَشَاءِ)(١)؛ لأنه يحبه، من شدة الجوع تاقت نفسه إليه، فأمره الرسول بأن يشبع نهمته؛ حتى يأتي الصلاة بخشوع، فهذه المحبة وهي: محبة الإنسان لطعامه وشرابه، لا يلام أحد عليها؛ فإنها محبة طبيعية. المحبة الثانية: محبة الرحمة، والعطف، والحنان؛ كمحبة الإنسان لأطفاله، وأولاده؛ فليس فيها تعظيم. والمحبة الثالثة أيضاً: كمحبة الأنس، والألفة، والإخاء؛ كمحبة الرجل لأقاربه، وأبيه، وإخوانه. كل هذا لا بأس به؛ فإن النبي ﷺ يقول: (حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمُ النِّسَاءُ)(٢)، وكان يحب الحلوى، ويحب العسل. فهذه لا يلام أحد عليها؛ لأن هذه طبيعية، وليس فيها تعظيم.

والنوع الثاني: هي المحبة المقتضية لتعظيم المحب للمحبوب. فهذه لا تجوز إلا لله ﷻ، وهذه المحبة ماذا تستلزم؟ تستلزم: طاعة المحب: يعني طاعة المحب لمن أحب، والخضوع له، والانقياد. هذا من لازمها، وهذه هي العبادة، فمن صرف شيئا منها لغير الله فقد أشرك به؛ لأن هذه المحبة تقتضي طاعة المحبوب، والانقياد له، والخضوع له، وتعظيمه، والذُّلَّ له، والانقياد. هذا من

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده: (ح ٢٦٥٨٩) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.
(٢) أخرجه البيهقي في السنن: (ح:١٣٤٥٤).

لازم المحبة الحقيقية. ولهذا أنزل الله آية للامتحان لمن زعم أنه يحب الله قال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١]. والدعوى المجردة لا تنفع، بل الدعوى لابد لها من علامات، فالله لن يقبل ممن يقول: إني أحب الله، حتى يصرف على هذه الدعوى علامات تؤيد دعواه، وهي متابعة النبي ﷺ، والائتمار بما أمر به النبي ﷺ، والانتهاء عما نهاه عنه النبي ﷺ. أما من زعم أنه يحب الله حباً شديداً، ولكن الواقع خلاف ذلك لم [يأتمر] بأوامر الله، ولم ينته عن نواهي الله، ولم يكن متبعاً لما جاء به رسول الله ﷺ. فقد ادعى ما ليس له[(١)].

قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة:١٦٦].

﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ أي: الوُصَل التي كانت بينهم في الدنيا؛ لأنها لم تكن على أساس، ولم يرد بها وجه الله. قال ابن عباس: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ أي: الوُصَل التي تصل بعضهم ببعض في الدنيا، كانت هم أحوج ما كانوا إليها في الآخرة؛ لأنهم لم يقصدوا بها وجه الله –والله أعلم–[(٢)].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣].

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٢/أ)، ونحوها في الشريط (٤/ب) من نفس المجموعة.

(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٢/ب)، و(١٥/ب) دون ذكر لرواية ابن عباس.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ يعني: فرض عليكم الصيام.

﴿كَمَا كُتِبَ﴾: كما فرض، وبالصوم يسمو الصائم، ويرتفع عن حالة البهيمية التي لا هم لها سوى المأكل والمشرب والمنكح، وتخلص نفسه وتصفو روحه من كل شائبة من ريب وغيره، وبصومه تستيقظ فكرته، ويصفو ذهنه؛ فإن الحكماء والفلاسفة والمخترعين قديما وحديثا عندما يريدون الكتابة في موضوع هام أو تأليف في فن مهم أو اختراع قللوا من الأكل والشرب بحيث تكون بطونهم فارغة من الامتلاء طلبا لصفاء الذهن وإنْماء الفكر وقوة الذاكرة؛ فإن من جاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه؛ وقال لقمان لابنه وهو يعظه: إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرجت الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة ولا ينال الإنسان صفاء القلب، ولا يدرك لذة العبادة وحلاوة المناجاة والتأثر بالذكر والفكر إلا بالجوع.

﴿عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ بيان لتعليل فريضة الصيام بتمام فائدته الكبرى، وحكمته السامية، وهو: أن يؤهل نفس الصائم لتقوى الله عز وجل بترك شهواته الطبيعية المباحة امتثالا لأمره؛ واحتسابا للأجر، مؤهلا بذلك إرادته على ملكه تلك الشهوات المحرمة، والصبر عنها فيسهل اجتنابها عليه، ويقوى حينئذ على القيام بالطاعات والمصالح والاصطبار عليها، ويكون الثبات على تلك الطاعات أمرا متيسرا للعبد؛ فإن إعداد الصيام لنفوس الصائمين للتقوى يظهر من وجوه: أعظمها شأنا، وأعلاها قدرا؛ أنه موكول إلى الصائم نفسه لا رقيب عليه إلا ربه، وسر بين العبد وربه لا يطلع عليه أحد سواه؛

فإذا ترك الإنسان شهواته ولذاته التي تعرض له في سائر الأوقات لمجرد امتثال أمر ربه والخضوع لإرشاد دينه مدة شهر في السنة مع قدرته على تناولها، بل وهو في أشد الشوق إليها؛ يدل على أن تركه لها لما قام بقلبه من اطلاع الله عليه..[(١)]. فجعل التقوى غاية للصوم، والصوم وسيلة لحصول التقوى[(٢)].

قال تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

قوله: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ رد على قوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ فكان في أول الإسلام، الإنسان مخير بين الصوم، والإطعام، وإن كان قادرا. هذا في أول الإسلام. ثم نسخ قوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ فأمر بالصيام بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة:١٨٥]. وبقي حكمها في حق الشيخ الكبير الذي لا يستطيع، والمريض الذي لا يستطيع، لكن كان في أول الإسلام مخيرا: بين الإطعام، وبين الصيام. ثم نسخت بما بعدها ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[(٣)].

قال تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

---

(١) **ينظر**: الرسائل والمقالات: (٣/ ١١٧).

(٢) **ينظر**: نور على الدرب: (٣). والفتاوى والدروس في المسجد الحرام: (٤٧٠).

(٣) **ينظر**: الفتاوى والدروس في المسجد الحرام: (٥٢٩)، ونحو هذا في شرح الشيخ لكتاب الصيام من الروض المربع: (١/ ب).

﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، ﴿وَأَن﴾: أن: حرف مصدر، ونصب. وتصوموا: فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعل. ﴿خَيْرٌ﴾ خبر المبتدأ. أين المبتدأ؟ تقول: أن وما دخلت عليه في تأويل المصدر في محل مبتدأ، تقديره -والله أعلم-: وصومكم خير لكم(١).

قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:١٨٥].

قال تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ عدة شهر رمضان(٢).

قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ أي من طلوع الفجر، إلى غروب الشمس(٣).

قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:١٩٣].

الدين: هو ما شرعه الله لعباده. هذا هو الدين، فإذا قلنا لك: ما هو الدين؟ فقل: هو ما شرعه الله على ألسنة رسله. ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾أي: حتى لا يكون شرك

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٩/ ب).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب الصلاة من الروض المربع: (٢٥/ ب).
(٣) ينظر: الفتاوى والدروس من المسجد الحرام: (٤٧٠)، وشرح المقدمة الآجرومية: (١/ ب).

﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ وآية الأنفال: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:٣٩][١]

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ﴾ الواو: حسب ما قبلها، ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ﴾: فعل أمر، مبني على ما يجزم به المضارع، وهو حذف النون، الواو فاعل. والهاء: ضمير متصل، في محل نصب مفعول به، والميم: علامة الجمع. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر، هذا على رأي البصريين، أما الكوفيين فيقولون: نصب، ﴿لَا تَكُونَ﴾، (﴿لَا﴾: نافية، ﴿تَكُونَ﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد حتى، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة. ﴿فِتْنَةٌ﴾: فاعل، كان هنا ما هي بنافية، تامة يعني: حتى لا توجد فتنه. كان هنا ما هي بناقصة، لا تحتاج إلى خبر[٢].

قال تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [البقرة:١٩٦].

قوله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾[البقرة: ١٩٦].

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (ص٦٢)، وفي شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٣٣/ أ)؛ بين معنى فتنة فقط.

(٢) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٨/ أ).

يجب على متمتعٍ وقارنٍ؛ دم إجماعـًا، فإذا كان المتمتع والقارن عادمًا لثمن الهدي فعليه أن يصوم ثلاثة أيام في الحج - يصوم في اليوم السابع والثامن والتاسع - وهو أفضل، فإن صامها بعد التحلل من العمرة جاز، وإذا لم يصمها في تلك الأيام وجب عليه صوم أيام التشريق: الحادي عشر، والثاني عشر والثالث عشر، وسبعة أيام يصومها إذا رجع إلى أهله، وإن صامها في مكة بعد الحج فلا بأس، بشرط أن لا يكون المتمتع والقارن من حاضري المسجد الحرام؛ لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

فإذا عقد الحاج الإحرام فلا يجوز له أخذ شيء من شعر رأسه أو وجهه وسائر بدنه بلا عذر؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وغيره مقيس عليه(١).

وأضيف (حاضر) إلى (المسجد) إضافة تخصيص، والمسجد المراد به: عموم الحرم، ليس هو المصلى فيه الذي عند الكعبة، بل كل الحرم يسمى مسجداً(٢).

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ يعني: إذا رجعت إلى أهلك، وقيل: إذا رجعت من أعمال الحج، وفرغت منها، تصوم. ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ هذا كله بديل عن دم التمتع(٣).

---

(١) ينظر: الرسائل والمقالات: (١/ ١٦١).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب المناسك من الروض المربع: (٢/ ب).
(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب المناسك من الروض المربع: (٤/ أ).

قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة:١٩٧].

﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ الواو: بحسب ما قبلها، ما: اسم شرط جازم يجزم فعلين. الأول: فعل الشرط، والثاني: جوابه وجزاؤه. ﴿تَفْعَلُوا۟﴾: فعل مضارع مجزوم على أنه فعل الشرط، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعل. ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾: من: حرف جر، وخير: اسم مجرور بمن، وعلامة جره الكسرة الظاهرة. ﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾: يعلم فعل مضارع مجزوم على أنه جواب الشرط، وجزاؤه، وعلامة جزمه السكون، والهاء في ﴿يَعْلَمْهُ﴾ ضمير مبني على الضم محله نصب على المفعولية ﴿ٱللَّهُ﴾ فاعل[(١)].

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة:٢٠٠].

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ﴾: يعني إذا أتممتم مناسككم[(٢)].

والسنة: أن يبقى الحاج بمزدلفة إلى طلوع الفجر، ويصلي الصبح بغلس، ثم يأتي المشعر الحرام فيقف عنده - إن تيسر له-، ويحمد الله ويهلله، ويكبره، ويدعو قائلاً: اللهم كما وقفتنا فيه، وأريتنا إياه، فوفقنا لذكرك كما هديتنا، واغفر

(١) **ينظر**: تصويب الشيخ لطلاب في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٨/ ب).
(٢) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب الصلاة من الروض المربع: (١٨/ أ).

لنا وارحمنا كما وعدتنا بقولك، وقولُك الحق: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ١٩٨ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ١٩٨-١٩٩]، فإذا أسفر جدا سار قبل طلوع الشمس بسكينة ووقار، فإذا بلغ وادي محسر أسرع قدر رمية حجر إن كان ماشيا، وإلا أسرع بسيارته قليلاً إن أمكن[١].

قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦].

﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ﴾، ﴿كُتِبَ﴾: فعل ماض. ﴿عَلَيۡكُمُ﴾: جار ومجرور، على: حرف جر، والكاف: ضمير مبني على الضم، محله الجر. ﴿ٱلۡقِتَالُ﴾: نائب فاعل، مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة[٢].

فالقتال: وإن كان مكروها للنفس بطبيعتها؛ لما فيه من التعرض للقتل والأسر وتشويه البدن وإتلاف المال وتدمير المصانع وتخريب البلاد وإشاعة الرعب والفزع في النفوس، والإخراج من الأوطان.. فقد رتب الله عليه من الأجر والفوز ما لا يخطر على قلب بشر..[٣].

---

(١) ينظر: الرسائل والمقالات: (١/ ١٧٦).

(٢) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٩/ أ).

(٣) ينظر: الرسائل والمقالات: (٢/ ٢٧٨).

قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢١٧].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ﴾ قتال بدل من الشهر، الشهر مشتمل على وقوع القتال فيه، فإنَّ القتلَ وقعَ في هذا الشهر، فهذا الشهر نزل منزلة المشتمل على مجموع ما حصل فيه من القتل(١).

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة:٢٢١].

المؤمنة لا تحل للمشرك؛ حتى يكون من أهل شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله. فالمسلمة لا تباح لغير المسلم(٢).

﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ﴾ عبد: مبتدأ. ﴿مُّؤْمِنٌ﴾ نعت. ﴿خَيْرٌ﴾: خبر مبتدأ، وسوغ الابتداء بالنكرة الوصف(٣).

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (١١/ب).

(٢) ينظر: الرسائل والمقالات: (١/ ٢٠٧).

(٣) ينظر: شرح الشيخ للأجرومية: (٩/ب).

قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢].

الآية تدل على تحريم وطء الحائض بدليل قوله تعالى: ﴿فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة:٢٢٢] أي: في مكان الحيض ومقره، فإذا جاءت المرأة عادتها الشهرية حرم على الرجل مجامعتها، ويجوز له أن يستمتع منها بكل شيء ما عدا الجماع[١].

قوله تعالى: ﴿فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ أي في مكان الحيض ومقره[٢].

قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٦].

لو قلت أنت: والله لا أطؤك سنة، أي: حلفت أنك ما تجامعها سنة، نمهلك أربعة أشهر؛ إذا اشتكت، وبعد أربعة أشهر نلزمك أن تجامعها، فإن أبيت فالقاضي يفسخها منك؛ لأن لها حقاً بكل حال[٣].

قال تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

الرجل إذا تزوج المرأة، فعليه أن يمسكها بالمعروف إن رضيها والتأمت حاله معها، وإلا فيسرحها بإحسان؛ عملا بالآية الكريمة.

---

(١) ينظر: الفتاوى الخاصة: (٣/ ٢٢٧).

(٢) ينظر: الفتاوى والدروس في المسجد الحرام: (٢٠١).

(٣) ينظر: الفتاوى والدروس في المسجد الحرام: (٧٥٨).

قال تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٣٠].

﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ﴾ يعني الطلقة الثالثة[(١)].

قال تعالى: ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [البقرة:٢٣٣].

﴿يُرۡضِعۡنَ﴾: فعل مضارع مبني على السكون؛ لاتصاله بنون النسوة، ونون النسوة فاعل[(٢)].

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [البقرة:٢٣٤].

عدة الوفاة هي أربعة أشهر وعشرٌ، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ﴾ هذا إذا لم تكن حبلى، فإذا كانت حبلى، فعدتها بالوضع؛ لقول الله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ [الطلاق:٤]،

---

(١) ينظر: نور على الدرب، شريط: (٦٧).

(٢) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٣/أ).

فلو مات الزوج البارحة مثلاً، وزوجته حبلى، ووضعت الآن، خرجت من العدة. انتهت عدتها، ولو لم يكن بين وفاة الزوج الأب، والوضع إلا ساعتان، خرجت من العدة[1].

قال تعالى: ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٨].

هي صلاة العصر، قالت عائشة رضي الله عنها لمولى لها أمرته أن يكتب لها نسخة: "إذا وصلت إلى هذه الآية فآذني -يعني فأعلمني-، فلما وصلها أعلمها، قالت: - في قوله تعالى: ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾-: هي صلاة العصر"[2]، وكذلك في الصحيحين في قصة الأحزاب يوم الخندق فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى، صَلَاةِ الْعَصْرِ، مَلَأَ اللهُ أَجْوَافَهُمْ، وَقُبُورَهُمْ نَارًا»[3]، كل هذا يدل على أن صلاة العصر هي الصلاة الوسطى[4].

---

(١) **ينظر**: الفتاوى والدروس في المسجد الحرام: (٧٧٢).

(٢) لم أقف على هذا الحديث عن عائشة رضي الله عنها وإنما روي عن حفصة رضي الله عنها أخرجه البيهقي في السنن الكبرى: ك/ الصلاة، ب/ من قال هي الصبح، ح/ ٢١٧٥، (١/ ٦٧٨)، قال ابن التركماني، له شاهد. والهيثمي في مجمع الزوائد: ك/ التفسير، ب/ قوله تعالى: ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾، ح/ ١٠٨٦٧، (٧/ ٢٤)، وقال رواه أبو يعلى ورجاله ثقات. مجمع الزوائد، ومنبع الفوائد للهيثمي. تحقيق محمد عبدالقادر عطا. أما حديث عائشة رضي الله عنها فلفظه: (وصلاة العصر) أخرجه مسلم في صحيحه من عائشة رضي الله عنها: في ك/ المساجد ومواضع الصلاة، ب/ الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، ح/ ٦٢٩، ص٢١٣.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: (ح:٢٠٦) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب الصلاة من الروض المربع: (٣/ ب).

فالقنوت هنا: هو طول القيام، ودوام الطاعة[1].

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [البقرة:٢٥١].

وقد دفع الله تعالى العذاب عن بعض الناس بسبب بعض، وذلك انتفاع بعمل الغير[2].

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥].

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ﴾ فلا أحد يشفع إلا بعد أن يأذن الله له، والله لا يأذن للشافع أن يشفع، إلا إذا كان المشفوع له من أهل التوحيد، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]، أي لمن رضي الله قوله وعمله[3].

قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦].

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب الصلاة من الروض المربع: (١٥/أ).

(٢) ينظر: الرسائل والمقالات: (١/ ٦٠).

(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٩/أ)، و (١٢/أ)، والتوحيد وبيان العقيدة السلفية النقية، لعبدالله بن محمد ابن حميد: (١٩).

قال المحققون: إن قوله: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ هذا إذا بذلوا لنا الجزية كما في قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩].

وقيل إن ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ منسوخة، نسخت[(١)] لأن سورة براءة هي التي فضحت الكفار بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ [التوبة:٧٣].

وقالوا: إن من تتبع سيرة النبي ﷺ عرف أنه كان يقاتل الكفار[(٢)].

قال تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾، هذا هو حقيقة الإيمان بالله، لا يكون العبد مؤمنا بالله حتى يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله، ومعنى الإيمان بالله: هو الاعتقاد بوجوده بما له من الأسماء والصفات على وجه يليق بجلاله، مع الائتمار بأوامره والانتهاء بنواهيه، وهو حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله.

﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ ما هي العروة الوثقى؟

هي لا إله إلا الله. ومعنى لا إله إلا الله: هو معنى الاستمساك بالعروة الوثقى التي هي لا إله إلا الله؛ أي: أنك تنفي جميع ما يعبد من دون الله، وتثبت العبادة له وحده لا شريك له، فكل عبادة لا تصلح إلا له، فعبادة ما سواه باطلة،

---

(١) هنا قال الشيخ (نسخت بقوله: لأن سورة براءة..) حذفت "بقوله"؛ لأنها سترد بعد ذلك.
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٣٣/ أ).

وحقيقة العبادة التي لا تصلح إلا لله، هي: كل اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

وقيل: معنى العبادة: ما أمر به شرعا من غير اضطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي.

فالعبادة لا مجال للرأي فيها، ولا ما استحسنتها العقول، إنما العبادة تتلقى من النبي ﷺ؛ مثل الدعاء والخوف والاستعانة والاستغاثة والذبح والنذر والإنابة والخشوع والخشية، هذه هي العبادة، إلى غير ذلك من أنواعها، فإنها لا يصلح شيء منها لغير الله، بل كلها لله، كما في كلمة الإخلاص "لا إله إلا الله"، فمن كانت هذه حالته فقد كفر بالطاغوت وآمن بالله، فيكون حينئذ مستمسكا بالعروة الوثقى لا انفصام لها، والله سميع عليم.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٢٦٢].

يعني تتصدق على الفقير، وتحسن إليه، ولا تؤذيه، ولا تتمنن بأنك أعطيته ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٣][1].

قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥]. المعنى، والله أعلم أن مثل من

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٧/أ).

ينفق ماله ابتغاء مرضاته كمثل من يغرس بستانا بأنواع من الأشجار ومختلف الأصناف بمكان عال، فأصابته أمطار غزيرة فأثمر في العام الواحد مرتين، وإذا كان المطر سببا في الإنماء وحصول الرخاء قال الله: إن هذه الجنة؛ أي البستان إذا لم يأتها مطر أصابها الطل القائم مقام المطر في السقي ونمو الثمرة، وهو الذي يقع عادة على الأمكنة المرتفعة مثل الهضاب والروابي العالية، ومثل هذا المنفق في سبيل الله فإنه يجني ثمار هذا الإنفاق جنيا مضاعفا من الثواب والأجر ونمو المال وكثرته، وهذه المضاعفة في الأجر ونمو المال لا تنقطع ما دام الإنفاق حاصلا، كما أن ثمرة البستان تتضاعف وتزيد ما دام السقي موجودا[1].

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [البقرة:٢٦٧].

يعني: وأنفقوا مما أخرجنا لكم من الأرض، بإعادة العامل. أولاً قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ ﴾ يعني: وأنفقوا مما أخرجنا لكم من الأرض، وهو: ما يخرجه الله لنا من هذه الأرض من الزروع، وغيرها. قد تسأل تقول مثلاً: هل النفقة زكاة؟ وإن قال الشارح هنا: النفقة زكاة، فهل له مستند؟ فالنفقة نوع، والزكاة نوع، ﴿ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ ﴾ [الطلاق:٧]. ﴿ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ ﴾ [الطلاق:٦]. نقول: النفقة إذا أطلقت تنصرف إلى نفقة

---

(١) ينظر: الفتاوى الخاصة: (٣/ ١٢٥).

الأقارب، ونفقة الزوجة، كما هو مذكور في كتاب النفقات. والله يقول: ﴿أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ﴾ وأنفقوا ﴿وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ وليس صريحاً في وجوب الزكاة. نقول لك: لا، بل هي زكاة، المراد بالنفقة هنا: هي الزكاة. فإذا قلت ما الدليل على أنها زكاة، قلنا أذكر الآية الأخرى، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ [التوبة:٣٤]. ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ يعني: ولا يزكونها، فدل على جواز إطلاق النفقة على مسمى الزكاة كما هنا(١).

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢٧٥].

﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ أي: من الصرع، والجن. معناه: إذا جاء يوم القيامة تقوم أنت من جنس المصروع، كلما قمت صرعت بسبب أكلك للربا(٢).

قال تعالى: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾، وأطلق، ثم قال: ﴿وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾ أي: يضاعف ثوابها ويبارك فيها ويزيد المال الذي أخرجت منه. يفسر هذا رسول الله ﷺ بقوله: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللهَ

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب الزكاة من الروض المربع: (٣/ أ).

(٢) ينظر: الفتاوى والدروس في المسجد الحرام: (٦٩٤)، في إجابته على سؤالٍ عن المساهمة في البنوك الربوية؛ لذا قال: "تقوم أنت"؛ يقصد به المساهم فيها.

يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ»[(١)]، [(٢)].

قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٧٩].

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾ يعني: تنتهوا، وتتركوا الربا، ﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ إنما جاء هذا في الربا؛ ليدل على عظم الربا، وعظم شأنه، وقبحه[(٣)].

قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

فمعناه: أن الشخصين إذا أخذ أحدهما دينًا من الآخر إلى أجل، لا بأس بذلك، وعليه أن يكتب هذا الدين إلى أجل، ومعلوم أن البيع إلى أجل هو بقيمة أكثر من البيع نقدًا ولا مانع منه، وهذا هو معنى هذه الآية. فينبغي حفظ الدين إلى أجل بكتابته حتى يعرف كل منهما حقه، فإذا حل الأجل، واستطاع أن يوفي وفَّى ما عليه وإلا فتبقى في ذمته دون أن يزيد في الأجل ويزيد في الدَّين فقد قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ والله أعلم[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (ح: ١٤١٠، ٧٤٣٠)، ومسلم في صحيحه: (ح: ١٠١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ينظر :الرسائل والمقالات: (٣/ ١٧٤).

(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٧/ أ).

(٤) ينظر: الفتاوى الخاصة: (٤/ ٢٧٤).

والآية تشمل بعمومها بيعَ السلعة المعينة بثمن إلى أجل مسمى.

وبيعَ السلعة في الذمة إلى أجل مسمى وهو السلم، وقد أخرج الشافعي والحاكم والبيهقي عن ابن عباس أنه قال: "أشهد أن السلف والمضمون إلى أجل مسمى قد أحله الله في كتابه وأذن فيه، ثم قرأ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ﴾"[1]، ودلت الآية الكريمة أن الشهادة متى وجد لها رجلان كان أكمل وأحفظ وأضبط، فإذا لم يكن إلا رجل واحد فلا يقوم مقام الرجل الآخر إلا امرأتان؛ لضعف حفظ المرأة وعدم كمال ضبطها، أو لأن الرجل أقوى عقلا من المرأة كما تدل له الآية وكما يؤيده الواقع ويشهد له الحس، في حين أن كثيرا من الأحكام لا تقبل فيها شهادة النساء كالحدود والقصاص وغيرها، فكيف مع هذا يقال بمساواة النساء بالرجال؟![2].

وفيه دليل: على جواز البيع إلى أجل، ومعلوم أن البيع إلى أجل يزيد في القيمة أكثر من البيع نقدا، وهذا جائز بإجماع أهل العلم، كما حكاه غير واحد كالحافظ ابن حجر وغيره[3].

قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٨٦].

(١) أخرجه الشافعي: (١٣١٤) والحاكم: (٢/ ٢٨٦) والبيهقي: (٦/ ١٨) من طريق سفيان عن أيوب عن قتادة عن أبي حسان الأعرج عن ابن عباس به. وقال الحاكم: "صحيح على شرط الشيخين".

(٢) ينظر: الرسائل والمقالات: (٤/ ٢٨٨).

(٣) ينظر: الفتاوى الخاصة: (٥/ ٤٧).

﴿لَا﴾: دعائية؛ لأنا ندعوا الله. ﴿تؤاخذ﴾ فعل مضارع مجزوم بلا الدعائية، وعلامة جزمه السكون[1].

(١) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٨/أ).

سورة آل عمران

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران:٧].

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾: يعني شك، ومرض. واختلف المفسرون هل تقف عند ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾؟. ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ مبتدأ، ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾، أنهم لا يعلمونه. أو أن الوقوف عند ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ يعني: أن الراسخين يعلمون تأويله أيضـًا، ومع هذا يقولون: آمنا به كل من عند ربنا[١].

وقد صح عن رسول الله ﷺ في حديث عائشة أنه قال: «فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ»[٢]. يعني: أن في قلوبهم زيغا[٣].

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران:٨].

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٧/ ب).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: (ح:٤٥٤٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) ينظر: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (ص٤١).

﴿لَا﴾: دعائية، ﴿تُزِغْ﴾: فعل مضارع، مجزوم بلا الدعائية، وعلامة جزمة السكون.

قلوب: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والضمير: مضاف إليه، مبني على السكون، في محل جر بالمضاف.

أين فاعل تزغ؟ مستتر وجوباً تقديره أنت[1].

قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨] ما هناك شيء أفضل من العلم لمن صلحت نيته، وصحت سريرته وقصد بتعلمه وجه الله -تعالى- والدار الآخرة، لا يمكن أن شيئا يوازي العلم أبدا، فالعلم لو لم يكن في فضله إلا أن الله سبحانه وتعالى قرن شهادة العلماء مع شهادته، وشهادة ملائكته على أجلِّ مشهود به؛ وهو التوحيد، أي فضل أعظم من هذا الفضل، ولم يقل شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة والملوك والتجار والأغنياء، بل قال: وأولوا العلم، لو لم يرد في فضلهم إلا هذا، وهو أن شهادتهم قرنها مع شهادته وشهادة ملائكته على أجلِّ مشهود به وأعظمه وهو التوحيد؛ لكان ذلك كافيا[2].

قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران:٣٦]: أي أن المرأة لا تساوي الرجل في القوة والجلد وتحمل المشاق في الخدمة وغيرها من الأعمال، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء:٣٤]، فالمعنى أن الرجل قيم على المرأة، فهو

---

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٨/أ).

(٢) ينظر: الدروس والمحاضرات: (١/٧).

رئيسها، وكبيرها والحاكم عليها، ومؤدبها، إذا اعوجت بما فضل الله بعضهم على بعض؛ لأن الرجال أفضل من النساء، والرجل خير من المرأة، وتفضيل الرجال على النساء من وجوه متعددة: من كون الولاية مختصة بالرجال والنبوة والرسالة، واختصاصهم بكثير من العبادات، كالجهاد والأعياد والجمع، وبما خصهم الله به من العقل والرزانة والصبر والجلد الذي ليس للنساء مثله، وكذلك خصهم بالنفقات على الزوجات إلى غير ذلك، ويقول ﷻ ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة:٢٢٨] قال العلماء -رحمهم الله- على هذه الآية الكريمة للرجال عليهن درجة في الفضيلة في الخَلق والخُلق والمنزلة وطاعة الأمر والإنفاق والقيام بالمصالح والفضل في الدنيا والآخرة، وقد ثبت في السنة عنه ﷺ أنه قال: «**لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً**»(١) فهذا يدل على أن المرأة لا ينبغي أن تتولى القيادة العامة ولا الملك ولا الرئاسة؛ لأن النبي ﷺ نفى الفلاح عمن جعل الأمر إليها، وكيف تساوي الرجل وهي بهذه المثابة، وثبت عنه ﷺ أنه قال في خطبة حجة الوداع المشهورة: «**اتَّقُوا اللهَ ﷻ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٌ**»(٢) أي: أسيرات.

قال تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (ح: ٤٤٢٥) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: (ح: ٢١٠٢٦) وابن ماجه في سننه: (ح: ١٨٥١) من حديث حنيفة الرقاشي رضي الله عنه.

بتأملك للآية، يتضح لك: أن أعمال الحج لله، وأنه لا طمع لعقلك في إدراكها، وأن على عقلك: الامتثال، والانتهاء، والإذعان؛ لما أمر الله به وأوجبه عليك. وأنك متى خالفت ذلك، وحكمت عقلك ضللت، قال: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾. ولم يقل: ومن لم يحج. ثم قال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ جميعًا، ولم يقل غني عمن لم يحج؛ لأنه حق لله تعبدي(١).

ومعنى السبيل هنا: الزاد، والراحلة. ففي وقتنا هذا: الزاد، وأجرة السيارة: ذهابًا، وإيابًا(٢).

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ﴾ [آل عمران:٩٧].

﴿وَلِلَّهِ﴾: لله جار ومجرور، اللام: حرف جر، ولفظ الجلالة: اسم مجرور باللام، وعلامة جره كسر الهاء تأدبًا. ﴿عَلَى﴾: حرف جر. ﴿ٱلنَّاسِ﴾: اسم مجرور، وعلامة جره الكسرة الظاهرة في آخره. ﴿حِجُّ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة في آخره. (وخبره، الجار والمجرور قبله). ﴿حِجُّ﴾: مضاف. ﴿ٱلْبَيْتِ﴾: مضاف إليه، (مجرور بالمضاف)، وعلامة جره، الكسرة الظاهرة على آخره. ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ﴾: من: اسم موصول، مبني على السكون، محله جر بدل من الناس، بدل بعض من كل(٣).

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب المناسك من الروض المربع: (١/ أ).

(٢) ينظر: الفتاوى والدروس في المسجد الحرام: (٥٦٣)، وشرح الشيخ لكتاب المناسك: (١/ ب).

(٣) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه على المقدمة الآجرومية: (١١/ ب).

الحج هو أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام التي لا يتم إسلام المرء إلا به، وبه ختام الأمر وكمال الدين وإتمام النعمة قال بعض العلماء: قد اشتمل الأمر بالحج في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران: ٩٧] على أنواع كثيرة من التأكيدات:

أحدها قوله ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران:٩٧] فلكونه سبحانه إلها ألزم عبيده هذه الطاعة فيجب الانقياد سواء عرفوا وجه الحكمة فيها أم لم يعرفوا.

وثانيها: أنه ذكر الناس ثم أبدل منه ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران:٩٧] وفيه ضربان من التأكيد: أما الأول فلأن الإبدال تثنية للمراد وتكرير؛ وذلك يدل على شدة العناية، وأما ثانيا فلأنه أجمل أولا وفصل ثانيا؛ وذلك يدل على شدة الاهتمام.

وثالثها: أنه سبحانه عبر عن هذا الوجوب بعبارتين أحدهما لام الملك في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ﴾ [آل عمران:٩٧] وثانيهما كلمة (على) وهي للوجوب في قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:٩٧].

رابعها: أن ظاهر اللفظ يقتضي إيجابه على كل إنسان يستطيعه وتعميم التكليف يدل على شدة الاهتمام.

وخامسها: أنه قال: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ [آل عمران:٩٧] فكأنه قال: ومن لم يحج. وهذا تغليظ شديد في حق تارك الحج.

وسادسها: ذكر الاستغناء؛ وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان.

وسابعها: قوله: ﴿عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧] ولم يقل عنه؛ لأن المستغني عن كل العالمين أولى أن يكون مستغنيا عن ذلك الإنسان الواحد وعن طاعته، فكان ذلك أدل على السخط.

وثامنها: أن في أول الآية قال الله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:٩٧]؛ فبين أن هذا الإيجاب كان لمجرد عزة الإلهية وكبرياء الربوبية، لا لجر نفع ولا لدفع ضر، ثم أكد هذا في آخر الآية بقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧][١].

قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فأنت ترى الآية المذكورة أولا، صريحة بالأمر للمسلمين أن تكون منهم أمة تدعو الناس إلى الخير، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؛ والأمر متقرر عند الأصوليين؛ أنه يقتضي الوجوب ما لم يصرفه صارف؛ ولم يوجد في هذا الأمر ما يصرفه، بل وجد ما يؤكده، فتعين وجوبه[٢].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٢ - ١٠٣] هذا أمر من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين بالتقوى والاعتصام بحبله والنهي عن التفرق، فإن حقيقة

---

(١) ينظر: الرسائل والمقالات: (٣/ ٢٢٧).

(٢) ينظر: الرسائل والمقالات: ٤/ (٤/ ٢٤٥).

التقوى طاعة الله في أوامره والوقوف عند حدود الشريعة ليفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة. هذا شرع الله الحق وأمره العدل لمن سلف ومن خلف، وأمر تَبَارَكَ وَتَعَالَى بالاعتصام بحبله، بذلك يقوى جانبهم، وتزداد قوتهم، فمن نظر في أحوال الشعوب ماضيها وحاضرها وخاض في تواريخ الأجيال الماضية ولم يكن مصابا بمرض القلب وعمى البصيرة أدرك سر أمر الله في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ فإن التعاون والاجتماع واصطحاب الألفة سبب للقوة والمنعة، وقد يصير الكل بمنزلة رماح محاطة بحبل، فلم يتمكن أحد منها مهما بلغت قوته أن يكسرها، وحالة الأمة إنما تصلح وتستقيم إذا احترم صغارها كبارها، وعطف كبارها على صغارها(١).

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] ففي هذه الآية تنبيه على شرف هذه الأمة وفضلها متى اتصفت بهذه الصفات السامية: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله(٢)، وهي دالة على أن هذه الأمة خير الأمم، وهذه الخيرية إنما حصلت لها بهذا الوصف، وهو: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(٣).

قال تعالى ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠]. هذا وعد الله لعباده المؤمنين، ولن يخلف الله وعده(٤).

---

(١) ينظر: الرسائل والمقالات: (٤/ ٣٥٤).
(٢) ينظر: الرسائل والمقالات: (٢/ ٢٥٢).
(٣) ينظر: الرسائل والمقالات: (٤/ ٢٤٥).
(٤) ينظر: الرسائل والمقالات: (٤/ ٣٨٢).

قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٢٨].

لما شج ﷺ وكسرت رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ»(١)، أنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾. وكذلك جاء في البخاري فإنه ﷺ لما رفع رأسه من صلاة الفجر في الركعة الأخيرة من صلاة الفجر بعدما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو عَلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، وَالحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَزَلَتْ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾»(٢). فهؤلاء الذين لعنهم الرسول أسلموا، وتابوا، وحسن إسلامهم(٣).

معنى ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾: الأمور بيد الله، امض بشأنك ودعوتك، وادعهم إلى التوحيد، وعبادة الله وحده لا شريك له(٤).

قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: (ح: ١٧٩١) من حديث أنس رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: (ح: ٤٠٧٠) من حديث سالم بن عبدالله.
(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٩/أ). وأيضاً (١٠/ب)، و (٣١/ب)، وفي الفتاوى والدروس في المسجد الحرام. ذكر السبب في غزوة أحد.
(٤) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١٠/ب).

أمر باستصحاب الطمأنينة وسكون الجوارح وطرد الأوهام والتخلص من الوهن والحزن..[1]

قال تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران:١٤٠].

أشار القرآن إلى الحقيقة المعروفة وهي أن الحرب دواليك، يوم لك، ويوم عليك[2].

قال تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران:١٥٣].

﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ﴾ أي: بعد غم[3].

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ

---

(١) ينظر: الرسائل والمقالات: (٢/ ٢٩٠).

(٢) ينظر: الدعوة إلى الجهاد في القرآن والسنة: (٢٧).

(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٣١/أ).

مَضَاجِعِهِمْۖ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِۖ﴾ إضافة الظن إلى الجاهلية: إضافة ذم وعيب. وأن من أساء الظن بالله، وأساء الظن بما قدر الله على عباده وكَوَّن، فقد ظن بالله ظن الجاهلية. ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍۗ﴾ وذلك لمّا حصل على المسلمين يوم أحد ما حصل، فكانت الهزيمة أولاً على المشركين، فانتصر المسلمون. ولما انتصر المسلمون، وانهزم مشركو قريش، وأتباعهم، جاء الرماة الذين قال لهم الرسول ﷺ أن اثبتوا مكانكم مبادرين لأخذ الغنيمة، فبقي مكانُهم لم يكن به أحد، فعطف المشركون من جهة الرماة حتى حصل على المسلمين ما حصل، وقتل من قتل من المسلمين. فالمنافقون ظنوا أنها لا تقوم دائرة للمسلمين، وأن الإسلام قد انتهى وزالت خضُراءه وباد نهائياً، ولن تقوم له بعد هذا قائمة، هذا ظنهم. ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍۗ﴾ يعني: لو كُنّا على حق، أو أن محمداً على حق، لم يحصل عليه ما حصل من قتل أصحابه، وظهور المشركين عليهم. لكن هذا يدل على أنه ليس على حق. ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ﴾ فالله ﷻ له الحكمة البالغة، والتقدير التام، فالله هو الذي قدر ذلك، ما هي الحكمة في كون المشركين ظهروا على المسلمين، وقتل من قتل من المسلمين، ما هي الحكمة؟ الحكمة أمران: -فيما يظهر- وإن كان هناك حكم كثيرة قد تكون خافية: لكن الأمر الأول: لما تعلق الناس بالرسول ﷺ، وظنوا أنه عنده

شيء من النصر، أعلمهم الله بأن محمداً ليس بيده شيء، ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨]، الأمر بيد الله ﷻ، دل على أن الأمر كله لله لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل.

ويؤدي إلى تعلق القلوب بالله، لا إلى محمد، ولا غيره. ألا ترى ما جاء في الصحيح يوم أحد، كسرت رباعيته ﷺ، وشج رأسه، دخل المغفر في هامته، فجعل الدم يسيل من وجهه، وجاء مالك بن سنان، والد أبي سعيد، فاقتلع حلقة المغفر بأسنانه من رأس الرسول، حتى سقطت أسنانه، ودخل شيء من الدم في فم مالك بن سنان فابتلعه، فقال الرسول: (لن تمسك النار). وجعل يقول وهو يمسح الدم عن وجهه: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ؟»، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾[1]، وما ذاك، إلا لأجل أن القلوب تنصرف إلى الله وتتعلق بالله، وأن لا يبقى بالقلب أي تعلق لا بالرسول، ولا بغيره.

هذه من الحكم التي حصلت يوم أحد.

الحكمة الثانية: هي ما ذكرها الله في قوله: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾ [آل عمران:١٦٥]. من أين أتتنا هذه المصيبة. ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾[آل عمران:١٥٤] ما جاءكم البلاء، والهزيمة إلا من قبل عملكم، وهو: أنهم خالفوا أمر نبيهم، وتركوا الثغر الذي جعل الرسول فيه نحو

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: (ح: ١٧٩١) من حديث أنس رضي الله عنه.

سبعين مقاتلاً من أفاضل الصحابة، وهم الرماة. وجاءوا مبادرين إلى الغنيمة، حتى حصلت الفجوة فجاء المشركون من قبلهم ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾.

ثانياً: فيه الرد على القدرية الذين يقولون: إن الله لم يعلم بالأشياء إلا بعد وقوعها، فالرب غير عالم بما سيقع على المسلمين، وهذا خارج عن قدرته. وهم القدرية الذين يقولون إن الأمر أنف، ومعنى أنف أي: جديد. ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ أي: المنافقون: ﴿يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾، ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ فمن قدر الله أن يقتل، لا بد أن يخرج ويقتل في كل حال، أمر محكم، وقضاء مدبر، لا رادَّ لما قضى، ولا معقب لحكمه. ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أي: أن الواقعة حصلت على المسلمين بقتل من قتل، من أجل -أيضاً- ابتلاء ما في الصدر، فالصدر يكون فيه شيء من الشر، وشيء من الشبهة، وشيء من دغل الشيطان، وشيء من الإيمان الخالص، فكأن القلب فيه عمل صالح، وفيه عمل آخر مناف للصالح، لكنك تستعين عليه بالإيمان بالله، وتجاهد هذا العمل السيء بأن تطرده من قلبك، فالله قدر هذه المصيبة لأجل استخراج ما في قلبك من الدغل، ولأجل أن يسلم القلب كله لله، وليعلم أن الله هو الذي ينفع ويضر، وهو الذي ينصر، وهو الذي يؤيد، وهو الذي يخذل، وهو الذي يتصرف في خلقه، بما تقضيه حكمته وإرادته ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ ثم قال: ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أي: يخلصها، ويصفي القلب من شوائب الشكوك، ومن الجذور التي

تنقص كمال التوحيد، أو تقدح في التوحيد، حتى يكون القلب أبيض ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ والله أعلم[(١)].

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩].

يقول الرب -تبارك وتعالى- في حق سيد المرسلين: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ أي: لو كنت خشناً، جافياً في معاملتهم؛ لتفرقوا عنك، ونفروا منك، ولم يسكنوا إليك، ولم يتم أمرك من هدايتهم وإرشادهم إلى الصراط السوي[(٢)].

قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩] ومع كمال عقل الرسول ﷺ وتأييده بالوحي فقد أمره الله بالمشورة ولتقتدي به أمته من بعده[(٣)].

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران:١٦١]. نهى الله عن غلول الغنائم وحذر المسلمين منه غاية التحذير.. وأنه يأتي بما غل حاملا له على ظهره ورقبته معذبا بحمله وثقله مرعوبا بصوته موبخا بخيانته على رؤوس الأشهاد[(٤)].

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٣١/ب)، وأيضاً: (٣١/أ).

(٢) مقال بعنوان: أسلوب الدعوة وما يجب أن يكون عليه الداعي، لعبدالله بن محمد بن حميد، مجلة البحوث الإسلامية، العدد الأول: (٤٢٠).

(٣) ينظر: الرسائل والمقالات: (٢/ ٢٧).

(٤) ينظر: الرسائل والمقالات: (٢/ ٦٤).

قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران:١٦٥].

﴿قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾ يعني: من أين أتتنا هذه المصيبة؟ قال الله: ﴿مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾ يعني: بسبب عملكم، وهو أنهم خالفوا النبي ﷺ[1].

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران:١٦٨].

﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ﴾ لم يخرجوا مع الرسول، ﴿لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ﴾، رد عليهم الرب بقوله: ﴿قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ أي: ادفعوا عن أنفسكم الموت إذا جاءكم، هذه آجالهم التي ضربها الله، بها تنتهي حياتهم، وأن تكون على هذه الكيفية، وفي الجهاد في سبيل الله، المحق منهم والمخلص يجازى، والعكس بالعكس[2].

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

يعني: كافينا الله، ونعم الموكول إليه أمور عباده، وهو الذي يديرها، وهو المفوض إليه كل شيء، لا إلى ملك مقرب، ولا إلى نبي مرسل[3].

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٤/ أ).

(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٣١/ أ).

(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٥/ أ)، وأيضاً: (٢٣/ ب).

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

خوف السر: وهذا عبادة، فصرف الخوف الذي هو خوف السر، شرك أكبر ينافي التوحيد بالكلية، ومعنى خوف السر: هو أنك تخاف من هذا الميت، هذا الصالح مثلاً، أو هذا النبي، أو هذا الملك، أو هذه الشجرة، أنها تسول لك، أو أنها توقع بك ضرراً، أو أنها تفعل بك مكروهاً، أو بأولادك، فهذا هو خوف السر، إذا صرفت لها شيء من العبادة؛ لأن خوف السر لا يصلح إلا لله، وقد مدح الله الملائكة المقربين بخوفهم منه كما في قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل:٥٠]، وقال: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة:٤٠]، والرهبة هنا: بمعنى الخوف، وإياي فخافون. وكذلك قوله في مدح المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون:٥٧]، يعني: خائفون وجلون ذليلون لله ﷻ، لا يخافون إلا الله. هذا هو خوف السر، بخلاف ما عليه عباد القبور، الذين افتتنت قلوبهم بالتعلق بهم، فإنك لو طلبت منه أن يحلف بالله، لحلف الأيمان العديدة. ولو قلت احلف بابن عباس، أو احلف بالدسوقي، أو احلف بأحمد البدوي، توقف. ولو كان فيها قطع رقبته، معظماً هذا الميت المدفون تعظيماً أعظم من تعظيم الله. هذا هو خوف السر، وهذا هو الشرك الأكبر، المنافي للتوحيد بالكلية.

النوع الثاني أيضاً: الخوف من إنكار المنكر، تخشى ممن له سلطة، أن يوقع بك شيئاً، أو يقطع لك شيئاً، فهذا معنى قوله: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ يعني: يخوفكم بأوليائه، وهو أنه يعظمهم في صدوركم، فتقول مثلاً:

لو أمرتُ، أو نهيتُ –عظَّم في قلبك هذا الظالم- تخشى منه، هيبة له، وتعظيماً، وإجلالاً، وإن كنت تبغض هذا الشيء، فلا ينبغي، فهذا شأن الشيطان، يعظم جماعته، وأولياءه في قلبك حتى لا تأمر بمعروف، ولا تنكر منكراً، ولهذا جاء في الحديث: «**مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رضي الله عنه، وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ**»[1]. ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ أي: يعظمهم في صدوركم، حتى تتقاعسوا عن الأمر والنهي؛ معظمين لأولياء الشيطان، وحزبه، وجنده. فهذا لا ينبغي، بل على الإنسان أن يأمر، وينهى، ويبين الحق. مهما كانت الحالة، والله إذا علم منه صلاح النية، فإنه يؤيده وينصره. ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ أي: يخوفونكم بأوليائه، حتى لا تأمروا، وحتى لا تنهوا. ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ فقوله: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ تقديم المعمول وهو جواب الشرط (إن) على مذهب الكوفيين. تقديم المعمول على عامله؛ يفيد الحصر. فدل أن الإيمان ينتفي إذا انتفى الخوف من الله، ينتفي الإيمان بانتفاء الخوف من الله، كما في هذه الآية[2].

قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٧٩].

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه: (ح: ٢٤١٤) والطبراني في الكبير: (ح: ١٣٨٤٢) وابن حبان في صحيحه: (ح: ٢٧٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٢/ ب).

﴿وَ﴾ الواو: بحسب ما قبلها، ﴿مَا﴾: نافية ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، ترفع الاسم، وتنصب الخبر. ﴿اللَّهُ﴾: لفظ الجلالة، اسم كان، مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة. ﴿لِيُطْلِعَكُمْ﴾ اللام: لام الجحود. ويطلع: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد لام الجحود، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، والكاف: ضمير متصل، مبني على الضم، في محل نصب مفعول به. والميم: علامة الجمع. ﴿عَلَى الْغَيْبِ﴾: (عَلَى) حرف جر ﴿الْغَيْبِ﴾: اسم مجرور بعلى، وعلامة جره الكسرة الظاهرة. أين خبر كان؟ خبر كان ﴿لِيُطْلِعَكُمْ﴾: اللام حرف جر، وأن المضمرة وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور باللام، والجار المجرور متعلق بمحذوف خبر كان، يعني: وما كان الله مريدًا لاطلاعكم على الغيب[1].

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧]: دلت الآية الكريمة على وجوب إظهار العلم وتحريم كتمان شيء من أمور الدين لغرض من الأغراض الفاسدة، والتأويلات البعيدة.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:٢٠٠].

﴿اصْبِرُوا﴾ أي: على طاعة الله والبلاء والجهاد. ﴿وَصَابِرُوا﴾ أي: مصابرة العدو ومقابلته وقتاله. ﴿وَرَابِطُوا﴾ أي: لجهاد الأعداء. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أمر

---

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه على المقدمة الآجرومية: (٧/ ب).

بتقوى الله بعد أن أمر المؤمنين بالصبر والمصابرة والمرابطة؛ لأن تقوى الله جامعة لما تقدم وغيره من امتثال أوامره واجتناب نواهيه، وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فيما تقدم يحصل به الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة(١).

فإن الفلاح في الدنيا والآخرة؛ بالصبر على ما يلحقكم من الأذى، وإظهار التجلد في الصبر على الأعداء الذين يقاومونكم. وقوله: ﴿وَرَابِطُوا﴾ أي: بكل ما من شأنه القوة، وغلبة الأعداء، كالطائرات الحربية، والدبابات، والصواريخ، وغيرها. وكما قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال:٦٠](٢).

(١) ينظر: الرسائل والمقالات: (٤/ ٣٨٤).
(٢) ينظر: "الإسلام يأمر بالقوة"، مجلة الحرس الوطني عدد رقم ١، رجب ١٤٠٠هـ، نقلاً عن: سماحة العلامة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد في عيون محبيه: ٤٦٢.

سورة النساء

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

يعني: يا أيها الناس وحدوا ربكم(١).

قال تعالى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء:٢]

المعنى: ولا تأكلوا أموالهم مع أموالكم، يعني: مالك أنت تريد أكله لك، لكن مال غيرك لا. ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ﴾ يعني: مع أموالكم(٢).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ الواو: حرف عطف، ﴿وَلَا تَأْكُلُوا﴾: لا: ناهية، ﴿تَأْكُلُوا﴾: فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعل. ﴿أَمْوَالَهُمْ﴾: أموال: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، وأموال: مضاف، والضمير مضاف إليه مبني على الضم، محله جر بالمضاف، والميم للجمع. ﴿إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾: ﴿إِلَىٰ﴾: حرف جر، وأموال: اسم مجرور بإلى، وعلامة جره الكسرة، أموال مضاف، والكاف ضمير، مضاف إليه، مبني على الضم، محله جر بالمضاف، والميم للجمع(٣).

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (ص٧١).

(٢) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (١/ ب).

(٣) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه على المقدمة الآجرومية: (٢/ أ).

قال تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗ﴾ [النساء: ٤].

المراد بالنحلة المهر كما ذكره ابن عباس(١).

قوله تعالى: ﴿فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا﴾ [النساء: ٤].

هذه للأزواج، أي: إذا سمحت الزوجة، وطابت نفسها بشيء من مهرها لزوجها من غير ضرر ولا خديعة، وكانت رشيدة جائزة التصرف؛ فله أكله حلالا طيبا والله أعلم.

قال تعالى: ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾ [النساء: ٦] هذه الآية الكريمة، صريحة في أنه لا يجوز أن يدفع إليه ماله، إلا إذا علم رشده(٢).

قال تعالى: ﴿وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا﴾ [النساء:٩].

الواو: بحسب ما قبلها، واللام: لام الأمر، يخش: فعل مضارع، مجزوم بلام الأمر، وعلامة جزمه حذف الألف؛ لأنه اسم مقصور، والفتحة دليل عليها، ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح، محله رفع على الفاعلية. ﴿لَوۡ﴾: حرف شرط غير جازم، يعني: إذا تركوا ذرية ضعافاً فليخش الذي تولاهم؛ بأن يعطيهم حقهم. ﴿تَرَكُواْ﴾: فعل، وفاعل. ترك: فعل ماض، والواو فاعل، والألف

(١) ينظر: تفسير الطبري: (٧/ ٥٥٣).

(٢) ينظر: الرسائل والمقالات: (٢/ ٣٧٠).

سورة النساء

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

يعني: يا أيها الناس وحدوا ربكم(١).

قال تعالى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء:٢]

المعنى: ولا تأكلوا أموالهم مع أموالكم، يعني: مالك أنت تريد أكله لك، لكن مال غيرك لا. ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ﴾ يعني: مع أموالكم(٢).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ الواو: حرف عطف، ﴿لَا تَأْكُلُوا﴾: لا: ناهية، ﴿تَأْكُلُوا﴾: فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعل. ﴿أَمْوَالَهُمْ﴾: أموال: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، وأموال: مضاف، والضمير مضاف إليه مبني على الضم، محله جر بالمضاف، والميم للجمع. ﴿إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾: ﴿إِلَى﴾: حرف جر، وأموال: اسم مجرور بإلى، وعلامة جره الكسرة، أموال مضاف، والكاف ضمير، مضاف إليه، مبني على الضم، محله جر بالمضاف، والميم للجمع(٣).

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (ص٧١).

(٢) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (١/ ب).

(٣) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه على المقدمة الآجرومية: (٢/ أ).

قال تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤].

المراد بالنحلة المهر كما ذكره ابن عباس[(١)].

قوله تعالى: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ [النساء: ٤].

هذه للأزواج، أي: إذا سمحت الزوجة، وطابت نفسها بشيء من مهرها لزوجها من غير ضرر ولا خديعة، وكانت رشيدة جائزة التصرف؛ فله أكله حلالا طيبا والله أعلم.

قال تعالى: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء: ٦] هذه الآية الكريمة، صريحة في أنه لا يجوز أن يدفع إليه ماله، إلا إذا علم رشده[(٢)].

قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء:٩].

الواو: بحسب ما قبلها، واللام: لام الأمر، يخش: فعل مضارع، مجزوم بلام الأمر، وعلامة جزمه حذف الألف؛ لأنه اسم مقصور، والفتحة دليل عليها، ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح، محله رفع على الفاعلية. ﴿لَوْ﴾: حرف شرط غير جازم، يعني: إذا تركوا ذرية ضعافاً فليخش الذي تولاهم؛ بأن يعطيهم حقهم. ﴿تَرَكُوا۟﴾: فعل، وفاعل. ترك: فعل ماض، والواو فاعل، والألف

(١) ينظر: تفسير الطبري: (٧/ ٥٥٣).

(٢) ينظر: الرسائل والمقالات: (٢/ ٣٧٠).

للجماعة. ﴿خَلْفِهِمْ﴾: اسم مجرور بمن، وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخرة، وهو مضاف والضمير مضاف إليه مبني على الكسر، محله الجر بالمضاف، والميم علامة الجمع[(١)].

قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١].

يبين الله أن للذكر من تركة مورثه مثل ما للأنثيين من أخواته، والحكمة في ذلك والله أعلم: أن الرجل يأتي عليه وقت يتزوج فيه فيولد له أولاد، ونفقة هذه الزوجة وأولئك الأولاد ملزم بها، ومطلوبة منه، في حين أن منزله مقصد للزائرين، بخلاف الأنثى فإنه يأتي يوم يضمها إليه رجل يتزوجها فيقوم بشؤونها والإنفاق عليها وعلى أولادها منه، من مأكل ومشرب وملبس ومسكن، لا تكلف هي قرشا واحدا من مالها الخاص، ولا يخطر ببال أحد بأن يجعل منزلها مقصدا؛ لما في ذلك من مثار ظنون ومهب ريب وشكوك، فكيف يقال بعمل المرأة مع الرجل جنبا إلى جنب؟![(٢)].

قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

---

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطالبه في شرحه على المقدمة الآجرومية: (٦/ ب).
(٢) ينظر: الرسائل والمقالات: (٤/ ٢٨٨).

فقوله: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾، دلت الآية الكريمة على: أن البنت مع الابن تكون عصبة، وأنه لا يفرض لها شيء، وإذا لم يفرض لها شيء صارت عصبة بأخيها؛ بدليل هذه الآية. ثم قال عقبها: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ قال: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ﴾ يعني محضاً ما معهم ذكور[1].

﴿وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ﴾ يعني: البنت، فلها نصف ما ترك[2].

﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ﴾، ﴿فَوۡقَ﴾: صلة، يعني: لا معنى لها من جهة الحكم؛ بدليل قوله: ﴿وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ﴾، فالآية دلت على أن الواحدة لها النصف، فإذا زادت عن الواحدة، يكون لهن الثلثين؛ لأنه لا يكون لها النصف، إلا إذا كانت واحدة، فلو كان للثنتين النصف، ما صار لقوله: ﴿وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ﴾ لهذا التقسيم، ولا لهذا المفهوم معنى[3].

قال تعالى: ﴿وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ وَإِن كَانَ رَجُلٞ

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لمنظومة الرحبية، مسموع: (صدر عن تسجيلات الإبانة السمعية بجدة): (٧/ ب).

(٢) ينظر: شرح الشيخ لمنظومة الرحبية: (٢/ ب).

(٣) ينظر: شرح الشيخ لمنظومة الرحبية: (٣/ ب).

يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ [النساء:١٢].

إن كان للزوجة ولد، فللزوج الربع مما تركت الزوجة، وهذا الولد يشمل: الذكر، والأنثى، والواحد، والجماعة، وهذا الولد سواء كان من الزوج الوارث، أم من زوج قبله، أم كان منفياً بلعان، أم كان ولد زنا؛ فإنه يحجب الزوج من النصف إلى الربع؛ لأنه يرث أمه[1].

﴿وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ﴾ أي: أيها الأزواج[2].

قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾.

قرأ ابن مسعود: لأم[3].

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا﴾ [النساء: ١٦].

أي اللذان يفعلان الفاحشة فآذوهما، أي: بالشتم والتعيير والضرب بالنعال وما أشبه ذلك، وكان الحكم كذلك في صدر الإسلام حتى نسخه الله بالجلد أو الرجم، والله أعلم.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لمنظومة الرحبية: (٣/أ).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لمنظومة الرحبية: (٣/أ).
(٣) ينظر: شرح الشيخ لمنظومة الرحبية: (٤/ب)، و (٥/أ).

لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:١٩].

يعني ربما يولد لك منها ولد صالح، ينفع الله به الإسلام والمسلمين[١].

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ يعني: كرهت زوجتك. ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ يعني: يولد بينكما ولد صالح، ينفع الله به الإسلام والمسلمين[٢]، [٣].

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٨].

يريد الله تخفيف ذلك عنكم[٤].

﴿يُرِيدُ﴾: فعل مضارع مرفوع؛ لتجرده عن الناصب، والجازم، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة. ﴿ٱللَّهُ﴾: لفظ الجلالة، فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة على آخره[٥].

﴿أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾، ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿يُخَفِّفَ﴾: فعل مضارع منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره. ﴿عَنكُمْ﴾: عن: حرف جر، والكاف ضمير متصل مبني على الضم، في محل جر بعن. والميم: علامة الجمع[٦].

---

(١) ينظر: الفتاوى والدروس في المسجد الحرام: (٩٣٣).
(٢) ينظر: الفتاوى والدروس في المسجد الحرام: (٩٣٣).
(٣) ينظر: تفسير الطبري: (٨ / ١٢٣).
(٤) ينظر: شرح الشيخ على متن الآجرومية: (٧/ أ).
(٥) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه على متن الآجرومية: (٧/ ب).
(٦) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه على متن الآجرومية: (٧/ أ).

﴿خُلِقَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول. ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾: نائب فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره. ﴿ضَعِيفًا﴾: حال من الإنسان والعامل فيه خلق[1].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء:٢٩].

في السنن من حديث عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل: أن عمرو بن العاص رضي الله عنه بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سرية قال: فاحتلمت، وكانت ليلة باردة، فخشي لو اغتسل أن يموت، فتيمم، وصلى بأصحابه. فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه، فقال الرسول: «يَا عَمْرُو صَلَّيْتَ بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ؟»[2] قال: يا رسول الله إني احتملت في ليلة باردة، شديدة البرد، والماء بارد، ولم أجد ما أسخنه به، فتيممت؛ لأني ذكرت قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وأقره[3].

قال الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ﴾ [النساء: ٣٤]،

---

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه على متن الآجرومية: (٧/ ب).

(٢) أخرجه أبوداود في سننه: (ح: ٣٣٤) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٣) ينظر: نور على الدرب الحلقة: ١٨١، ٥٢:٦، والحلقة: ١٣٠، ٤٠:٣. مسموع من أرشيف إذاعة القرآن الكريم.

دلت الآية الكريمة بوضوح: على أن الرجل هو القائم على أمر المرأة، والمحافظ على حمايتها ورعايتها؛ لما للرجل من قوة المزاج والكمال في الخلقة، ولقوة عقله وصحة نظره في مبادئ الأمور، ولقدرته على التكسب والتصرف في الشؤون كلها، ومن ثم كلف الرجال بالإنفاق على النساء والقيام برئاسة المنزل، والمرأة تقوم بوظيفتها الفطرية وهي الحمل والولادة وتربية الأطفال، وهي آمنة في سربها، مكفية ما يهمها من نفقتها ونفقة أولادها، فكيف يقال مع هذا ببروز المرأة موظفة بجانب الرجل؟!

قال تعالى: ﴿وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤].

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٥].

بيَّنت الشريعة كيف تقام البيوتات، وتؤسس العائلات، فشرعت النكاح وحثت عليه ورغبت فيه، وبيَّنت ما للرجل على زوجته من الحقوق، وما لها عليه، وبيَّنت ما عسى أن يقع بينهما من خلاف في المستقبل[1].

دلت الآية الكريمة أن للناشز أربعة أحوال:

الحالة الأولى: وعظ الزوج لها بتذكيرها بما أوجب الله عليها من حسن

---

(١) ينظر: الرسائل والمقالات: (٢/ ٣٠٨).

الصحبة وجميل العشرة للزوج، والاعتراف بالدرجة التي له عليها، وبيان الأحاديث في ذلك لها وهي معلومة، فإن لم تنجع فيها الموعظة والتذكير فتنتقل معها إلى:

الحالة الثانية: وهي هجرانها في المضجع أو في البيت؛ بألا يكلمها ويوليها ظهره، ويظهر التقطب والاكفهرار لها؛ فإنها إن كانت محبة للزوج شق عليها ذلك وآلمها، فترجع إلى جميل المعاشرة، وحسن الصحبة، وإن كانت مبغضة له استمرت على حالتها، وظهر أن النشوز من قبلها، فإن لم ينجع معها الهجر فينتقل إلى:

الحالة الثالثة: وهو ضربها ضربا غير مبرح. والأمر بالضرب في هذا الموطن: دليل على إجبارها بالانقياد مع زوجها كما في السؤال؛ لأن الزوج أبيح له ضربها إذا نشزت لعدم تأثرها بالموعظة والهجر، فالإذن له بالضرب مؤذن بإجبارها على الانقياد معه؛ لأن في ذلك ما لعل الحال تلتئم به بينهما، ويزول ما عندها من النشوز، وإذا لم ينجع فيها ذلك ووقع الشقاق بين الزوجين، وادعى كل منهما ظلم صاحبه، بعث الحاكم إليهما حكما من أهله وحكما من أهلها يريان الاجتماع والافتراق، وحكم الحكمين، وما يشترط في ذلك، وما فيه من خلاف، وهل هما حكمان أو وكيلان، وما يترتب على القول بهما ظاهر لكم، والله أعلم.

قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء:٣٦].

أي: الذي منزله قريب من منزلك؛ فإن هذا هو الجار[1].

قال تعالى ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦]. ما معنى التحريف الذي ذكره الله في القرآن؟ والذي أخبر بأنهم حرفوا التوراة والإنجيل؟ هل غيروا العبارات التي في التوراة والإنجيل؟

هذا على قولين، قيل: إنهم غيروا العبارات وأبدلوها بعبارات من عندهم فلهذا دخلها ما دخلها،.....جاءوا بالإنجيل وغيروه وزادوا، وقالوا: العمل على إنجيلهم "يوحنا"، إنجيل "متَّى"، إنجيل "مرقس"، وكذلك التوراة سفر كذا، فالتغيير في ألفاظها، وإن كان الإمام البخاري يقول بأن التغيير في معانيها لا في ألفاظها، وأن التحريف والتبديل جرى في المعاني لا في الألفاظ، والذي عليه الكثيرون جرى حتى في الألفاظ زيادة على المعاني.

فأنت تقول: أنا أؤمن بالكتب المنزلة من السماء على وجه الإجمال ما عدا القرآن، فأنا أؤمن به على وجه التفصيل، هذا كلام الله حقيقة، ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٥]. نعم هذا كلام الله، مثلا: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الصف: ١]، هذا كلام الله محفوظ من التحريف؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

فأنا أؤمن بأن القرآن من أوله إلى آخره آية آية كلمة كلمة هو كلام الله،

---

(١) ينظر: نور على الدرب الحلقة: ١١٤/ ٤:٠٤.

بخلاف الكتب الأخرى؛ فقد دخلها من التغيير، غير أني أؤمن بها على وجه الإجمال.

قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢]، ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾ [الحج: ٣١].

كل هذا يدل على أن من مات على الشرك مآله إلى النار لا محالة، أما إذا تاب فالله يقبل توبته.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ إلا بالتوبة منه، فإذا مات على شركه، هذا من أهل النار. أما أصحاب المعاصي التي هي دون الشرك، فهم تحت المشيئة، إن شاء الرب غفر لهم وأدخلهم الجنة، وإن شاء عذبهم في النار بقدر جرائمهم وذنوبهم، ثم مآلهم إلى الجنة، إن كانوا ماتوا على التوحيد، والشرك الأكبر ينافي التوحيد بالكلية، كما أن الشرك الأصغر ينافي كماله الواجب.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨].

تضمنت هذه الآية الكريمة ثلاثة أمور: الرد على القبوريين، والرد أيضاً على المعتزلة، وبيان ما عليه أهل السنة والجماعة. ما وجه الدلالة من الآية على هذه الأشياء؟

أولاً: أهل السنة والجماعة يقولون: إن العبد إذا مات على التوحيد، خالياً

من الشرك قليله وكثيره، وإن كان له ذنوب، وله معاصي، فهو تحت المشيئة، إن شاء الرب عفا عنه، وإن شاء عذبه بالنار، ثم أدخله الجنة؛ بدليل هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: ما دون الشرك، ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾. والذي هو دون الشرك: داخل فيه الكبائر، وغيرها. هذا هو مذهب أهل السنة، وهذا هو رأي الجمهور – جمهور أهل السنة والجماعة –، كما قاله النووي في شرح مسلم.

ثانيـًا: في الآية الرد على القبوريين، الذين يطلبون المدد من غير الله، كعبدالقادر، والدسوقي، و[..] كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٍ﴾[فاطر:١٣-١٤]. والآية هذه نظير آية الأحقاف: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ﴾[الأحقاف: ٥-٦]. وكما في آية سورة الأعراف: ﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ١٩١ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ﴾[الأعراف:١٩١-١٩٢][1].

ثالثـًا: مسألة الكبائر، الرد على المعتزلة، فالمعتزلة يقولون: ومثلهم جزء

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢/ب). وفي (١٠/أ) بيان معنى ما دون ذلك، وأن صاحبه تحت المشيئة، وفي الفتاوى والدروس: (٨٦) بيان أن الشرك لا يغفر إلا بالتوبة، وأن من مات عليه فهو من أصحاب النار، وأن أصحاب المعاصي دون الشرك تحت مشيئة الله.

من الخوارج[1]، يقولون: أي: الخوارج يكفرون من ارتكب الكبيرة، من فعل كبيرة عندهم فهو كافر.

المعتزلة يقولون: لا، ما هو بكافر، إلا أنه بالمنزلة بين المنزلتين، غير أنه خالد مخلد في النار؛ كشارب الخمر، والسارق والزاني، فعندهم ما هو بكافر، إلا أنه في جهنم في كل حال، فالآية ترد عليهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، ماذا يعملون بهذه الآية؟ هذا هو المعنى.

والحاصل: أن الآية تدل على: أن الشرك لا يغفر إلا بالتوبة منه، وما دون الشرك فصاحبه تحت المشيئة، إن شاء الله غفر له، وإلا فيعذبه بقدر ذنوبه ثم مآله إلى الجنة[2].

ولابد أن نعرف هذا الشرك الذي لا يغفر. ما هو؟ لا بد لنا من عبارة جامعة شاملة تكون عندنا كالقاعدة، ندرج تحتها جزئيات المسائل، ما هو هذا الشرك الذي أخبر الرب أنه لا يغفره، وإنما يغفر المعاصي مما هو دون الشرك لمن يشاء؟ نقول لك: الشرك قسمان: شرك أكبر، وشرك أصغر. فما هو الشرك الأكبر؟ وما ضابطه؟. نقول لك: ضابط الشرك الأكبر: تسوية غير الله بالله، فيما هو من خصائص الله، هذا هو الشرك الأكبر. ضابط الشرك الأصغر، ما ورد في النصوص تسميته شركًا، ولم يصل

(١) هم فرقة خرجت على علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقولون بكفر صاحب الكبيرة، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة. ينظر: الملل والنحل: (١٠٦).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢/ب).

إلى حد الشرك الأكبر. لم يساوي في ذلك غير الله بالله، فيما هو من خصائص الله[1].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾، ﴿إِنَّ﴾: حرف توكيد، ونصب تنصب الاسم، وترفع الخبر. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسم الجلالة، اسم إن منصوب بالفتحة الظاهرة. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَغْفِرُ﴾: فعل مضارع مرفوع؛ لتجرده عن الناصب، والجازم. وعلامة رفعة الضمة الظاهرة، والفاعل ضمير مستتر جوازاً، تقديره هو، يعود على اسم الجلالة. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿يُشْرَكَ﴾: فعل مضارع، منصوب بأن، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور، الباء: حرف جر، والضمير: مبني على الكسر محله الجر[2].

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾ [النساء:٥١].

إن هذه الأمة لابد أن يوجد فيها نظير ما وجد في اليهود والنصارى، مما تضمنته هذه الآية. ومعنى هذه الآية هو: أن المشركين بعثوا من قبلهم وفداً إلى يهود المدينة، وقيل إنهم وفدوا إلى مكة. فذهب الوفد إلى كفار قريش فقالوا: جئنا نسألكم عنا، وعن محمد. قالوا: ما أنتم؟ وما محمد؟. وهم حيي بن أخطب عالم اليهود، وكعب بن الأشرف. وهذان الحبران هما أكبر علماء اليهود، وهما أعلم علماء اليهود، لكنهم أشرهم ضلالاً. قالوا: ما أنتم؟ وما محمد؟. قالوا: محمد صنبور وحده. يعني لم يتبعه إلا سراق الحجيج، من

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١٣/ أ).

(٢) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه على المقدمة الآجرومية: (٧/ ب).

مزينة وغفار. ونحن نسقي الماء على اللبن، ونذبح الكوم، وننحر الكوم، يعني للحجاج، ونحن أهل السقاية، والسدنة لبيت الله الحرام. فقال الكافران، الكاذبان، الجاحدان، الملعونان: أنتما خير وأهدى سبيلاً من محمد.

فأنزل الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ وهو: حيي بن أخطب، وكعب بن الأشرف. ﴿أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾ يعني: من محمد[1].

قال تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ [النساء:٥٢].

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ المعنى: أنه لابد أن يوجد في علماء هذه الأمة نظير ما وجد من حيي بن أخطب، وكعب بن الأشرف؛ لحديث: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»[2]، [3].

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:٥٩].

﴿وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ﴾: هم العلماء، والأمراء على ما رجحه العلامة ابن القيم.

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١٦/ ب)، وفي (٤/ ب)، سبب النزول، وبيان أنه لابد أن يوجد في هذه الأمة نظير ما وجد في اليهود. وفي: (٢٧/ أ)، ذكر سبب النزول.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: (ح: ٧٣٢٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١٦/ ب).

يشمل الأمرين؛ لأن العلماء: هم الذين يبينون الحق، والأمراء: هم الذين ينفذون. فكلهم يشملهم (أولي الأمر). نقول: نعم ما دام أن العالم يبين مدلول الكتاب والسنة. فتجب طاعته؛ لأن طاعته إذا كانت مبنية على ما دل عليه القرآن والسنة فتجب. أما طاعته بدون ذلك فلا، لا طاعة في معصية الله، وإنما الطاعة في المعروف، فإذا كان يأمر أو يفتي بمقتضى ما دل عليه القرآن والسنة فنعم، وإلا فلا[(١)].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]. بينت ما للإمام من الحقوق على رعيته، وفي الحديث: «**تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلأَمِيرِ، وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ**»[(٢)] الحديث، وقال: «**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**»[(٣)].

فبولاة الأمور تأمن السبل، وتقام الحدود، وتنفذ الشرائع، وينتصر المظلوم، ويردع الظالم، ولما في الخروج عليهم من: سفك الدماء، ونهب الأموال، واختلال الأمن، وضياع الحقوق، والفساد الكبير[(٤)].

﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إلى كتابه. ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾ أي: إلى سنته ﷺ[(٥)].

---

(١) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٥/ أ).
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: (ح:١٨٤٧) من حديث حُذَيْفَة بن الْيَمَانِ رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: (ح:٧١٤٢) من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه.
(٤) **ينظر**: الرسائل والمقالات: (٢/ ٢٥٥).
(٥) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٦٢/ أ).

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:٦٠].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ يعني: ما قالوه بألسنتهم، مباين لما فعلوه بفعلهم. حيث ذهبوا إلى الطاغوت للتحاكم عنده: وهو الرضا بحكمه. فهذا مناف للإيمان بما أنزل الله على حد زعمهم. ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦]. لا يسمى الإنسان مستمسكاً بالعروة الوثقى، التي هي: لا إله إلا الله، مع إيمانه بالطاغوت. فلا يمكن أن يكون مستمسكاً حتى يكفر بالطاغوت الذي يتحاكمون إليه؛ لأن الطواغيت كثير: لكن رؤوسهم خمسة، ومن جملتهم: من حكم بغير ما أنزل الله.

قال الله سبحانه: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ فهمْنا من هذا أربعة أمور: أولاً: أن التحاكم إلى القوانين الوضعية؛ أنه من إرادة الشيطان، والشيطان لا يريد إلّا الشر.

ثانياً قوله: ﴿أَن يُضِلَّهُمْ﴾ فهمنا من هذا: أولاً: أنه من إرادة الشيطان، وهو لا يريد لك إلا الشر، وثانياً: أنه ضلال، وثالثاً: أكده بالمصدر بقوله:﴿ضَلَٰلًۢا﴾، ورابعاً: أكد المصدر بالوصف، وهو: البعد ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾، أي: بعيداً عن الحق، وبعيداً عن الله، وبعيداً عن طاعة رسول الله ﷺ.

فالآية تدل على أن الناس، وإن زعموا أنهم مؤمنون بالقرآن والسنة؛ فإنا نَزِنهم بأفعالهم، فإذا قالوا: نحن مؤمنون بالقرآن والسنة. نقول لهم: لا بأس، هذا قول باللسان، لكن نزنه بالفعل. هل الفعل يطابق القول؟ فنعم. هل الفعل يخالف القول؟ فلا. كما ترده هذه الآية ﴿يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [النساء: ٦٠]. ثم قال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ بينهما الفرق. فوَزَنَّا أفعالهم وما يقولونه، فوجدناهم كاذبين. إذ لو كانوا صادقين، لطبقوا التحاكم إلى القرآن والسنة، بفعلهم لا بمجرد ألسنتهم. ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ بالطاغوت، كما في آية البقرة: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾[1].

قد تقول: هل هنا دليل يدل على أن الفعل من الإيمان؟ نقول لك: نعم. أولاً: هذه الآية تدل على أنه متى تحاكموا إلى غير كتاب الله، فهم ليسوا بمؤمنين بكتاب الله؛ بدليل الآية.

دليل آخر في قصة إبراهيم عليه السلام، لما أمر بذبح ولده، وفلذة كبده، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ [الصافات: ١٠٢]. يعني: ابنه، قال إبراهيم: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾، وأنت تعرف أن رؤيا الأنبياء وحي: ﴿مَاذَا تَرَىٰ﴾ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ﴾ هذا نطق، ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٢-١٠٣]، هذا فعل،

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٥/ ب).

﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ ما وجه الدلالة من هذه الآية؟ قوله: ﴿قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ ما كان إبراهيم مصدقاً للرؤيا، ولا أثنى الله على إبراهيم بمجرد قوله: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ ولكن، أثنى عليه بقوله: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ بالفعل، قال: ﴿قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾، فلم يكن مصدقاً للرؤيا، إلا بعد الفعل، بل قبل أن يفعل لم يكن مصدقاً للرؤيا، ولم يثن الله عليه، ويجعله من المحسنين، إلا بعد أن فعل. قال: ﴿صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾. نستفيد من هذا: أن الإيمان لا بد له من فعل، عمل الجوارح. وهؤلاء الذين زعموا أنهم مؤمنون بما أنزل الله، تحاكموا إلى الطاغوت. فمجرد إرادتهم التحاكم إلى الطاغوت، نفى حقيقة إيمانهم بما أنزل الله. وعبر الله عنه بقوله: ﴿يَزۡعُمُونَ﴾. ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾ [النساء:٦٠]. الواو هنا: واو الحال، أي: والحال أنهم مأمورون بالكفر بالطاغوت ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦][(١)].

والآية انتظمت أمورا:

أولاً: أن معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول الله، أنهما متلازمان، لهذا صار الاثنان ركناً: هو الركن الأول من أركان الإسلام. كما في قوله ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ»[(٢)]. هذا الركن الأول، لما بينهما من التلازم.

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٦/ أ).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: (ح ٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

ثانياً: دل على أن من لازم شهادة أن محمداً رسول الله؛ الإيمان بما جاء به الرسول قولاً، وعملاً، واعتقاداً.

ثالثاً: دل على أن مجرد النطق بأنه مؤمن بما أنزل الله، مع مجيئه بما يناقض ذلك، أنه ليس بمؤمن. ما هو إلا مجرد زعم.

رابعاً: دلت الآية على أن كل ما تحاكموا إليه، مما عدا القرآن والسنة؛ هو طاغوت. مهما كانت الحالة من: جني، من رجل، من أي شخص؛ لأن الطاغوت مشتق من الطغيان، وهو مجاوزة الحد.

خامساً: دلت الآية على أن المؤمنين، مأمورون بالكفر بالطواغيت، والإيمان بالله. وأن الإيمان بالطواغيت، والإيمان بالله متنافيان، لا يمكن وجودهما معًا، بل من آمن بالطاغوت، فإنه لم يكن مؤمناً بما أنزل الله، ومن آمن بما أنزل الله حقيقة، لم يكن مؤمناً بالطاغوت. والعبرة بالحقائق لا بالمسميات.

سادساً: دلت الآية على أنّا مأمورون بأن نكفر بكل ما عدا القرآن والسنة؛ من قوانين، ومما يجمعه الرجال وينظمونه من كناسة الأفهام، وزبالة الآراء، ونحاتة الأفكار. وأن ذلك داخل في قوله تعالى:- أي هذه القوانين الوضعية المجموعة من كناسة الآراء، وزبالة الأفهام، ونحاتة الأفكار، مما لم يدل عليه دليل. عندما تتأمل هذه الآية، وهي قوله تعالى في سورة الأنعام-: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩-١١٠].

سابعاً: دلت الآية على أن التحاكم إلى غير الكتاب والسنة؛ هو من إرادة الشيطان، ومحبة الشيطان له، وأن الشيطان يدعوا إلى ذلك.

ثامناً: دل على أن التحاكم إلى غير الكتاب والسنة، مع كونه من إرادة الشيطان، أنه ضلال، وبعيد عن الحق، ثم أيضاً أكد هذا الضلال بالمصدر: ﴿أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًا﴾، ثم أكد هذا المصدر بوصفه بالبعد، أنه بعيد عن الله، ثم تأمل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور:٤٨-٥١]. أما من يقول: سمعنا وعصينا، أو يقول ندعوا إلى الله، وإلى رسوله، ونقبل حكم الله، وحكم رسوله، ونحن متمسكون بالشريعة الإسلامية، لكن أفعالهم تخالف ذلك؛ فهذا مجرد زعم لا حقيقة له، وهذا هو التحاكم إلى الطاغوت، شاءوا أم أبوا، -والله أعلم-[(١)].

قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء:٦٢].

إذا أصابتهم مصيبة جاءوا وقالوا حالفين بالله، مقسمين به: إنهم ما أرادوا إلا الإحسان، وما أرادوا إلا الخير. فلا يقبل منهم؛ ما دام أن العمل تخلَّف، فلا يكفي مجرد اليمين الفاجرة، والأقاويل التي يخالفها ويكذبها الفعل. لاحظ هذا

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٦/أ).

المعنى: ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾ بمعنى: وقع عليهم شيء من أقدار الله ﷻ. ﴿جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ ما أردنا إلا الخير، ما أردنا إلا الإحسان وحفظ الحقوق، وما أردنا إلا التوفيق بين هذا وذاك، والله يعلم قصدنا، «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»[1]، فلا تلتفت إلى زخارف قولهم مهما حلفوا، ومهما ادعوا من إرادة الإحسان والتوفيق وأن غرضهم الخير، وأن قصدهم ارتكاب أدنى المفسدتين لتفويت أعلاهما، وأنهم يريدون الإحسان، وحفظ حقوق الناس، أو يريدون ألا يقعوا فيما هو أكبر من ذلك، أو ما -أشبه ذلك من التعليلات الفاسدة. لا تلتفت إلى قولهم، وأيمانهم ما دام أنهم رضوا بالتحاكم إلى غير القرآن والسنة، عادلين عن القرآن والسنة.

بهذا نعرف أن المفتي لا ينبغي له أن يفتي فوراً من حين يسمع كلام المستفتين، ويقول: أنا قصدي كذا، وأنا غرضي كذا. لا تلتفت إليه مع أول بارقة تبرق لك، بل انظر في الحقائق، انظر في المسميات، انظر فيما سيؤول إليه الأمر، انظر في النتائج والعواقب. فلا ينبغي للمفتي أن يبادر ويفتي من أفتى، بناء على عباراته وزخرفته، لا، كما في هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾ وهذه الآية كالآية الأخرى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة:١١]، كلٌ يزعم الصلاح، كلٌ يدعي إرادة الخير، كلٌ يريد حفظ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (ح ٦٦٨٩) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الحقوق، كلٌ يريد الإحسان والتوفيق: كلٌ يريد المصلحة العامة. لكن عندك ميزان، لا تلتفت إلى زخارفهم وعباراتهم. عندك ميزان تزن به أقوال الناس وأعمالهم، ولا تغتر بما يقولون من إرادة الخير، ومن إرادة حفظ الحقوق، ومن إرادة درء المفاسد. قل: هذه العبارات لا بأس بها، لكن هل تنطبق؟ أو لا تنطبق على الواقع. عندك ميزان، افطن لهذا العمل، هل هو موافق للشريعة؟ فيه الخير، وفيه المصلحة. هل هو مخالف للشريعة؟ فيه الشر والبلاء. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾[البقرة:١١-١٢]. ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [النساء:٦٢]، أي: بسبب تحاكمهم إلى غير رسول الله ﷺ، وابتلوا بشيء من المصائب، ﴿جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا﴾ بتحاكمنا إلى غير رسول الله، إن أردنا إلا الإحسان لأجل الدين، ولأجل حفظ الدين، ولأجل الإسلام، ولأجل الله، ولأجل أن نوفقهم للإسلام، ولأجل أن نعرفهم أن ديننا مرن، وما أشبه ذلك. لا تلتفت إلى هذا: ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ من أجل هذه الآية، وآيات أخرى مثل قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة:١١]، ومثل قوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ﴾ [الأعراف:٥٦]، ومثل قوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة:٥٠]، ومثل قوله: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص:٥٠]، ومثل قوله: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٣]، والآيات في هذا كثيرة. من هذا نأخذ مسألة مهمة، ونستنبطها من

هذا؛ وهي: ما يفعله بعض الولاة، أو بعض الرؤساء، أو بعض رؤساء الدول المنتسبة إلى الإسلام، يقولون: نريد الخير، وهذه سياسةُ مصلحةٍ: ماذا تقول لهم؟ تقول لهم أنت: السياسة -وإن زعمتم أنها سياسة- فعندنا ميزان لسياستكم. ما هو هذا الميزان؟. هو: القرآن والسنة. اشرح لنا السياسة في القرآن والسنة؛ لأنهم يزعمون أن هذه سياسة، مثلاً: يتحاكمون إلى القوانين هذه سياسة، أو أنهم يخلطون النصارى مع المسلمين في المدارس والتعليم، يقولون: هذه سياسة، أو يقولون: يرتفع الأذان، وأصوات الكنائس، فهذه سياسة، وهي لأجل المصلحة. أو أنهم يقولون: أي مسألة تخالف القرآن والسنة، سلكوا بها مسلك السياسة. قل لهم: السياسة ثلاثة أقسام:

السياسة الأولى: سياسة شيطانية، فرعونية، إبليسية: وهي ما خالف القرآن والسنة، مثل ما دلت عليه هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء:٦٢]، هذه سياسة؟ قل: لا. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة:١١]، بالتحاكم إلى غير القرآن والسنة، أو بارتكاب أمر خالف الشريعة. ﴿لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ لأن صلاح العباد، وصلاح الأرض؛ باتباع الشريعة. ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ قال الله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ هذه السياسة: شيطانية، فرعونية. وهي سياسة فرعون سواء بسواء، حيث يقول: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، ويقول في سياسته: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر:٢٩]، يقول هذا الرئيس بخلاف القرآن والسنة، ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ أنا أَعْرَف منكم

بالسياسة، أعْرَف منكم بالرشاد، أعْرَف منكم بما يصلح الأمة. قل: أنت من أتباع فرعون. ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ رد عليه القرآن في موضع آخر: ﴿وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ﴾ [هود:٩٧]. وأي رشد عند هذا القائل: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾، والمخالف لما أمر الله به، وأمر به رسوله موسى.

السياسة الثانية: سياسة جائزة مباحة، وهي: ما لم تخالف نصـاً من كتاب وسنة، لا بأس بها، كسياسة الملوك، والسلاطين لرعاياهم، على أن لا تخالف قرآناً أو سنة. سياسة الرسول، كان إذا هم بغزوة وَرَّى بغيرها. عندما يريد أن يغزوَ إلى الشمال، يسأل عن الجهة الجنوبية، عن مواردها، وبعد مياهها، وأَمْكِنَتِها، ومسافاتها، حتى تتناقل الناس أنه سيغزوا جنوباً، وهو عازم على أن يغزو شمالاً، هذا لا بأس به، كحديث: «الحَرْبُ خَدْعَةٌ»[١] ضبطها بعضهم: (الحرب خُدعة) لا بأس بها، هذه سياسة مباحة، إذا رأى المصلحة، فلا مانع، على أن لا تخالف قرآناً ولا سنة،

السياسة الثالثة: سياسة شرعية هي: ما جاء في القرآن والسنة، مثل قتل القاتل، مثل إقامة الحد على الزاني، مثل القاذف ثمانين جلدة، مثل قطع يد السارق، مثل ضمان المتلف لمال غيره[٢].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (ح: ٣٠٢٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٦/ ب).

الأمر بعدم الالتفات إلى قولهم:

قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴾ [النساء:٦٣].

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ ﴾ أي: من الدغل والانحراف، فهم وإن نطقوا بألسنتهم، وقالوا نحن مؤمنون بما أنزل الله، وبما أنزل من الكتب قبله على الأنبياء، قال الله: صدوا عنك صدوداً، وأعرضوا عنك؛ مريدين لقوانين الطواغيت، وعندما يصابون بنكبة، جاءوك يحلفون بالله ما أردنا إلا التخفيف، ما أردنا إلا التوفيق، ما أردنا ما أردنا، قال الله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ ﴾ أي: احتقرهم، وصغر شأنهم. وليس المراد أعرض عنهم. لا؛ إنما المعنى: استهن بهم؛ لأنهم لا قيمة لهم، وأظهر احتقارهم وصغر شأنهم، لكن قل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً. ﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ٤٨ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ٤٩ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٥٠ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [النور:٤٨-٥١][1].

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴾ [النساء:٦٤].

---

(١) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٦/أ).

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾ يعني: الحكمة في إرسال الرسل هي: لأجل طاعتهم، فإن طاعتهم طاعة لمرسلهم؛ فهم لا يأمرون إلا بما أمرهم الله به. فمتى أطعت الرسول، فقد أطعت مرسله، ومتى خالفت الرسول، فقد خالفت مرسله. ﴿أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ باتباع الهوى، وعدم طاعتهم الرسول في بعض الأشياء. ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ ﴾ يعني: تائبين ﴿فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴾ فتح باب التوبة لهم، وإن حصل منهم ما حصل، متى استغفروا وتابوا ورجعوا إلى الحق، فإنهم يجدون لهم رباً تواباً، غفوراً للذنوب، غفاراً للعيوب. ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ ﴾ أولاً: يتوبون حقيقة، ويستغفرون فيما بينهم وبين الله. ثم يأتون إلى الرسول فيستغفر لهم. هذا في حياته، أما بعد وفاته؛ يأتون إلى سنته، فإنهم يتحاكمون إلى سنته، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [النساء:٥٩]، ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إلى كتاب الله، ﴿وَٱلرَّسُولِ ﴾ أي: إلى سنة الرسول ﷺ. واستدل بعضهم بهذه الآية على أنه تطلب الشفاعة من الرسول بعد وفاته، مستدلين بقوله: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴾ قالوا: إن الآية تدل على أنك تذهب إلى قبر الرسول، وتقول: يا رسول الله، استغفر لي. يا رسول الله، اشفع لي؛ لأن الآية: ﴿وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ فاستغفار الرسول لهم بعد وفاته، هو أنك تسأله بعد وفاته أن يستغفر لك، وأن يشفع لك. فإن قلت: هل

الآية تدل على هذا؟ نقول لك: لا. الآية لا تدل على هذا. فإن أعلم الناس بالقرآن، هم أصحاب رسول الله ﷺ. وقد وقعوا في المآزق، والمصائب الكبرى، وما جاءوا إلى الرسول يطلبون منه الاستغفار، أو الشفاعة، أو المدد أبدًا[(١)].

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ يكون مورد النزاع، والقاطع للنزاع، هو التحاكم إلى رسول الله ﷺ، وإلى سنته بعد وفاته. ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ ثم لا يكفي مجرد التحاكم، فإذا تحاكموا إليه ولكن في النفس من حكمه حزازة، أو في النفس من حكمه شيء، فالإيمان منتف، بل لا يكون في صدر الإنسان أي حزازة، وأي حرج، بل عليه أن يذعن وينقاد ويسلم تسليماً. فلابد من هذا. ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ كذلك إلى سنته، فبعض المتعصبين للآراء، يؤيد ما ذهب إليه إمامه، فإذا وجد حديثاً هان عليه بالجور؛ لأنه يرد ما يريده من الانتصار لإمامه أو متبوعه. فهذا لم ينقد لما جاء به الرسول حقيقة. ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ أي: يذعنوا إذعاناً، وينقادوا انقياداً، أكد الفعل هنا بالمصدر تأكيداً للعامل؛ لأن الإنسان يذعن وينقاد لحكم رسول الله، وأن لا يجد في نفسه أي حرج، ولا ضيق، ولا تأثر بالكلية، هذا هو المؤمن الحقيق[(٢)].

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٦/ أ)، وفي (٢٦/ ب) بيان الآية فقط.

(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٦/ ب).

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

الله ﷻ نفى الإيمان عمن لم يُحَكِّم الرسول فيما وقع بينهم من التشاجر، وقد قتل عمر رضي الله عنه رجلا طلب التحاكم إليه، ولم يرض بحكم رسول الله ﷺ، والنبي حي ولم ينكر على عمر قتله للرجل؛ فكيف يجترئ من يدعي الإيمان مع هذا البيان الواضح، والآيات البينات، والأحاديث الصحيحة، على الرضى بالتحاكم إلى الطاغوت، والإعراض عن شريعة الله؟ والله قد نفى الإيمان عمن لم يحكم الرسول فيما وقع بينهم من التشاجر[(١)].

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾: هذه الآية نزلت على قول بعض المفسرين: في قضية الزبير بن عبدالمطلب، مع رجل من الأنصار. -قيل إنه حاطب بن أبي بلتعه- كما جاء في بعض الروايات، وهو أن الزبير اختصم مع حاطب في [الشَّرْج] فقال النبي ﷺ: «اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَرْسِلِ المَاءَ إِلَى جَارِكَ»، قال الأنصاري: أن كان ابن عمتُك يا رسول الله؟ فأنزل الله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾[(٢)]،[(٣)].

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ [النساء:٦٦].

---

(١) ينظر: الرسائل والمقالات: (٢/ ٣١٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: (ح: ٤٥٨٥) من حديث عروة رضي الله عنه.

(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٦/ب).

المعنى: أن هذه الامة أمرت بالتحاكم إلى كتاب الله، وإلى سنة رسول الله ﷺ. وهذا أيسر وأسهل مما أُمرت به بنو إسرائيل. فأخبر: لو أن هذه الأمة أُمرت بمثل ما أُمرت به بنو إسرائيل، لن تفعل، بل لم يفعل إلا القليل. فإن بني إسرائيل لما عبدوا العجل، أمرهم الله بالتوبة، فلم يقبل منهم إلا أن يقتل بعضهم بعضـًا، حتى انقتل نحو سبعين ألفـًا، فهذه توبتهم. أما نحن، لا، لم يكلفنا الرب، فلو كلفنا قال: ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٥٤]. لابد من هذا، وهذا معنى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ يعني: أن توبتكم لا [تكون] إلا بقتلكم لأنفسكم كما كان ذلك في حق بني إسرائيل، ﴿أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾. ثم قال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ من التحاكم إلى القرآن والسنة، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّأٓتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء:٦٦-٦٨]. فالتحاكم إلى كتاب الله، وسنة رسوله عند موارد النزاع، مع الإذعان والقبول والانقياد، وسلامة الصدر، وانشراح القلب لحكم الله ورسوله، يزيدك خيراً إلى خير، ويزيدك تثبيتـًا على هذا الخير، بألا تكون مائلاً لا يمينًا ولا شمالًا من السبيل، لا تنحرف يمينـًا وشمالاً. قال تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء:٧٣-٧٥]. ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾ فهذا الذي تحاكم

إلى القرآن والسنة، منشرح الصدر، مطمئن البال، مُذعناً ومنقاداً، فالله يعطيه الخير، ويثبته عليه. وأمر ثالث: يعطيه الأجر العظيم.

وأمر رابع: يهديه صراطاً مستقيماً، هداية زيادة عن الهداية الأولى، ثم نتيجة ذلك وعاقبته هو: أن يكون حينما أطاع الله ورسوله، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة: ٦-٧](١).

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ [النساء: ٧١] فالآية تدل على أن المؤمنين مأمورون بالحذر وبالتأهب والاستعداد لعدوهم، بالآلات الحربية؛ كالطائرات والدبابات والصواريخ وغيرها، مما يجد ويحدث، مما يزيد المسلمين قوة، فبذلك يأخذون حذرهم وفي قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال: ٦٠] ما يبين ذلك(٢).

وقد أمر الله -تعالى- عباده المؤمنين بأن يجعلوا الاستعداد للحرب التي علموا أن لا مندوحة عنها لدفع العدوان والشر ولحفظ الأنفس ورعاية الحق والعدل والفضيلة بأمرين:

أحدهما: إعداد جميع أسباب القوة لها بقدر الاستطاعة.

ثانيهما: مرابطة قواتهم في ثغور بلادهم وحدودها، وهي مداخل الأعداء

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٦/ ب).

(٢) ينظر: الرسائل والمقالات: (٢/ ٣٠٥).

ومواضع مهاجمتهم للبلاد، والمراد أن يكون للأمة جند دائم مستعد للدفاع عنها، إذا فاجأها العدو على غرة، قوامه الرجال المزودون بالأسلحة الحديثة والمدربون عليها لسرعة حركتهم وقدرتهم على الجمع بين القتال وإيصال الأخبار من ثغور البلاد إلى عاصمتها وسائر أرجائها، ولذلك عظم الشارع أمر الخيل وأمر بإكرامها. وهذان الأمران هما اللذان تعول عليها جميع الدول في حروبها إلى هذا العهد الذي ارتفعت فيه الفنون العسكرية وعتاد الحرب إلى درجة لم يسبق لها نظير، بل لم تكن تدركها العقول ولا تتخيلها الأفكار(١).

قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٧٣].

يا: حرف نداء. ليت: حرف تمنٍّ ونصب، من أخوات إن. هذا يقال: مؤول، فالمعنى: يا قوم ليتني معهم. فالمنادى هنا محذوف(٢).

قال تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [النساء:٨٨].

﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ الهمز: للاستفهام التوبيخي. تريدون: فعل مضارع، مرفوع لتجرده عن الناصب والجزم، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعل "أن تَهْدُوا" ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿تَهْدُوا﴾: فعل

---

(١) ينظر: الرسائل والمقالات: (٤/ ٣٤١).

(٢) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (١/ ب).

مضارع منصوب بأن، وعلامة نصبه حذف النون، والواو: فاعل مبني على السكون. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول، مبني على السكون، محله النصب على المفعولية. ﴿أَضَلَّ﴾: فعل ماض، مبني على الفتح. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة[(١)].

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:٩٢].

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ يعني: الرقبة[(٢)].

فقوله: من قتل مؤمنا. أي إذا قتل واحدا فكفارته تحرير رقبة واحدة، وإذا لم يجد فصيام شهرين متتابعين مع الدية، وأما إذا قتل اثنين فأكثر فكفارته تحرير رقبتين وأكثر مع الدية لكل واحد. والله أعلم[(٣)].

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ

---

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه على المقدمة الآجرومية: (٧/ ب). وفي (٥/ أ)، أعرب الشيخ قوله: ﴿أَن تَهْدُوا۟﴾.

(٢) ينظر: الفتاوى والدروس: (٤٨٥).

(٣) ينظر: فتاوى الشيخ ابن حميد: (٢٢/ ١٠٩- ١١٠).

مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ٩٤].

لما قتل أسامة ذلك الرجل، وأنكر عليه الرسول أنزل الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ فقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ ﴾ أي: فتثبتوا. بأمر أسامة أن يتثبت، وأن لا يبادر بقتله، حتى ينظر حالة هذا الرجل الذي قالها، تعوذاً من القتل، وخوفاً منه. أم قالها حقيقة، مؤمناً بها، عارفاً معناها، معتقداً معناها وما دلت عليه. هذا هو معنى الآية. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ ﴾ أي: تثبتوا، فالله يأمر بأن نتثبت، وأن لا نبادر بتكفيره، ولا بقتله، حتى يأتي منه ما يناقض لا إله إلا الله[(١)].

قال تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٩٥- ٩٦].

فنفى التسوية بين المؤمنين القاعدين عن الجهاد وبين المجاهدين ثم أخبر عن تفضيلهم عليهم درجات[(٢)].

---

(١) ينظر: كشف الشبهات: (ص١٣٠). الشريط ٣/ أ.

(٢) ينظر: الرسائل والمقالات: (٢/ ٢٨١).

قال تعالى ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: ١٠١]، عَنْ يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ قَالَ: قُلْتُ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَدْ أَمِنَ النَّاسُ، فَقَالَ: عَجِبْتُ مِمَّا عَجِبْتَ مِنْهُ فَسَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: «صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللهُ بِهَا عَلَيْكُمْ، فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ»(١)، فقصر الصلاة في السفر رخصة، وفطر الصائم في السفر رخصة، وفطر المريض رخصة، والمسح على الخفين رخصة، والمسح على الجبيرة رخصة(٢). أفيكون من عمل بهذه الرخص زنديقا، «سبحانك هذا بهتان عظيم»(٣).

قال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء:١٠٢].

المعنى أن الرسول ﷺ كان في قتال العدو، وجعل أصحابه طائفتين: طائفة تقاتل العدو، وطائفة صلى بهم ركعة فقط، ثم ثبت قائماً فأتموا لأنفسهم، وذهبوا يقاتلون العدو، فجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم الرسول الركعة التي

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: (ح: ١٥٤٨).

(٢) هكذا قال، والصواب: أن مسح الجبيرة عزيمة.

(٣) ينظر: الرسائل والمقالات: (١/ ١٣٠).

بقيت، ثم ثبت جالسًا فأتموا لأنفسهم[1].

فهذه الآية تدل بوضوح على وجوب أداء الصلاة جماعة، وأنها فرض عين؛ لأن الله -تعالى- أمر بها في شدة الخوف وهو مقاتلة العدو وقت الحرب، وأمرهم بأخذ حذرهم وأسلحتهم في أثناء الصلاة، وجعل لهم الرخصة في كثير من شروط الصلاة وتغيير هيئتها وأشياء مما يبطلها في حالة الأمن والطمأنينة، ومع هذا أمرهم بأدائها جماعة.

فلو كان أداؤها سنة لبين لهم الرسول ﷺ؛ لأن الله يحب أن تؤتى رخصه، فلا أنسب من إتيانها بهذا الموقف الشديد[2].

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء:١٠٣].

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ أي: مفروضًا في الأوقات[3].

قال تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء:١١٩].

المراد على ما ذكره المفسرون، هو: أن يقطع شيئًا من الأعضاء، أو يفسد

---

(١) ينظر: الفتاوى والدروس: (٣١٢).

(٢) ينظر: الرسائل المقالات: (٣/ ٩٢).

(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب الصلاة من الروض المربع: (٤/ أ).

شيئاً، فهذا هو تغيير خلق الله، أما بالنسبة للتجميل، فهذا لا بأس به، كالكحل، أو ما يُجمَّل من الأصباغ، أو يعطي اللون بدون إفساد للأعضاء، أو تغيير للأعضاء، فهذا هو الذي لا يجوز[1]. أي: الذي يفسد الأعضاء أو يغيرها.

قال تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١٢٩].

﴿فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ لا تميلوا: إعرابها ظاهر. لا ناهية، ﴿تَمِيلُوا۟﴾: فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعل. ﴿كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾: ﴿كُلَّ﴾ نائبة مناب المصدر؛ لأن المعنى: ولا تميلوا ميلاً كل الميل".

﴿كُلَّ﴾: مضاف، و ﴿ٱلْمَيْلِ﴾: مضاف إليه، مجرور بالمضاف، وعلامة جره الكسرة الظاهرة"[2].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ أي: بالعدل.

---

(١) ينظر: الفتاوى والدروس: (٨٥٧). وقوله: "فهذا هو الذي لا يجوز" لعل مراده ما أفسد الأعضاء، أو غيرها.

(٢) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (١٢/ ب).

﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾، ومعناها: أن الله أمر المؤمنين بالعدل، وأمرهم بأن لا يجوروا، ولا يظلموا أحداً، وأنهم في الشهادة يؤدونها للفقير على الغني، وللغني على الفقير[١].

فالآيةُ تدلُّ بعمومِها على مراعاةِ العدل، والمحافظة عليه في النفس، والأقارب، والأغنياء، والفقراء؛ فلا تَجُوز الشهادةُ على الغنيِّ للفقير؛ لضعفِه، رحمةً به وإحسانًا إليه، ولا على الغني؛ لقوته، بل أمر- تعالى- بالعدلِ، واتِّباع شرعِه في ذلك، فيُشْهَد للغنيِّ على الفقير، وللفقير على الغني، مراعيًا في ذلك الحقَّ والعدل، مؤدِّيـًا للشهادة الحقة، فإذا كان الله نهى عن الشهادة للفقير لفقرِه، فكيف بابتزازِ أموال الأغنياء بحجَّة إعطائها الفقراء، ومساواتِهم في ذلك، فهذا خلافُ العدل المأمورِ به في هذه الآية، وخلافٌ لشرعِ الله ودينِه الذي فَاضَل بين الناس، بأن جعل هذا غنيـًا، وهذا فقيراً، وهذا شريفـًا، وهذا وضيعـًا، وهذا مَلِكـًا، وهذا صُعلوكـًا؛ فالله أعلم بمصالح خَلْقِه، وهو الغاية في العدل، فَاوَت بين الناس، وفَاضَل بينهم بما تقتضيه حِكمته وإرادته ومما يزيد الأمر وضوحـًا أن الرسول ﷺ كان لا يؤمم مال أحد، ولا يعادل الأموال بين الأغنياء والفقراء لا في حالة الشدة ولا في حالة الرخاء؛ فقد كان في الصفة بمسجده الشريف فقراء لا يجدون القوت إلا من صدقات الناس عليهم وفي المدينة كثير من الأغنياء، وما رأيناه ﷺ أمم مال أحد من أغنياء المدينة ولا عادل بينهم وبين الأغنياء في

(١) ينظر: الفتاوى والدروس: (٨٣٣).

أموالهم، وهم أحوج ما يكون إلى ذلك. وأيضاً عندما أراد الرسول ﷺ تجهيز جيش العسرة في غزوة تبوك رأيناه يحث الأغنياء ويرغبهم على تجهيزه بما يستطيعون وكيفما يستطيعون، وتباروا يستبقون للتجهيز بما يقدرون عليه فاختلفت مساعداتهم بحسب اقتدارهم المادي ورغباتهم الجامحة في الخير؛ فلو كان المال ملكًا للأمة ولم يكن ملكا لملاكه الذين اكتسبوه بطرق الكسب المعروفة في التشريع الإسلامي لانتزعه ﷺ من أيدي الأغنياء وجهز به الجيش الغازي في أحرج ظروف عرفتها تلك الغزوة، ولم يكن ﷺ في حاجة إلى ترغيبهم وحثهم في المساعدة على التجهيز[1].

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٤١].

ما معنى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ﴾؟ أي: نفياً مؤبداً أن يكون للكافر سلطة على المؤمن، يعني: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ليس للكفرة سلطانٌ على المؤمن، بل المؤمنون هم الذين لهم السلطة ولهم العز. والآية الأخرى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩]، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧]. ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨]، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ

(١) ينظر: الرسائل والمقالات: (١/ ٢٠٠).

خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور:٥٥]. قد تقول، أو يقول غيرك: أين وعد الله، هذا وعد الله؟. فنجد المسلمين، أو المؤمنين هم أضعف الناس، وهم أحط الأمم، بل بلادهم تقتطع شبراً شبراً، وداراتهم هذه حالتها، أين وعد الله في قوله: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾؟ نقول لك: هذا وعد الله. اعرف المؤمنين الذين وعدوا بذلك. الله أخبرنا بأنه لا سلطة للكافر على المؤمن، بل السلطة للمؤمن على الكافر، لكن من هو هذا المؤمن؟ متى نكون مؤمنين حتى يحصل لنا ما دل عليه القرآن؟، وما صفة المؤمنين الذين هذه حالتهم؟ صفتهم جاءت في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾[الأنفال:٢-٤]، فهل هذه الأوصاف الخمس تنطبق؟ فقوله: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ انظر لنفسك، هل إذا ذُكر الله رقَّ قلبك، وخشع قلبك، ودمعت عينك، وأصابك من الخوف، والرعدة خوفاً من الله وتعظيماً لله ما يصيبك؟ أم مجرد مر على الأذن، كأنها لم تكن مطلقاً؟ هذه هي الصفة الأولى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

ثانياً: الصفة الثانية: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ فهل إذا تلي عليك القرآن زادك إيماناً؟ ومن لازم زيادة الإيمان: الائتمار بأوامر القرآن، والانتهاء عن نواهي القرآن، واتباع ما جاء به القرآن، أو مجرد سماع لا تدري ماذا تقول، ولا تفهم حتى المعنى؟

الثالثة قوله: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: أي يعتمدون على الله، ويفوضون أمورهم إليه، وهذا لا ينافي تعاطي الأسباب. بل عليك أن تعتمد على الله، وتتوكل على الله، لكن لابد من تعاطي الأسباب، كما في السورة نفسها: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال:٦٠].

الصفة الرابعة قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: يؤدون الصلاة بشروطها، وأركانها، وواجباتها، وسننها، في أوقاتها. بخشوع، وخضوع، مستحضراً المصلي عظمة من قام بين يديه، وتهيأ لخدمته، مؤدياً للصلاة، على النحو الذي كان النبي ﷺ يؤديها، هل هذا منطبق؟

الصفة الخامسة: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ يؤدون زكاة أموالهم، طيبة بها نفوسهم، يؤدونها للفقراء والمساكين: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾ [التوبة:٦٠]. فإذا انطبقت هذه الأوصاف قال الله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾، وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٤١]. ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩][(١)].

﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٤١].

يخبر الله بأنه لا يمكن أن يكون للكافر سلطة على المؤمن أبدا، بل السلطة للمؤمن على الكافر، كما جرى لسلفنا الصالح؛ فإن ما تقرأ في التأريخ وأخبار من مضى تعرف به معنى هذه الآيات، حيث طبقوها وطبقوا سنة رسول الله ﷺ؛

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١٢/ب). وأيضاً في (١٧/أ) من نفس المجموعة.

ولهذا لم تهزم لهم راية، وفتحوا البلاد لا لقصد المال ولا لقصد السيطرة كما يقوله بعض العصريين في كتبهم، يقولون: إن العرب كانوا في شدة من الجوع ففتحوا البلاد من أجل المال أو من أجل شيء، أبدا فتحوها ليخضعوهم لأوامر القرآن ونواهيه كما هو معلوم، فإن عمر رضي الله عنه لما بعث جيش المسلمين إلى العراق وقاتلوهم فجعلوا يفتحون البلاد بلدا بلدا ورستم ينتقل من بلد إلى أخرى، والمسلمون خلفه، كتب رستم إلى ملك الصين يقول له: إن شرذمة قليلة داهمت بلادنا من بلاد العرب، استباحت أموالنا وانتهكت حرماتنا، الغوثَ الغوث قبل أن يصل إليك الخطر، فبعث بالكتاب إلى ملك الصين، لما قرأ الكتاب فزِع ودعا بمن جاء بالكتاب وخلا به، قال: ويحك أخبرني عن هذه الشرذمة القليلة من العرب التي دهمت بلاد فارس وقد مضى لها في الملك أكثر من أربعة آلاف سنة، قال عن أي شيء تسأل أيها الملك؟ قال: ماذا يقولون لكم؟ قال: يقولون لنا: اعبدوا الله وحده لا شريك له، وينهوننا عن عبادة الأوثان، ويأمروننا بصلة الأرحام والعفاف، قال: إذا أعطيتموهم ما طلبوا؟ قال: ذهبوا وتركونا، قال: هل يغدرون إذا عاهدوا؟ قال: لا، قال: هل يوفون إذا وعدوا؟ قال: نعم، قال: وما عبادتهم؟ قال: هي خمس صلوات في اليوم والليلة، إذا حضرت قاموا يؤدّونها منتظمين صفوفا خلف إمامهم، هي أحب إليهم من أنفسهم ونسائهم وأبنائهم، قال: ارجع إلى رستم فقل له: نُصالح القوم، فإنه والله لا طاقة لي ولا له بهم، والله لو حاربوا الجبال لزحزحوها من أمكنتها ما داموا على هذه الحالة، هذا دين من تمسك به ساد، ومن ضيعه ضاع، هذا وعد ربك ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧].

هذا وعد الله يقول: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٤١] أي: سلطانا، وأن الآية دلت على أنه لا سلطة للكافر على المؤمن(١).

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٥٠].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ يعني: يكفرون بما جاء به الرسول(٢).

قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤].

﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾: الواو: بحسب ما قبلها. ﴿كلم﴾: فعل ماض، مبني على الفتح. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره. ﴿مُوسَىٰ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة المقدرة على الألف، منع من ظهورها التعذر. ﴿تَكْلِيمًا﴾: مصدر مؤكد لعامله(٣).

قال تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَـٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [النساء:١٧٦].

---

(١) ينظر: الرسائل والمقالات: (٢/ ٣٢٩).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (٢/ أ).
(٣) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (١٢/ أ).

﴿إِنِ﴾: حرف شرط. ﴿ٱمۡرُؤٌاْ﴾: فاعل لفعل محذوف دليل عليه ما بعده، التقدير إن هلك امرؤ هلك[1].

(١) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٩/أ).

سورة المائدة

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٣].

﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ أي: وما ذبح لغير الله، فهو حرام أكله[(١)].

﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ﴾ إن الكفار أيسوا من رجوع المسلمين عن إسلامهم إلى دين الكفر، فالرسول نسب الإياس إلى الشيطان، ولم يقل: إن الله آيسه، فالإياس الحاصل من الشيطان، لا يلزم تحقيقه واستمراره، ولكن عدو الله لما رأى ما ساءه من ظهور الإسلام في جزيرة العرب وعُلُوّه؛ أيس من ترك المسلمين دينهم الذي أكرمهم الله به، ورجوعهم إلى الشرك الأكبر.

فالكل يئس من ارتداد المسلمين وتركهم دينهم، ولا يلزم من ذلك امتناع وجود الكفر في أرض العرب؛ ولهذا قال ابن رجب عن الحديث: «إن الشيطان يئس أن تجتمع الأمة على أصل الشرك الأكبر، يوضح ذلك ما حصل من ارتداد أكثر أهل الجزيرة بعد موت النبي ﷺ وقتال الصديق والصحابة لهم على اختلاف تنوعهم في الردة، وقال أبو هريرة رضي الله عنه: "لما مات النبي ﷺ وكان أبو بكر،

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٦/ ب).

وكفر من كفر من العرب، وردة بني حنيفة،....إلخ"»[١].

ولا دلالة في هذا الحديث لمن قال بعدم وقوع الشرك في جزيرة العرب، فوقوع الشرك فيها معلوم بالضرورة؛ كارتداد الكثير في جزيرة العرب، وكفر مسيلمة وأصحابه، والأسود العنسي، وأمثالهم كثير، فهل يقال: إنهم ليسوا بكفار، بناء على حديث: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ»[٢]، أعتقد أنه لا قائل بهذا[٣].

والقائلون بأن هذه الأمة لا يقع فيها شرك، يستدلون بقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ يقولون: ما دام أن الله أكمل لنا الدين، وبين لنا الرسول البلاغ المبين، ورضي الرب لنا الإسلام دينًا، ونحن متمسكون به، أي شرك يقع والدين قد كمل؟! ويستدلون بما رواه مسلم «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»[٤]. قالوا: كل هذا يدل على أن هذه الأمة لا يقع فيها شرك.

والجواب عن هذا واضح، فإن قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ إن الله أكمل لنا الدين حينما أنزلت هذه الآية، وفهم حبر الأمة عبدالله بن عباس أن الشيء إذا كمل، لابد أن يعتريه النقص. فما من شيء كمل، إلا ومآله إلى النقص بكل حال[٥].

---

(١) ذكر نحو هذا الكلام في لطائف المعارف (ص: ١٨٠) لابن رجب.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: (ح: ٢٨١٢) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) **ينظر**: الرسائل والمقالات: (١/ ٢٢٠).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١٦/ ب).

يعني: أيس أن ترجعوا إلى دينهم، وأن توافقوهم؛ فإن الكفار أيسوا من رجوع المسلمين عن إسلامهم إلى دين الكفر(١).

قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ نزل عشية عرفه، يوم الجمعة(٢).

﴿ٱلْيَوْمَ﴾: ظرف منصوب بالفتحة الظاهرة على آخرة. ﴿أَكْمَلْتُ﴾: أكمل: فعل ماض. والتاء: ضمير متصل، مبني على الضم، في محل رفع فاعل. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور، اللام: حرف جر، والكاف: ضمير متصل، مبني على الضم، في محل جر باللام، والميم علامة الجمع. ﴿دِينَكُمْ﴾: دين: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره. ودين: مضاف، والكاف: ضمير متصل، مبني على الضم، في محل جر بالمضاف. والميم: علامة الجمع(٣).

قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وإنه لمن أعظم الضلال أن يعتقد من يدعي الإسلام أن الشريعة لم تأت بما يكفل مصلحة الجميع، وأن الناس محتاجون إلى غيرها في شيء من شؤونهم ومشاكل حياتهم، أليس ذلك طعناً وتكذيباً؟

يا له من دين، ما أجله وما أكمله!، فإنَّ من تأمل حكم هذا الدين القويم، والملة الحنيفية، والشريعة المحمدية، التي لا تنال العبارة كمالها، ولا يدرك

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (٢/ ب)، (ص١٠٥).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٣/ ب).
(٣) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (١٢/ أ)، وأيضاً في: (٢/ ب).

الوصف حسنها، ولا تقترح عقول العقلاء ولو اجتمعت وكانت على أكمل عقل رجل منهم مثلها، وإنه لمن أعظم الضلال، أن يعتقد من يدعي الإسلام، أن الشريعة لم تأت بما يكفل مصلحة الجميع، وأن الناس محتاجون إلى غيرها في شيء من شؤونهم ومشاكل حياتهم. أليس ذلك ظنا وتكذيبا لقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وإنكارا وردا لقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]؟

وإننا لنربأ بحكومتنا السنية، ورجالها المصلحين أن يفسدوا ما تمسكوا به من تعاليم هذا الدين الحنيف، بإدخال بعض هذه النظم، والقوانين المخالفة للشريعة على المسلمين، أو يلزموهم بها، فيبوؤوا بالإثم، وتتناولهم هذه الآية الكريمة: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥]. فلما تقدم من الأدلة الشرعية على وجوب التمسك بحكم الله ورسوله، وأن لا يلتفت إلى ما سواهما، وبراءة للذمة، ورجاء للمثوبة من عند الله، رأيت أن أبين ما قد لاحظته(١).

قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ والطعام هنا: هي الذبائح، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما(٢).

---

(١) ينظر: الرسائل والمقالات: (٢/ ٣٦٣).

(٢) ينظر: الفتاوى والدروس: (ص٧٩٠) و (ص٧٩٣) ذكر ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ وهم اليهود والنصارى[(١)].

﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يعني: أباح الله لكم المحصنات من الذين أتوا الكتاب[(٢)].

لا باس بزواج المسلم من النصرانية أو اليهودية؛ لأن الله يقول: ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾، فدل على جواز تزوج المسلم من اليهودية أو النصرانية إذا كانت اليهودية تعمل بالتوراة، والنصرانية بالإنجيل، فلا مانع حينئذ من الزواج؛ لكن الأكمل والأولى ألا يتزوجها، بل ينبغي ألا يتزوج إلا مسلمة، فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب للصحابة بأن يُطلقوا نساءهم الكتابيات، فامتثلوا لأمر عمر، إلا حذيفة فإنه أبى أن يطلقها، ثم بعد ذلك طلقها، فقيل له: لم فعلت هذا؟ فقال: أريد أن أعلم أمير المؤمنين وغيره أن الله أباح لنا، ولا أطلقها لقول أمير المؤمنين، وهذا هو مذهب جمهور أهل العلم[(٣)].

وأما جمهور العلماء فيقولون إنه جائز إذا كانت اليهودية متمسكة بالتوراة، والنصرانية متمسكة بالإنجيل، وهذا هو الصحيح. أما أهل الكتاب اليوم فإنهم ليسوا أهل كتاب، بل الأغلب عليهم أنهم إما دهريون، وإما

---

(١) ينظر: فتاوى نور على الدرب: ٢٢.

(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب الزكاة من الروض المربع: (٥/ ب).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير: (ح: ١٣٠١٣) والمقدسي في المختارة من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما «وَقَدْ نَكَحَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ يَهُودِيَّةً، وَنَكَحَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ نَصْرَانِيَّةً، فَغَضِبَ عُمَرُ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى هَمَّ أَنْ يَسْطُوَ عَلَيْهِمَا، فَقَالُوا: نَحْنُ نُطَلِّقُ، وَلَا تَغْضَبْ، فَقَالَ عُمَرُ: لَئِنْ حَلَّ طَلَاقُهُنَّ لَقَدْ حَلَّ نِكَاحُهُنَّ، وَلَكِنْ لَنَنْتَزِعُهُنَّ صُغْرَةً قِمَاءَةً».

شيوعيون. وهذا هو الأغلب، كما أن المسلمين اليوم بحاجة إلى زيادة تمسك بالإسلام، ويعرفون الله حق المعرفة، فيصلون، ويصومون، ويتمسكون بالشريعة الإسلامية، ولا يكونوا مجرد منتسبين للإسلام فقط، ويزعمون أنهم مسلمون!!

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [المائدة:٦].

قال بعض السلف: إذا سمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فارعِ لها سمعك فإنه خير تؤمَر به أو شرٌ تُنهى عنه[(١)].

﴿إِذَا قُمۡتُمۡ﴾ أي: إذا أردتم القيام إلى الصلاة[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾ يبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية صفة الوضوء الذي لابد منه، وقد أوضحه أيضاً رسول الله ﷺ كما في الصحيحين[(٣)]

(١) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: (٣/ ٧١٨).
(٢) ينظر: الفتاوى والدروس: (ص٢١٧).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: (ح: ١٦٤) من حديث عثمان، وأخرجه مسلم في صحيحه: (ح:٢٢٦).

وغيرهما من حديث عثمان بن عفان، وحديث عبد الله بن زيد بن عاصم، وغيرهما من الأحاديث، وصفة ذلك: هو أن المتوضئ عندما يريد أن يتوضأ عليه أن يغسل يديه ثلاثا، وهذا سنة ليس من فرائض الوضوء، فإذا غسل يديه ثلاثا بعد ذلك يسمي لما ورد في الحديث: «لَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ»[1]، فيتمضمض ويستنشق، والمضمضة معناها: إدارة الماء في جميع الفم، وهي فرض من فرائض الوضوء على مذهب الإمام أحمد، وكذلك الاستنشاق.

وذهب أكثر أهل العلم إلى أن المضمضة والاستنشاق من سنن الوضوء، لو تركهما المتوضئ صح وضوئه، أما مذهب الإمام أحمد فإنهما فرضان من فرائض الوضوء ولابد منهما بكل حال، واستدل الجمهور على أن المضمضة والاستنشاق سنة بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ قالوا: ليس فيه ذكر للمضمضة ولا للاستنشاق، فدلَّ على أنهما سنة، وذهب الإمام أحمد إلى فرضية ذلك مستدلًا بما كان النبي ﷺ يفعله، ففعل الرسول مبين لما أُجمِل في الآية، والمضمضة والاستنشاق داخلان في مسمَّى غسل الوجه، فقد جاء في حديث علي رضي الله عنه أنه كان يتمضمض، وكذلك أيضاً في حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه ولفظه: أن النبي ﷺ كان يأخذ كفًّا من ماء فيمضمض ويستنثر ثلاثًا، وفي حديث لقيط بن صَبِرَة رضي الله عنه: «إِذَا تَوَضَّأْتَ فَمَضْمِضْ»[2]، فقوله: «إِذَا تَوَضَّأْتَ فَمَضْمِضْ» دلَّ على الوجوب،

(١) أخرجه أبو داود في سننه: (ح:١٠١)، والترمذي في جامعه: (ح: ٢٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه أبو داود في سننه: (ح:١٤٤).

والحاصل أن المتوضئ ينبغي أن يتمضمض ويستنشق، ثم يغسل وجهه ثلاثا من منابت الشعر المعتاد إلى ما انحدر من اللحيين والذَّقن طولا، ومن الأذن إلى الأذن عرضا، هذا هو الذي يجب غسله في الوجه، أما لو لم يغسل الجبهة بأن قَصَر عنها لا يجوز له ذلك، أو أنه لم يغسل اللحية لم يجز له ذلك، فالواجب غسله هو من منابت الشعر المعتاد إلى ما انحدر من اللحيين والذَّقن طولا ومن الأذن إلى الأذن عرضا، لكن لو غسل وجهه ثم تمضمض بعدُ واستنشق بأن أخَّر المضمضة والاستنشاق بعد غسل الوجه هل هو جائز؟ نقول لك: نعم لا بأس به، فإنه لا فرق بين ما لو قدَّم المضمضة والاستنشاق قبل غسل الوجه أو أخرهما بعد غسل الوجه كل ذلك جائز؛ لدخولهما في مسمَّى غسل الوجه، والواجب مرة، فإذا غسل وجهه غسلة واحدة وعمَّ الوجه كله ولو مرة واحدة كفاه، ولكن المرتان أفضل من الواحدة، والثلاث أفضل من الثنتين، ثم بعد ذلك يغسل يديه إلى المرفقين كما في حديث جابر أن النبي ﷺ كان إذا توضأ أدار الماء على مرفقيه[(١)]، فيغسل يده اليمنى ثلاث مرات إلى المرفق، ثم اليسرى ثلاث مرات إلى المرفق، فلو قدَّم غسل اليسرى قبل اليمنى نقول: لا بأس بذلك، قال علي رضي الله عنه: «مَا أُبَالِي إِذَا تَمَّمْتُ وُضُوئِي بِأَيِّ أَعْضَائِي بَدَأْتُ»[(٢)]، إلَّا أن البداءة باليمين هو الأفضل؛ لِما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ «يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ، فِي تَنَعُّلِهِ، وَتَرَجُّلِهِ، وَطُهُورِهِ، وَفِي

---

(١) أخرجه البيهقي في سننه: (ح: ٢٥٦)، والدار قطني في سننه: (ح: ٢٧٢).
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه: (ح: ٤١٨).

شَأْنِهِ كُلِّهِ»[1]، قالوا: هذا يدل على أنه سنَّة، فلو قدَّم غسل يده اليسرى قبل اليمنى، أو رجله اليسرى قبل رجله اليمنى لا بأس بذلك، إلَّا أن الأفضل والأكمل أن يبدأ باليمين قبل اليسار، فإذا غسل يديه ثلاثا مسح برأسه وهذا لابد منه، فإن مسح الرأس له ثلاث صفات:

أولهما: يبدأ من مقدم رأسه بيديه يذهب بيديه إلى قفاه، ثم يردهما إلى المكان الذي بدأ منه، كما في حديث عبد الله بن زيد، وإن بدأ من مؤخر رأسه بيديه يأتي بيديه معمماً رأسه إلى مقدَّم رأسه لا بأس بذلك، أو بدأ بالوسط كما في حديث الربيِّع بنت معوذ بن عفراء، بدأ من وسط رأسه يأتي بيديه إلى مقدمه ثم يردهما إلى مؤخره جاز. والحاصل: أنه لابد أن يمسح رأسه كله، يبدأ من مقدم رأسه يذهب بيديه إلى قفاه ثم يردهما إلى المكان الذي بدأ منه، هذا هو الذي جاءت به السنة، وكل ذلك دلَّت عليه الأحاديث، وأيضــًا لابد أن يعمم الرأس كله، لكن لو ترك شعرتين أو ثلاثـًا أو أربعـًا لم يصل إليهما المسح لا بـأس بذلك لعموم المشقة، ولابد أيضـًا من مسح الأذنين كما في حديث عبد الله بن زيد وعبد الله بن عمرو، فإن النبي ﷺ كان يمسح أذنيه يُدخِل أصبعيه السبابتين في صماخي أذنيه ويمسح بإبهاميه ظاهرهما، وقال ﷺ: «الْأُذُنَانِ مِنَ الرَّأْسِ»[2]، وهل يأخذ للأذنين ماءً جديداً، أم يمسحهما بما تبقى من بلل في يديه بعد مسح رأسه؟

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (ح: ١٦٨)، ومسلم في صحيحه: (ح: ٢٦٨).

(٢) أخرجه أبوداود في سننه: (ح: ١٣٤)، والترمذي في جامعه: (ح: ٣٧) وابن ماجه في سننه: (ح: ٤٤٣) من حديث أبي أمامة وأبي هريرة رضي الله عنهما.

ذهب العلامة المحقق ابن القيم إلى: أنه يمسح أذنيه بما تبقى في يديه من بلل بعد مسح رأسه بدون أن يأخذ لأذنيه ماءً جديداً، ويقول: إن هذا هو الأولى والأكمل[(١)].

والحنابلة في كتبهم يقولون: يأخذ ماءً جديداً للأذنين من باب الأفضلية[(٢)]، وإلَّا لو مسح أذنيه بما تبقى من بلل في يديه لا بأس بذلك، والحاصل: إنما هو من باب الأفضلية، وإلَّا فمتى حصل المسح للأذنين بأن أدخل أصبعيه السبابتين في صماخي أذنيه ومسح بإبهاميه ظاهرهما كفى.

ولا يُشترط في مسح الأذنين أن يمسح اسطوانة الأذن، ولا أنه يمسح الغضاريف وهي المنعطفات في الأذن، هذا لا يُشترط مسحه في الوضوء.

ثم يغسل رجليه إلى الكعبين، يبدأ باليمنى ثم اليسرى، وكما تقدم لو غسل اليسرى قبل اليمنى لا بأس بذلك؛ لقول علي رضي الله عنه: «مَا أُبَالِي إِذَا تَمَّمْتُ وُضُوئِي بِأَيِّ أَعْضَائِي بَدَأْتُ»[(٣)].

ولابد مع ذلك من الترتيب والموالاة بين الوضوء، يغسل أولا وجهه ثم يديه، ثم يمسح رأسه ثم رجليه، ولابد من الموالاة، وهو أن لا يؤخر غسل عضو حتى ينشف الذي قبله، فلو غسل رجله اليمنى وخلص الماء فذهب ليتطلب الماء فلم يجد حتى يبست أعضاؤه في الزمن المعتدل؛ وجب عليه إعادة

---

(١) ينظر: زاد المعاد لابن القيم: (١/ ١٨٧).

(٢) ينظر: المغني لابن قدامة: (١/ ٧٩).

(٣) سبق تخريجه.

الوضوء، ولا يكفيه غسل رجله اليسرى إلَّا إذا وجد الماء قبل نشوف أعضائه من رطوبة الماء في الزمن المعتدل.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة:١٢].

﴿وَبَعَثْنَا﴾ بعث: فعل ماض، ونا: ضمير متصل في محل رفع فاعل. ﴿مِنْهُمُ﴾: جار ومجرور، من: حرف جر، والهاء: ضمير متصل، في محل جر. والميم علامة الجمع. ﴿ٱثْنَىْ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الياء، نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بالمثنى. ﴿عَشَرَ﴾ مبني على الفتح، لا محل له من الإعراب؛ لوقوعه موقع نون المثنى. ﴿نَقِيبًا﴾: تمييز منصوب وعلامة نصبه الفتحة(١).

قال تعالى: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة:١٦].

﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ﴾ يعني: بالقرآن، ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ

---

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه، في شرحه لمقدمة الآجرومية: (١٣/ أ)، وفي (٥/ أ) إعراب قوله: ﴿مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾.

﴿سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ أي: طرق السلام[1].

قال تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣].

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾ أي: فوض أمرك إليه، واعتمد عليه إن كنت مؤمنًا، والإيمان ينتفي بانتقاء التوكل[2].

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض. ﴿رَجُلَانِ﴾: فاعل مرفوع بالألف نيابة عن الضمة؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن الحركة. ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾: جار ومجرور، ﴿مِنَ﴾: حرف جر. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول، مبني على الفتح، محله الجر. ﴿يَخَافُونَ﴾: فعل مضارع، مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعل[3].

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:٣٣].

---

(١) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢١/ ب).

(٢) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٣/ ب).

(٣) **ينظر**: تصويب الشيخ لطلابه، في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٤/ أ).

هذا قاطع الطريق، أخذ المال، وقتل. مثلاً وافقك قاطع طريق، وأخذ مالك وقتلك، ما حكمه؟ هذا إذا قبضنا عليه نقتله، ثم نغسله ونكفنه ونصلي عليه، ثم نصلبه بالعامود، حتى يراه الناس. هذا معنى قوله: ﴿يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ﴾[1].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة:٣٥].

﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ أي: تقربوا إلى الله بالوسائل التي تقربكم منه. والوسائل جمع وسيلة، والوسيلة هي العمل الصالح[2]. فعطف الوسيلة على الأمر بتقوى الله، من باب عطف الخاص على العام. إذ التقوى كلمة جامعة لفعل المأمورات، وترك المنهيات[3].

والتوسل إلى الله بطاعة النبي ﷺ؛ فهذا فرض واجب لا يتم الإيمان إلا به، وكذلك التوسل إليه بالأعمال الصالحة؛ كالصلاة والزكاة والصوم والحج إلى غير ذلك مما أمر الله به ورسوله، والوسيلة هنا هي التقرب إلى الله بما يجب من امتثال أمره وأمر رسوله[4].

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب الجنائز من الروض المربع، (مسموع: صدر عن الإبانة السمعية بجدة): (٢/ ب).

(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١٠/ أ).

(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١/ ب).

(٤) ينظر: الرسائل والمقالات: ٣/ (٣/ ٦٧).

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ [المائدة: ٣٥]، قلنا: الآية حق، فصلاتك الآن التراويح[١] هذه وسيلة، وعمرتك وسيلة، وطوافك بالبيت وسيلة، وصومك أيضًا في رمضان أو في غيره وسيلة، فالمراد أنك تتوسل إلى الله بالأعمال الصالحة، لا بذوات المخلوقين، هذا معنى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾. قال: ﴿وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ [المائدة: ٣٥]، من باب عطف الخاص على العام؛ وهذا كله هو معنى شهادة أن محمداً رسول الله.

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة:٣٨]. لقد جعل في سرقة المال حدًّا يتلى في كتاب الله إلى يوم القيامة، والغرض من قطع اليد هو إزالة هذا العضو الفاسد؛ استصلاحا لبقية الجسم، وحفظا لأموال الناس، وإذا كان القطع يؤدي إلى مفسدة أكبر منها؛ تغيرت الفتوى، ووقف القطع، كما لو سرق والناس في حالة الحرب مع الكفار، وخشي أن يذهب إلى الكفار، وينحاز إلى صفوفهم، ويقاتل معهم ضد المسلمين، ويلحق بهذا أسرته وأقاربه ضرر وعار، ويدخل في قلوب المحاربين من المسلمين ضعف ووهن؛ ترك القطع لهذه المصلحة[٢].

قال تعالى: ﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة:٤٢].

(١) لأن درس الشيخ رحمه الله كان في رمضان. (الشيخ صالح).
(٢) ينظر: الرسائل والمقالات: (١/ ١٢٨).

يعني: أكالون للرشوة؛ لأن السحت هو: الرشوة[1].

﴿بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ أي: بالعدل، فدلت الآية الكريمة على الأمر بالعدل، وأن خيرا عظيما يحصل للحاكم بالقسط؛ هو محبة الله له، وناهيك بها من محبة، فما بعد محبة الله إلا الحياة الطيبة في الدنيا، والعيشة الراضية في الآخرة[2].

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ [المائدة:٤٨].

﴿إِلَى﴾: حرف جر. ﴿ٱللَّهِ﴾: اسم الجلالة، اسم مجرور بإلى، وعلامة جره كسر الهاءِ تأدباً مع الله. ﴿مَرۡجِعُكُمۡ﴾: مرجع: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره. مرجع: مضاف، والكاف: مضاف إليه، مبني على الضم، في محل جر بالإضافة. والميم: علامة الجمع. ﴿جَمِيعٗا﴾: حال[3].

قال تعالى: ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾ [المائدة: ٤٥]، قد علم من له أدنى معرفة بالشريعة أنه لم يحصل بين المسلمين أي تفريق

---

(١) ينظر: الفتاوى والدروس: (٩٢٥).

(٢) ينظر: الرسائل والمقالات: (٤/ ٣١٤).

(٣) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٢/ أ).

من حيث الدية، وصح أن النبي ﷺ قال: «الْمُؤْمِنُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ»(١)، وهذا النظام المفرق بين المسلمين في الديات؛ مضاد لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومخالف لما أجمعت عليه الأمة، فلا فرق بين الصغير والكبير، والغني والفقير، والسيد والمسود في الدية. ومن تأمل أسرار الشريعة في مساواة المسلمين بتكافؤ دمائهم، علم بطلان هذا النظام الخاطئ، لكن يستثنى من ذلك الفرق بين الحر والعبد، وبين الذكر والأنثى، والمسلم والكافر(٢).

قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

إضافة الحكم إلى الجاهلية، إضافة عيب وذم، كالقوانين الوضعية، التي تجمع من آراء الرجال، ونحاتة الأفكار، وزبالة الأذهان؛ يعارضون بها حكم الله ورسوله، ويقولون: هذا أصلح للناس، وهذا أضبط لحقوقهم، وهذا أنفع. نقول: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا﴾ أي: لا أحسن حكماً من حكم الله سبحانه وتعالى. ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أي: يؤمنون حقيقة بما جاء به الرسول ﷺ من القرآن والسنة، بل حكم الجاهلية، هو من الفساد في الأرض، وذلك كما قال ابن كثير(٣): مثل نظام جنكيز خان والد التتار(٤).

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده: (ح:٩٥٩)، والدارقطني في سننه: (ح: ٣٢٥٦) والحاكم في مستدركه: (ح: ٢٦٣٩) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) ينظر: الرسائل والمقالات: (٢/ ٣٩٥).

(٣) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير: (١٣/ ٤٤).

(٤) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٧/ أ).

عدل كثير من المسلمين عن أحكام الشريعة، ولكن فما لبث أبناؤهم أن حرقوا فانحرفوا، وتمزقوا بعدما اجتمعوا، واشتبه الحق عليهم والباطل، فتفرقت بهم السبل، وأصبحوا شيعا، متفرقين في آرائهم، متباينين في مقاصدهم. وكيف يحصل لهم الرقي، وأنى يتسنى لهم التقدم، وقد رضوا بقوانين وضعية، استمدوها من أعدائهم، يجرون وراءهم، وينهجون نهجهم تقليدا لهم، ومصادمة للشريعة الإسلامية، التي هي عزهم وفخرهم، وفيها راحتهم وطمأنينتهم.

والله ﷻ يقول: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، ويقول جل شأنه: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]، وقال ﷻ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩][1].

فدلت هذه الآيات الكريمة على كفر وظلم وفسق من لم يحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وفيها الأمر بالحكم بما أنزل الله والنهي عن اتباع الهوى والتحذير عن العدول عن ذلك إلى غيره[2].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧].

---

(١) ينظر: الرسائل والمقالات: (٢/ ٣١٤).

(٢) ينظر: الرسائل والمقالات: (٤/ ٣٢٧).

التبليغ: تارة يكون بالقول، وتارة يكون منه بالكتابة، فقد كتب إلى ملوك الأطراف، وإلى المقوقس، وإلى قيصر، وإلى كسرى، وإلى كثير من البلاد، فاكتفى بهذه الكتابة، أنه بلَّغهم رسالة ربه[1].

قال تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].

دلت الآية على شدة وعيد من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن بني إسرائيل لما تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعنوا على ألسنة رسلهم. واللعن هو: الطرد والإبعاد عن الله وعن رحمته، وأي عقوبة أعظم من هذه؟

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ الآية [المائدة: ٧٨]. قال: «لعنوا بكل لسان، لعنوا على عهد موسى في التوراة، ولعنوا على عهد داود في الزبور، ولعنوا على عهد عيسى في الإنجيل، ولعنوا على عهد محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن»[2]،[3].

قال تعالى: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ [المائدة٧٩].

أي: لا ينهى بعضهم بعضاً عن ارتكاب المآثم، والمحارم. ثم ذمهم على

---

(١) ينظر: نور على الدرب:٦.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: (١٠/ ٤٨٩).

(٣) ينظر: الرسائل والمقالات: (٤/ ٢٤٦).

ذلك؛ ليحذر من ارتكب مثل الذي ارتكبوه، فقال تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾، مؤكداً بلام القسم، تقبيحاً لصفتهم، وتحذيراً من سوء فعلهم[1].

قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة:٨٩].

﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ مخير.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ قرأ ابن مسعود: متتابعة[2].

﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ المراد هو: أنه إذا وقع منك يمين، وحنثت، ينبغي أن تحفظها بالتكفير. هذا هو رأي ابن جرير. يعني: لو صدر منك يمين، وحصل الحنث. فحفظ اليمين حينئذ هو: بتكفيرها. ولكن ابن عباس رضي الله عنه يرى خلاف هذا. يرى أن معنى قوله: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ أنك لا تحلف أصلاً. فأنت إذا حلفت، لم تكن حافظًا ليمينك، حتى ولو كفرت. وإنما المراد ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ أي: أنك لا تبذل اليمين، ويكون دائمًا اليمين على لسانك، بل أمسك

---

(١) ينظر: سماحة العلامة ابن حميد في عيون محبيه: (٤٧٥). نقلاً عن: مقال للشيخ بعنوان: وجوب تبليغ الدعوة، والقيام بها، نشر في مجلة البحوث الإسلامية بتأريخ: ١٣٩٥هـ.

(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب الصيام من الروض المربع: (٣/أ). وفي الفتاوى والدروس: (٨١٢)، ذكر قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فقط.

لسانك، لا تعرض الله عز وجل في أيمانك. وقيل المعنى: إذا حلفت فبر بقسمك، لا تحنث. كما لو قلت: والله لا أبيع هذا الشيء. لا تبعه، بل احتفظ بيمينك. لكن القولان الآخران متلازمان. والمعنى هو: أنك تتحفظ على اليمين، بأن لا تبذلها، ولا تعود لسانك على الحلف بالله، سواء كفَّرت، أم لم تكفِّر، فإذا وقع منك شيء من ذلك وحنثت، فلا بد من التكفير[1].

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴾ [المائدة:١٠١].

﴿لَا﴾: ناهية. ﴿تَسۡـَٔلُواْ﴾: فعل مضارع، مجزوم بلا الناهية، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعل. ﴿عَنۡ أَشۡيَآءَ﴾: جار ومجرور، ﴿عَنۡ﴾: حرف جرٍ، و ﴿أَشۡيَآءَ﴾: مجرور بعن، وعلامة جره الفتحة الظاهرة نيابة عن الكسرة؛ لأنه اسم لا ينصرف. والمانع له من الصرف: علة تقوم مقام علتين، وهي: ألف التأنيث الممدودة[2].

قال تعالى: ﴿ فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة:١٠٧].

آخران: مبتدأ مرفوع بالابتداء، وعلامة رفعه الألف، نيابة عن الضمة؛ لأنه

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٣٢/ ب)، وفي (٢٨/ ب) ذكر الخلاف من غير نسبة إلى قائله.

(٢) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٦/ أ).

مثنى. ﴿يَقُومَانِ﴾: فعل مضارع مرفوع؛ لتجرده عن الناصب والجازم، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة. والألف: ضمير متصل، مبني على السكون، في محل رفع فاعل. ﴿مَقَامَهُمَا﴾: مقام: مصدر منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، وهو مضاف. والضمير: مضاف إليه، والميم والألف حرفان دالان على التثنية[1].

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٤/أ).

سورة الأنعام

قال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ [المائدة:١].

﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ أي: يماثلون، ويساوون معبوديهم من دون الله، يساوونهم بالله[1].

قال تعالى: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الأنعام:١٧].

﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ﴾: إن: حرف شرط جازم. ﴿يمسس﴾: فعل مضارع مجزوم، على أنه فعل الشرط، وعلامة جزمه السكون. ﴿فَهُوَ﴾: الفاء رابطة، هو: ضمير منفصل، مبني على الفتح، محله رفع على الابتداء. ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾: جار ومجرور، متعلق بقدير. ﴿قَدِيرٞ﴾: خبر مبتدأ. الجملة من المبتدأ والخبر، جملة اسمية، في محل جواب الشرط وجزائه، الرابط الفاء[2].

قال تعالى: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٩].

---

(١) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٤/ أ).

(٢) **ينظر**: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٨/ ب).

﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾ أي: بالقرآن. ﴿وَمَنۢ بَلَغَ﴾: كل من بلغه القرآن، فقد بلغته الدعوة[1].

قال تعالى ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ﴾ يا محمد، ﴿ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام:٣٣]، دل على أنهم مصدقون له في الباطن.

قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، قد تكفلت الشريعة بحل جميع المشاكل وتبيينها وإيضاحها؛ ومنها تشريع الخلع والطلاق؛ عند تعذر الوئام بين الزوجين، وعدم التئام حالهما، ونظمت شؤون الأسرة الواحدة عموماً.

وبيَّنت حقوق الوالد وما عليه، وحقوق الأولاد وما عليهم، وجميع الأقارب، وذوي الأرحام كل بحسبه.

ولم يمر بالإنسان طور من أطوار حياته من حين رضاعه إلى إبان وفاته، بل إلى ما بعد ذلك إلا بيَّنته، فبيَّنت الأولى بتغسيله وتكفينه وحمله والصلاة عليه ودفنه وميراثه ووصيته وحقوقه وقضاء ما عليه من الديون وحكم أوقافه ما يصح منها وما لا يصح[2].

قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] إن القرآن كل ما

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١٢/ أ).
(٢) ينظر: الرسائل والمقالات: (٢/ ٣١٤).

يطلبه الإنسان فإنه يجده في القرآن ﴿شَيْءٍ﴾: نكرة في سياق النفي، لكن قد يفهمه البعض وقد لا يفهمه، وقد يدركه البعض ولا يدركه الآخر، فمن أمثلة ذلك: ما كان في كتب الزراعة الحديثة اليوم: زعموا أنهم اكتشفوا في علم الزراعة شيئاً لم يعلمه من كان قبلهم، وأنه من العلوم الجديدة، قالوا: إن النبات يتكون -بإذن الله- من أربعة عناصر، من الماء، والهواء، والتربة، والشمس، فلا بد من هذه الأربعة، فإذا زاد واحد منها ضعف النبات أو تلف، إما يموت أو يتلف، فلابد من توازن هذه العناصر الأربعة: الهواء، والتربة، والماء، والشمس، لابد من هذا، وقالوا: إن هذا من العلوم الجديدة التي لم يعلم بها من سبقنا وهو تكوُّن النبات من هذه العناصر، وأنه لا بد من التعادل، لو زاد الماء أكثر من اللازم مات النبات أو ضعف نموه، أو كثُر الهواء أيضاً مات النبات أو ضعف نموه، وأيضاً التربة أو الشمس، ولم يعلموا أن القرآن سبقهم إلى هذا، لكن القوم لم يفهموا، وإلَّا القرآن أوضح هذا، قال الله -تعالى- في سورة الحجر: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [الحجر: ١٩]، فلاحظ قوله: ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ مما يدل على أن الله خلق الأشياء وضَبَطَها وقدَّرها أحسن تقدير والقرآن جاء بكل شيء.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٨٢]، فالله جعله شفاءً لأمراض القلوب فإنه يشفي القلب من الشك إذا حصل في القلب شك أو حصل ريب أو حصل تردد، عندما تتأمل القرآن وتعرف نَظْم القرآن وعظمة القرآن؛ تجد في قلبك شيئاً من الراحة والطمأنينة، وذوق حلاوة القرآن إذا كان القلب حياً.

فهو أيضاً شفاءٌ للأبدان، كما أنه شفاءٌ للقلوب، وحِفظٌ للأبدان من كل سوء وشر وبلاء؛ إذا صَدَقَ العبد، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ [الإسراء: ٤٥، ٤٦].

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ أي: أنك إذا قرأت القرآن فالله يحفظك به، ويرد عنك به كيد كل كائد، وردَّ كل ما أراد بك سوءًا، مما يدل على هذا ما جاء في حديث أسماء بنت أبي بكر وهو: أن النبي ﷺ كان جالسًا في المسجد الحرام ومعه أبو بكر، جاءت امرأة أبي لهب -أم جميل بنت حرب- وبيدها فِهر تسأل عن محمد تريد أن تَشْلخ رأسه، قال أبو بكر: "يا رسول الله هذه العوراء جاءت وبيدها فهر وإني أخاف عليك" قال: «إنها لن تضرني»، قام إليها أبو بكر قال: "ماذا تريدين؟"، قالت: بلغني أن صاحبك هجاني، قال لها: "لا والله ما هجاكِ ولا ينطق بالشِعر"، قالت: لقد عَلِمَت قريش أني بنت سيد هذا الوادي، ثم جعلت تقول: مُذَمَّمًا عَصَيْنَا وَأَمْرَهُ أَبَيْنَا، وَدِينَهُ قَلَيْنَا، قبَّحها الله، ثم مرت من عند الرسول ولم تره ولم تبصره بالكلية، حفظ الله رسوله ببركة هذا القرآن؛ لأنه جعل يقرأ القرآن.

وهذا الإمام القرطبي المُفَسِّر المعروف يقول في تفسيره: "لمَّا احتل النصارى بلادنا وكان يسكن بلدة قريبة من قرطبة قال: ذهبت هاربًا إلى الصحراء، فجئت إلى فضاء ليس فيها شجر ولا حجر فبعثوا في طلبي فارسَين، قال: أبصرتهما فجعلت أقرأ ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس:٩]، يقول: وأكررها ثلاث مرات، وقرأ:

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ يقول: وأكررها ثلاث مرات، وأقرأ في سورة الجاثية: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً ﴾ [الجاثية: ٢٣] قال: فمر بي فارسان وأنا أنظر إليهما وهما لا ينظران إلي، ولا كأنهم يدرون أين أنا، يقول: حتى أني أسمعهما يقولان: أين الرجل؟ هذا ديبلة هذا ديبلة يعني: هذا شيطان، هذا شيطان وين راح؟، وليس هناك حجر ولا شجر أتقي به"[١]؛ لأنه اعتصم بالقرآن، اعتصم بالقرآن، فالقرآن هو شفاءٌ للقلوب، شفاءٌ للأبدان، هذا لا شك أن من تَمَسَّكَ به حقيقةً فإن الله يؤيده ويحفظه ويقيه شر كل شر، هذا وعد الله ولن يُخلف الله وعده، كيف وهو يقول: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢].

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء:٩]، في حين أن القرآن جاء بالمدنيَّة الصحيحة بأسماء معانيها الصحيحة، وجاء بالحرية الصحيحة بأسماء معانيها الصحيحة، وجاء بالحث على الصنائع والحث على الحِرَف، وذمَّ مَن مالَ إلى الكسل والبطالة، بل أمر بالعلم وأمر بالسعي في الأرض وطلب الرزق، وأمر بأن تسعى لدنياك كما تسعى لآخرتك سواءً بسواء، حتى الصناعة حثَّك عليها ورغَّبك فيها، فإن قلت: أين ذكرها؟ أنَّا نقيم المصانع أين دلالة القرآن على ذلك؟ قلنا لك: دلالته في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء:٩]، فتأسيس الصنائع الدنيوية من دبابات وسيارات وقنابل ونحوها جاء بها القرآن، في أيّ آية؟

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي: (١٠/ ٢٧٠).

أولًا: نعرف أن الرسول ﷺ أُمِرَ باتِّباع الأنبياء قبله، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ﴾ إلى آخر الآيات إلى أن قال ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٨٣ - ٩٠] يا محمد، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ من هؤلاء الأنبياء الذين تقدَّم ذكرهم ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾، فداود من جملتهم عليه السلام وداود كان يعمل الحديد ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [سبأ:١٠]؛ دل على أنَّا مأمورون بأن نعمل الحديد ونُصْلِحه كما أصلحه داوود؛ لأن نبينا أُمِر باتباعه، قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾، فالقرآن جاء بنصائح الدنيا والآخرة، لم يترك شيئا إلَّا بيَّنه أحسن بيان وأوضحه أتَّم إيضاح.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤].

يعني: أن الله ينعم عليهم، وهم متمادون على طغيانهم ومعاصيهم، وعدم التفاتهم إلى الله. فهذا هو الأمن من مكر الله(١).

قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:٥١].

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٤/أ).

﴿وَأَنذِرۡ بِهِ﴾ أي: بالقرآن. ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ وهم المؤمنون. أنذر وأعلم بالقرآن، الذين يعتقدون ويعرفون أنهم سيحشرون إلى الله عز وجل ويحاسبهم. ﴿لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ﴾ لا ولاية لهم تجيرهم من عذاب الله، ولا شفاعة لهم تمنعهم من عقاب الله. فالشفاعة هنا منفية. ﴿لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ أي: لعلهم ينيبون، ويرجعون إلى ربهم، بالإيمان والعمل الصالح. قال الفضيل: ليس كل خلقه عاتب. والله لم يعاتب الخلق كلهم وإنما عاتب الذين يتقون ويفقهون(١).

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: وحدوا الله وأخلصوا له في أعمالهم. ﴿وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ﴾: يخلطوا. ﴿إِيمَٰنَهُم﴾: توحيدهم. ﴿بِظُلۡمٍ﴾: بشرك. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ﴾ التام، والاهتداء التام، في الدنيا والآخرة(٢).

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:٩٠].

أمر من الله لنبيه ﷺ، يعني: أنك تقتدي بمن سبقك من الأنبياء، فإن أول الآية: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٤

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١٢/ أ).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٣/ أ).

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝٨٥ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:٨٤-٨٥]. إلى أن قال: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ﴾ يا محمد ﴿اقْتَدِهْ﴾[1].

قال تعالى-: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧]، أي: إن علم النجوم لأجل التسيير فهذا لا بأس به، وإن تعلمها للتأثير لا يجوز، وأما للتسيير بحيث تعرف جهة القبلة وتعرف -أيضا- جهة سيرك؛ هذا كله لا بأس به، أو يكون في البحر في الباخرة أو في السفينة في أعماق البحار؛ يعرف جهة سيره بما يشاهده من النجوم، بأن يجعل مثلا الجدي على كتفه الأيمن فيكون متجها إلى كذا، أو خلف أذنه اليسرى يكون متجها نحو كذا، وهذا صرح به أهل العلم في معرفة علامات القبلة، وقالوا: إن علم التنجيم ينقسم إلى قسمين:

- علم التأثير: هذا الذي لا يجوز، وهذا معنى قولهم الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية.

- علم التسيير: يعني جهة القبلة، وعلم جهة سيرك إلى الجنوب إلى الشمال إلى الشرق، ومعرفة أوقات الصلاة، ومعرفة قصر الليل وطول الليل؛ كل هذا لا بأس به، فهذا ليس هو من باب علم التأثير، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦] في أسفارهم وفي طرقهم إذا سلكوها في الليل، يعرفون جهة سيرهم لما يشاهدونه من النجوم.

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١٧/ ب).

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢- ١١٣].

معُلوم من سُنّة الله في خَلْقه: أن الحَقّ يَتصارَع مع الباطل، وأنه لا بُدّ أن يُقيِّض الله للحَقّ أعوانا يُدافِعون عنه، ويَكتُب لهم الغَلَبة والفَوْز مهما كان للباطل من صَوْلة.

كما أن من أعظم أسباب ظُهور الإيمان والدِّين وبَيان حقيقة أنباء المُرسَلين: ظُهور المُعارِضين لهم من أهْل الإِفْك المُبين.

وذلك أن الحَقّ إذا جُحَد وعُورِض بالشُّبُهات أقام الله -تعالى- على يَد من يَشاء من عِباده؛ مِمّن يحِقّ به الحَقّ ويُبطِل به الباطل من الآيات والبيِّنات؛ بما يُظهِره مِن أدِلّة الحَقّ وبراهينه الواضحة وفَساد ما عارضه من الحُجَج الداحضة.

فبالدعوة إلى الله: يَتبيَّن الهُدَى من الضلال، والصِّدْق من المُحال، والغَيّ من الرَّشاد، والصلاح من الفَساد، والخَطَأ من السَّداد[١].

قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١]

الآية تدل على أنك لا تأكل، ولكن إن ما سمَّى الإنسان ناسيًا أو جاهلًا بالحكم فهذا لا حرج لحديث: «وُضِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ، وَالنِّسْيَانُ»[٢].

---

(١) ينظر: الرسائل والمقالات: (٢/ ٢٢٢).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى: (ح: ١١٥٧١) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٢٢]. ﴿نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾، وهو الوحي(١)

كانت العرب قبل بعثته ﷺ في جاهلية جهلاء، وشقاء لا بعده شقاء، يعبدون الأصنام، ويئدون البنات، ويسفكون الدماء بأدنى سبب وبلا سبب، في ضيق من العيش، وفي نكد وجهد من الحياة، يعيشون عيشة الوحوش ومع الوحوش، يتحاكمون إلى الكهان والطواغيت، فلما جاء الله بهذا النبي الكريم، أخرجهم الله به من الظلمات إلى النور، أخرجهم من ظلمات الكفر والشرك إلى نور الإيمان والتوحيد، ومن ظلمة الجهل والطيش إلى نور العلم والحلم، ومن ظلمة الجور والبغي إلى نور العدل والإحسان، ومن ظلمة التفرق والاختلاف إلى نور الاتفاق والوئام، ومن ظلمة الأنانية والاستبداد إلى نور التواضع والتشاور، ومن ظلمة الفقر والجهد إلى نور الغنى والرخاء، بل أخرجهم من ظلمة الموت إلى نور الحياة السعيدة(٢).

قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٢٥].

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١١/ ب).

(٢) ينظر: الرسائل والمقالات: (٢/ ٣٠٢).

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ فالإرادة تنقسم إلى قسمين: إرادة كونية قدرية، وإرادة شرعية دينية. فكل إرادة شرعية دينية مستلزمة للإرادة الكونية القدرية ولا عكس. فالإرادة الكونية القدرية هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ هذه هي الإرادة الكونية القدرية. والإرادة الشرعية الدينية هي التي في أول الآية ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ﴾ ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]. إلى غير ذلك مما دل عليه القرآن العزيز. فالإرادة الكونية القدرية، هذه عامة في حق الكافر وغير الكافر. أما الإرادة الشرعية الدينية، فهي خاصة بأهل الإيمان. والفرق بينهما: أن الإرادة الكونية القدرية: الله أراد وقدر بأن هذا يكون ضالاً ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام:٣٩]. فهذا أراد الله وقدر بأن يكون من أهل النار، ومن أهل الضلال. والآخر أراد الله سبحانه وتعالى الإرادة الشرعية الدينية أن يكون من أهل التقى والخير، ومن المصدقين للنبي ﷺ[(١)].

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام: ١٢٨]. ذكر أن ما تفعله الشياطين يحصل بسبب الشرك والكذب والفجور. والمقصود به هو الإعانة على مثل ذلك.

(١) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١١/ ب).

والجن فيهم مسلم وكافر، فالمسلمون منهم يعاونون الإنس المسلمين كما يعاون المسلمون بعضهم بعضا، والكفار مع الكفار، والجن الذين يطيعون الإنس ويستخدمهم؛ كأن يستخدم الجن في أمور محظورة مثل: قتل النفس وإمراضها بغير حق، ومثل منع شخص من الوطء، ومثل تبغيض شخص إلى شخص، ومثل جلب من يهواه الشخص إليه، فهذا من السحر، وقد يقع مثله لكثير من الناس ولا يعرف السحر(١).

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام:١٤٥].

في قوله: ﴿فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾، وصف شامل لكل محرم، فإن المحرمات كلها رجس وخبث، وهي من أخبث الخبائث المستقذرة التي حرمها الله على عباده؛ صيانة لهم وتكرمة عن مباشرة الخبيث الرجس، ويؤخذ تفاصيل الرجس المحرم من السنة فإنها تفسر القرآن، وتبين المقصود منه(٢).

قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام:١٥١].

---

(١) ينظر: الرسائل والمقالات: (٤/ ٤٢١).

(٢) ينظر: الرسائل والمقالات: (٣/ ٥١).

جاء أن النبي ﷺ لما مرض واجتمع عنده الصحابة قال: ائتوني ببطاقة أعهد لكم فيها عهداً، فكثرت الأصوات عند الرسول، فبعضهم يقول ائتوه ببطاقة يعهد لنا فيها وصية، والبعض منهم يقول: لا تشغلوا رسول الله ﷺ، فقد أشغله المرض. فتوفي صلوات الله وسلامه عليه وهو لم يكتب لهم.

قال ابن عباس رضي الله عنه: إن الرزية كل الرزية، ما حال بين رسول الله وبين كتب الوصية. قال الحبر الثاني عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي أوصى بها، وختمها فلم تغير ولم تبدل، فليقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾، وذلك لعلم ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لو وصى، لم يوص إلا بما وصى الله به في قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:١٥٢]، ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣]، فقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، ﴿شَيْئًا﴾: نكرة في سياق النهي تعم القليل والكثير. وقد سبق لنا أن قلنا: إن الشرك قسمان: أصغر، وأكبر. وضابط الشرك الأصغر: ما ورد في النصوص تسميته شركاً، ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر. وذلك مثل: يسير الرياء، ومثل قول: ما شاء الله وشئت، ومثل الحلف بغير الله؛ ما لم يقع في قلب الحالف تعظيم المحلوف به مثل تعظيم الله، فإذ وقع؛ يصل إلى حد الشرك الأكبر، كما قاله النووي وغيره. وضابط الشرك الأكبر: تسوية غير الله بالله، فيما هو من خصائص الله.

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أي: وأن تحسنوا بالوالدين إحسانًا. والإحسان إلى

الوالدين هو برهما، والإحسان إليهما، وتنفيذ أمرهما، وعدم السلطة عليهما، والرفق بهما؛ هذا هو الإحسان لا سيما عند الكبر، ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء:٢٣]، قال عطاء: لا تنفض حالتهما معك حينما كنت صغيراً، وقد رباك، وعطفا عليك؛ فاعطف عليهما حالة الكبر. ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء:٢٤].

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾، كانت العرب تقتل البنات خشية العار، وخشية الفقر، وربما قتلوا الذكور خشية الفقر، وذلك أن الإنسان إذا كثر أولاده، احتاج إلى أن يطعمهم، وأن يقوم بشؤونهم، فيخاف من الفقر فيقضي عليهم، فالله ﷻ نهاهم عن ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ خشية الفقر ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾، فما خلق الله مخلوقاً إلا وقد تكفل برزقه ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود:٦].

وكما قال ابن [زريق] في قصيدته المعروفة التي أولها:

لا تعذليه فإن العذل يولعه ❁ قد قلت قولاً ولكن ليس يسمعه

الشاهد هنا قوله:

والله قسم بين الخلق رزقهم ❁ لم يخلق الله مخلوقاً يضيعه

فالله -سبحانه وبحمده- لم يخلقه فيضيعه أبداً، بل قد تكفل بأرزاق العباد؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾.
فهل يدخل في هذا استعمال حبوب منع الحمل؟ ويسمى قتل الأولاد؟؛ لأنه

لولا هذا المانع لحملت المرأة، لكن استعملت هذه الحبوب التي تمنع من الحمل، فهل يدخل في النهي في قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾، وقد يقول: ليس لأجل إملاق، بل لأمر آخر: لا يريد كثرة العيال، فهل يدخل فيه؟ نقول لك، لا. هذه المسألة تكلم عليها شيخ الإسلام ابن تيمية، ولم تدخل في مثل معنى الآية؛ لأنه لم يوجد، وهو لا يزال معدوماً، ولهذا قال ابن تيمية وغيره: يجوز للمرأة أن تستعمل الدواء الذي يمنع مجاري المني [في منافذ] الحمل، في منافذ الرحم؛ بشرط أن لا يضر، فإذا استعملته لأجل منع الحمل، وهو لا يضر بها، فلا مانع حينئذ، فإنه يجوز استعمال الأدوية التي تسد منافذ الحمل. هذا رأي شيخ الإسلام ابن تيمية، وكذلك الأصحاب قرروا جواز هذا، إلا أنه بشرط ألا يضر بها، فإن أضر بها ذلك الدواء فلا يجوز.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾. هذا نهي من الله لقرب الفواحش ظاهرها وباطنها[1].

قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ﴾ [الأنعام: ١٥١].

﴿تَعَالَوْاْ﴾: فعل أمر. ﴿أَتْلُ﴾: فعل مضارع مجزوم في جواب الأمر[2].

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

---

(١) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١/أ).

(٢) **ينظر**: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٤/أ).

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: بالتجارة فيه وتنميته[١].

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢] والعدل: هو جماع كل خير، به تستقيم الأمور، وتنتظم الأحوال، ويستقر الأمن، ويحصل به الرخاء والطمأنينة والراحة[٢].

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣].

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ فحبل الله هو صراطه وسبيله، والتفرق والاختلاف هو السبل المنهي عن اتباعها في هذه الآية[٣]، وهو مدلول القرآن والسنة.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ أي: الشبه والشهوات.

﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ وهي: طريقة فلان شاذلية، تيجانية، إلحادية، شيوعية، بعثية، ماسونية، بهائية، إلى غير ذلك من هذه الطرق ﴿الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩]، بل هنا طريق واحد هو الذي يوصل إلى الله، وغيره من هذه الطرق لا شيء، بل هي كلها شر وبلاء، فالطريق الموصل إلى الله هو ما جاءنا به رسول الله ﷺ، ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي:

---

(١) ينظر: الفتاوي والدروس: (٧٨).
(٢) ينظر: الرسائل والمقالات: (٢/ ٢٣٢).
(٣) ينظر: الرسائل والمقالات: (٤/ ٣٤٧).

تفردونه بالعبادة. فكل موضع جاء في القرآن بمعنى اتقوه، أو اعبدوا، فالمراد به: وحدوا، كما قال حبر الأمة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما[1].

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

وجه الدلالة من هذه الآية: على عدم جواز الاستشفاء بالأموات، وطلب الشفاعة منهم، أو التوسل بهم؛ قول: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي﴾، الصلاة ما هي؟ ألم تكن الصلاة مشتملة على نوعي الدعاء؛ دعاء العبادة: وهي لا إله إلَّا الله، سبحان ربي العظيم، سبحان ربي الأعلى. ودعاء المسألة: مثل أعوذ بالله من عذاب جهنم، ربي اغفر لي، أسألك الجنة، ربي اغفر لي وارحمني واهدني واجبرني وعافني؛ هذا من دعاء المسألة.

فالصلاة اشتملت على نوعين، فنوعا الدعاء كانا لله؛ لأنه قال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي﴾، والصلاة مشتملة على نوعي الدعاء: دعاء العبادة، ودعاء المسألة، فأنت صرفت دعاء المسألة بها لغيره. هذا هو أحد نوعي الصلاة والذي لا يجوز صرفه إلا لله.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ﴾؛ يعني: حياتي ومماتي كله لله لا شريك له، فما تعمله متقربا بذلك إلى الله فلا يجوز صرف شيء لغيره. فهذا معنى قول: ﴿إِنَّ صَلَاتِي﴾، فنقول لك: إذا قلت أنت يا رسول الله أجب لي. فنقول لك: ما

(١) ينظر: الفتاوى والدروس: (٧٨).

هذا، هل هذا يكون دعاء مسألة؟ لا. ألم يقل لك: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي﴾ ودعاء المسألة أحد نوعي دعاء الصلاة؛ لأنها مشتملة على نوعي الدعاء، ودعاء المسألة أفضل، وأيضاً الرسول نفسه -صلوات الله وسلامه عليه- يقول: «لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ» -يبين حالته ومكانته بقوله-«فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»(١). فكيف تسأله؟ فكيف تقول ليس لي إلَّا أنت يا أكرم الخلق؟ فكيف تلتجئ إليه وتطلب منه الغوث والمدد والشفاعة؟ اطلبها من الله، هذا حق لله ليس للنبي ولا لغيره(٢).

﴿وَنُسُكِي﴾ أي: ذبيحتي. من ذبح لغير الله، فقد أشرك في عبادة الله غيره، وقد فسر العلماء النسك بالذبح(٣).

﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: ما أنا عليه في الحياة، وما أنا عليه في الممات. يعني: ما تتقرب به إلى الله في الدنيا، سواءً كان لأجل الدنيا، أم لأجل الآخرة، كله لله(٤).

قال تعالى: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٣].

﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ أي: لا تجعلوا مع الله شريكاً في ذلك كله. ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾، فقد تقول: الآية تدل على أن الرسول هو أول المسلمين، ومعلوم أنه

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (ح: ٣٤٤٥) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
(٢) ينظر: الدروس والمحاضرات: (١/ ١٧٥-١٧٦).
(٣) ينظر: الرسائل والمقالات: (٤/ ٢٢٧).
(٤) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٦/ ب).

قد سبقه من الأنبياء، وقد أسلم أيضاً كثير من الأمم التي بُعثت إليهم الأنبياء، مثل ما في قصة موسى ﴿يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا﴾ [يونس:٨٤-٨٥]، ونوح يقول: ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس:٧٢]، نقول لك: كل هذا صحيح، لكن قوله: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ يعني من هذه الأمة، فإن كل نبي يتقدم إسلامه على أمته، فهو الأول في تمسكه بالإسلام، ثم يأمر أمته فيجيبه من أمته من يجيبه ويكتب الله له السعادة. فأول المسلمين من الأمم هم الأنبياء، فهذا معنى: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾، ليس المراد هو أول المسلمين من غير هذه قوله: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ يعني: من هذه الأمة[1].

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٦/ ب).

سورة الأعراف

قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]. هذا القرآن أنزله الله لعباده تبيانـًا ورحمة وهدى وشفاء وبرهانًا ونجاة في الآخرة، لمن عمل به وتمسك به، فالطريق الصحيح الموصل إلى الله هو القرآن والسنة.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الأعراف:١١].

﴿وَلَقَدۡ﴾ اللام: موطئة للقسم، قد: حرف تحقيق. ﴿خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾ خلق: فعل ماض، ونا: ضمير متصل مبني على السكون، محله رفع على الفاعلية، والكاف: ضمير مبني على الضم، محله نصب على المفعولية، والميم علامة الجمع. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿صَوَّرۡنَٰكُمۡ﴾ صورنا: صور فعل ماض، مبني على الفتح. ونا: فاعل. والكاف: ضمير مبني على الضم، في محل نصب مفعول به، والميم: علامة الجمع. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. قال فعل ماض. ونا: فاعل. ﴿لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾: جار ومجرور، اللام: حرف جر. والملائكة: اسم مجرور باللام، وعلامة جره الكسرة. ﴿ٱسۡجُدُواْ﴾: فعل أمر، مبني على ما يجزم به المضارع. ﴿لِأٓدَمَ﴾: جار ومجرور. اللام: حرف جر. وآدم: اسم مجرور، وعلامة جره الفتحة، نيابة عن الكسرة؛ لأنه اسم لا ينصرف، والمانع له من الصرف علتان: وهما: العلمية، والعجمة[1].

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (١١/ أ).

قال تعالى: ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الاعراف:٢٦].

﴿وَلِبَاسُ﴾: مبتدأ، لباس: مضاف، و ﴿ٱلتَّقْوَىٰ﴾: مضاف إليه. ذا: اسم إشارة، مبني على السكون، محله رفع على الابتداء. واللام: للبعد. والكاف: حرف خطاب. ﴿خَيْرٌ﴾: خبر للمبتدأ الثاني. والجملة من المبتدأ الثاني وخبره جملة اسمية، محلها رفع خبر المبتدأ الأول[(١)].

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الاعراف:٢٨].

فسرها بعض العلماء قالوا: هي انكشاف العورة[(٢)].

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣].

هذه المحرمات جاءت من باب الترقي، أولاً قوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾: الفواحش هي أقل من الشرك، بدأ بها فهي أسهل -وإن كان ليس في المحرم شيء سهل؛ لكن بالنسبة إلى ما بعدها-. ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾: هذا أعظم وأشد، ﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا﴾: هذا أكبر مما قبله، ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ في شرعه ودينه، وفي أسمائه

(١) ينظر: شرح المقدمة الأجرومية: (٩/ ب). وفي (١٠/ أ)، صوب الشيخ لطلابه إعرابها أيضاً.
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب الصلاة من الروض المربع: (٥/ أ).

وصفاته، ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ دلالته من القرآن والسنة. فكل هذا يدل على أنه يحرم أن يقول الإنسان على الله في شرعه، ودينه. بأن يقول هذا حلال، هذا حرام، هذا جائز، بدون دليل[(١)].

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف:٤٠].

﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ [الأعراف:٤٠] أي: أنهم لا يصلون إلى الجنة ويحرمون منها. ومعنى فتح أبواب السماء يعني فتح أبواب السماء للرحمة، وإلا فروح الكافر يعرج بها كما في الحديث: «إِذَا خَرَجَتْ رُوحُ الْمُؤْمِنِ تَلَقَّاهَا مَلَكَانِ يُصْعِدَانِهَا. قَالَ حَمَّادٌ: فَذَكَرَ مِنْ طِيبِ رِيحِهَا، وَذَكَرَ الْمِسْكَ. قَالَ: وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: رُوحٌ طَيِّبَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْكِ وَعَلَى جَسَدٍ كُنْتِ تَعْمُرِينَهُ. فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ ﷻ، ثُمَّ يَقُولُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ. قَالَ: وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ. قَالَ حَمَّادٌ: وَذَكَرَ مِنْ نَتْنِهَا، وَذَكَرَ لَعْنًا. وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: رُوحٌ خَبِيثَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ. قَالَ: فَيُقَالُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ»[(٢)]، لا أنها تفتح لهم أبواب السماء الموصلة إلى الرحمة، لا، بل إلى العذاب، وهم يعذبون في قبورهم والروح وإن كانت موجودة في السماء فإن لها اتصالا بالجسم في القبر، هذا هو

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٥/ ب)، وفي (٢/ أ) جزء منه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: (ح: ٢٨٧٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

معنى الآية ومعنى الحديث، والله أعلم[1].

قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الأعراف:٥٣].

﴿هَلْ﴾: حرف استفهام: ﴿لَّنَا﴾ جار ومجرور اللام حرف جر، نا: ضمير متصل محله الجر، ﴿مِن شُفَعَآءَ﴾: جار ومجرور. ﴿مِن﴾: حرف جر. ﴿شُفَعَآءَ﴾: اسم مجرور، وعلامة جره الفتحة، نيابة عن الكسرة؛ لأنه اسم لا ينصرف، والمانع له من الصرف: علة واحدة، تقوم مقام علتين، وهي: ألف التأنيث الممدودة. ﴿فَيَشْفَعُوا۟﴾: الفاء سببية. يشفع: فعل مضارع، منصوب بأن مضمرة وجوباً، بعد فاء السببية، حذفت النون لأجل وجود الناصب، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعل. ﴿لَنَآ﴾: جار ومجرور[2].

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الأعراف:٥٤].

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ أي: سريعا[3].

---

(١) **ينظر**: نور على الدرب:٩.
(٢) **ينظر**: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٦/ أ).
(٣) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢١/ ب).

معنى يغشي: يعني يغطي، يغطي الليل النهار، الليل إذا جاء غطى النهار، وإذا جاء النهار ذهب الليل، وهكذا يتعاقبان، يذهب هذا ويجيء هذا، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

قال تعالى ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]. فإصلاحها يكون بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، بالتمسك بما جاء في الكتاب والسنة أمرا ونهيا، اعتقادا وعملا[١].

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف:٥٩].

فهذه دعوة أول رسول بعد حدوث الشرك إلى عبادة الله وحده سبحانه[٢].

اللام: موطئة للقسم. قد: حرف تحقيق. أرسل: فعل ماض، ونا: ضمير متصل، في محل رفع فاعل. ﴿نُوحًا﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة. ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾: ﴿إِلَىٰ﴾: حرف جر. ﴿قَوْمِهِ﴾: اسم مجرور بإلى، وعلامة جره الكسرة الظاهرة. قوم مضاف، والهاء ضمير متصل في محل جر بالمضاف[٣].

قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف:٦٠].

---

(١) ينظر: الرسائل والمقالات: (٤/٣٢٦).

(٢) ينظر: الرسائل والمقالات: (١/١٦).

(٣) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (١٢/أ).

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾، وهم السادات، والأشراف[1].

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:٦٥].

الواو حسب ما قبلها. إلى: حرف جر. ﴿عَادٍ﴾: اسم مجرور بإلى، وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره. ﴿أَخَاهُمْ﴾: مفعول لفعل محذوف، تقديره: "ولقد أرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً"، منصوب، وعلامة نصبه الألف، نيابة عن الفتحة؛ لأنه اسم من الأسماء الخمسة. ﴿هُودًا﴾: بدل من ﴿أَخَاهُمْ﴾، وبدل المنصوب منصوب[2].

قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩].

لا ينبغي الأمن من مكر الله، وهو أنك تستبعد أن الله يعذبك، وتستبعد أن الله يسلب نعمه عليك، فهذا من الخطر، وهذا معنى قوله: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[3].

معنى الآية ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ﴾ قال قتادة: "بَغت الْقَوْم أَمر الله مَا أَخذ الله قوما قط إِلَّا عِنْد سلوتهم وغرتهم"[4]. يعني: عندما كانوا في صحة، وعافية،

---

(١) ينظر: الفتاوى والدروس: (٨٣).
(٢) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شحره للمقدمات الآجرومية: (١٢/ أ).
(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٤/ أ).
(٤) ينظر: الدر المنثور للسيوطي: (٣/ ٢٧٠).

وأمن، واستقرار، ومال، ونِعم، ولم يصرفوها في مرضاة الله، ولم يستعينوا بها على طاعة الله، فسيأتيهم أمر الله بغتة، ويسلبهم تلك النِّعم، ويجعلها نكالاً وعذاباً لهم؛ بسبب عدم شكرهم، وصرفهم النعم في غير مرضات الله[(١)].

قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٣١].

المعنى ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ﴾ أي: خصب، ووفرة أرزاق، وصحة، وعافية، ونعمة. قالوا: نحن جديرون بأن نكون من أهلها، ونحن المستحقون لها. هذا معنى ﴿قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ﴾. ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: جدب، وغلاء أسعار، أو مرض. قالوا: هذا بشؤم موسى، تطيروا به، وما أصابنا من الجدب، والقحط، وغلاء الأسعار، والبلاء، والشر كله بسبب وجود موسى بين أظهرنا. قال الله: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ بل طائركم الذي تطيرتم به، هو بسبب كفركم، وعنادكم، وعدم قبولكم ما جاء به نبيكم، أصبتم بسبب هذه، لا بسبب موسى، بل بسبب أعمالكم، والذي أوجد هذا هو الله، لكن بسبب أعمالكم، وكفركم، وانحرافكم عما جاء به نبيكم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[(٢)].

قال تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف:١٤٢].

---

(١) ينظر: الفتاوى والدروس: (٩٤٨)، وفي شرحه لكتاب التوحيد: (٢٤/أ).

(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١٩/ب).

الواو حسب ما قبلها. ﴿وَقَالَ﴾: فعل ماض، ﴿مُوسَىٰ﴾: فاعل، مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الألف، منع من ظهورها التعذر؛ لأنه اسم مقصور معتل الآخر بالألف. ﴿لِأَخِيهِ﴾: اللام: حرف جر، أخيه: اسم مجرور باللام، وعلامة جره الياء، نيابة عن الكسرة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، أخي مضاف، والهاء ضمير متصل مبني على الكسر في محر جر بالإضافة. ﴿هَـٰرُونَ﴾: بدل من أخيه، وهو مجرور، وعلامة جره الفتحة؛ لأنه اسم لا ينصرف، والمانع له من الصرف علتان فرعيتان من علل تسع، وهما: العلمية، والعُجمة ﴿ٱخْلُفْنِى﴾ اخلف: فعل أمر، مبني على السكون، والفاعل: مستتر وجوبًا، تقديره أنت، والنون: للوقاية، والياء ضمير متصل مبني على السكون، في محل نصب مفعول به. ﴿فِى قَوْمِى﴾: ﴿فِى﴾: حرف جر. ﴿قَوْمِى﴾: اسم مجرور بفي، وعلامة جره كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة. قوم: مضاف، وياء المتكلم: مضاف إليه، مبني على السكون، في محل جر بالمضاف[1].

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٤٣].

---

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٥/ ب).

﴿قَالَ﴾: فعل ماض. ﴿لَن﴾: حرف نفي، ونصب، واستقبال. ﴿تَرَىٰنِي﴾ ترى: فعل مضارع منصوب معتل الآخر بالألف، والنون: للوقاية، والياء: في محل نصب مفعول به. ﴿وَلَٰكِنِ﴾ الواو: عاطفة. لكن: حرف استدراك. ﴿انظُرْ﴾: فعل أمر مبني على السكون، الفاعل: مستتر وجوباً، تقديره أنت. ﴿إِلَى الْجَبَلِ﴾: جار ومجرور، ﴿إِلَى﴾: حرف جر. ﴿الْجَبَلِ﴾: اسم مجرور بإلى، وعلامة جره الكسرة الظاهرة[1].

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف:١٤٩].

﴿سُقِطَ﴾: فعل ماض، مبني للمجهول. في أيدي: جار ومجرور. وهم: مضاف إليه، والجار والمجرور محله رفع نائب الفاعل[2].

قال تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف:١٥٥].

يعني: من قومه، منصوب بنزع الخافض، والمعنى: واختار موسى من قومه سبعين رجلا[3]. ﴿رَجُلًا﴾: تمييز[4].

---

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٧/ ب).
(٢) ينظر: شرح المقدمة الآجرومية: (٩/ أ).
(٣) ينظر: شرح كتاب الصلاة من الروض المربع: (١٥/ أ).
(٤) ينظر: شرح المقدمة الآجرومية: (١٣/ أ).

قال تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف:١٦٨].

أي: نختبرهم بما نسدي إليهم من الحسنات في الدنيا، هل يشكرونها؟ هل يصرفونها في مرضات الله؟. كما نبلوهم بالسيئات، في المصائب، والبلايا، هل يصبرون على ما حل بهم؟ فالمؤمن إن أعطي نعمة شكر، وإن أصابته ضراء صبر[(١)].

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠].

دلت الآية الكريمة على أن لله أسماء، وأنا مأمورون بأن نسأله بأسمائه الحسنى، ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾[الإسراء:١١٠] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه:٨]، هذه كلها تدل على أن لله أسماء، وأنه ينبغي لنا أن ندعوا الله بأسمائه وصفاته. ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[(٢)]. فادع الله بأسمائه: أسالك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تغفر لي، وكما في الدعاء المعروف: «**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي...**»[(٣)].

---

(١) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٧/ ب).

(٢) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٣٠/ أ).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه: (ح:٢٩٣١٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

﴿يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾ جاء عن ابن عباس أي: يشركون، وعنه: سمّوا اللات من الإله، والعزى من العزيز. وعن الأعمش: يدخلون فيها ما ليس منها"[1][2].

قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٨].

﴿إِنۡ﴾: حرف نافي بمعنى ما أنا. ﴿أَنَا۠﴾: ضمير منفصل، مبني على السكون، محله رفع مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿نَذِيرٞ﴾: خبر مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة[3].

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٨٩].

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ بمعنى: وطئها. ﴿حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا﴾ نطفة، ثم علقة، ثم مضغة. ﴿فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ﴾ أي: استمرت بهذا الحمل، ﴿فَلَمَّآ أَثۡقَلَت﴾ وقاربت الولادة.

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٣٠/ أ).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير: (٣: ٤٦٥).

(٣) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه على المقدمة الآجرومية: (٩/ ب).

﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا﴾ هي وآدم. ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ أي: ولداً صالحاً. ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[1].

﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ حقيقة الشكر هو: صرف النعم في مرضات الله[2].

قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠].

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ أي: سموه بغير اسم عبدالله، أو عبدالرحمن، بل جعلوه عبد الحارث؛ لأن الشيطان جاءهما كما في حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: "فَأَتَاهُمَا إِبْلِيسُ فَقَالَ: إِنِّي صَاحِبُكُمَا الَّذِي أَخْرَجْتُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ لَتطيعُنِّي أَوْ لأجعلنَّ قَرْنَيْ لَهُ أَيْلٍ فَيَخْرُجُ مِنْ بَطْنِكِ فَيَشُقُّهُ، ولأفعلنَّ ولأفعلنَّ -يُخَوِّفُهُمَا -فسمِّياه "عَبْدَ الْحَارِثِ" فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ، فَخَرَجَ مَيِّتًا، ثُمَّ حَمَلَتِ الثَّانِيَةَ، فَأَتَاهُمَا أَيْضًا فَقَالَ: أَنَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي فَعَلْتُ مَا فَعَلْتُ، لتفعلُنَّ أَوْ لأفعلَنَّ -يُخَوِّفُهُمَا -فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ، فَخَرَجَ مَيِّتًا، ثُمَّ حَمَلَتِ الثَّالِثَةَ فَأَتَاهُمَا أَيْضًا، فَذَكَرَ لَهُمَا، فَأَدْرَكَهُمَا حبُّ الْوَلَدِ، فَسَمَّيَاهُ "عَبْدَ الْحَارِثِ"[3]، امتنعوا ثلاث مرات، وبتقدير الله وإذنه، يخرج ميتاً فتنة[4].

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٩/ ب).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٣٠/ أ).
(٣) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: (٥/ ١٦٣٤).
(٤) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٩/ ب).

قال تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ [الأعراف:١٩١-١٩٢].

هذه الآية أبطلت ما يتعلق به المشركون من أربعة أوجه، ما هي الاوجه؟

أولاً: قوله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ ﴾ يعني: تجعل في رتبة الله، شخصاً لا يستطيع أن يخلق حتى ذبابًا، تجعله مثيلاً ونظيراً لمن بيده الأمر كله، وهو المُوجِد لهذا العالم، هذا هو الضلال، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج:٧٣]، حتى الرسول ﷺ لا يستطيع وهو مخلوق مقهور مربوب لله، كيف تصرف من العبادة ما هو حق لله تعالى؟ تطلب منه المدد، وتطلب منه الغوث، وتطلب منه النجاة من النار! هذا هو الضلال بعينه. هذا هو الوجه الأول. ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ ﴾ هو عاجز عن أن يخلق حتى ولا ذرة، ولا ذباباً، ولا حبة. تجعله شريكاً لمن خلق هذا العالم وأوجده!

ثانياً: قوله: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ يعني: تجعل المخلوق الموجود من العدم، مثيلاً للخالق العظيم القائم بأرزاق عباده، هذا هو الضلال.

ثالثاً: قوله: ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ﴾ يعني: الرسول فمن دونه، لا يستطيع أن ينصرك، ولا يستطيع أن يجلب لك نفعاً، ولا يستطيع أن يدفع عنك ضرراً، تجعله مثيلاً لمن يستطيع أن يضر وينفع، وبيده تدبير هذا العالم، بل بيده تدبير الدنيا والآخرة! هذا هو الضلال.

رابعـاً: قوله: ﴿وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ﴾ هو عاجز عن أن ينصر غيره، بل هو أعجز من أن ينفع نفسه، أو ينصر نفسه، هذا هو المعنى. فبهذا تعرف أن العبادة لا تصلح إلا لله، وأنه لا يجوز صرف شيء منها لغيره(١).

﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ١٩١ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١- ١٩٢]، يعني تجعل شريكا لله من لا يستطيع أن يخلق، فهو مخلوق مقهور مربوب لله، لا يستطيع أن ينصرك، ولا أن يجلب لك نفعـاً، ولا أن يدفع عنك ضرراً، ولا يستطيع أن ينفع نفسه، أو يدفع عنه ضرراً.

فبهذا تعرف أن تشييد البناء على القبور، وطلب المدد من أهلها، والذبح لهم والنذر لهم، هو الشرك بعينه؛ كما دل عليه القرآن العزيز، وإنما النافع الضار هو الله؛ كما في قصة رسول الله ﷺ يوم أحد، حينما شج رأسه، ودمي وجهه، وكسرت رباعيته، وجعل الدم يسيل على وجهه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «**كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ**»(٢)، فأنزل الله: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]. الأمر بيد الله، فالرسول نفسه لا يدفع عن نفسه ضرراً ولا يجلب لها نفعـاً؛ بل الأمور بيد الله(٣).

---

(١) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١٠/أ)، و (٩/أ) من نفس المجموعة، والفتاوى والدروس: (٦٦).

(٢) أخرجه البخاري معلقـاً في صحيحه: (٥/ ٩٩)، ومسلم في صحيحه: (ح:١٧٩١) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) **ينظر**: الدروس والمحاضرات: (١/ ٢٨).

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الاعراف:٢٠٤].

حديث: «لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ»[١]. وحديث: «لَعَلَّكُمْ تَقْرَءُونَ خَلْفَ إِمَامِكُمْ» قُلْنَا: نَعَمْ هَذًا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «لَا تَفْعَلُوا إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فَإِنَّهُ لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِهَا»[٢]؛ تكون مخصصة لعموم ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾[٣].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (ح: ٧٥٦) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.
(٢) أخرجه أبوداود في سننه: (ح: ٨٢٣) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.
(٣) ينظر: الفتاوى والدروس: (٢٦٥).

سورة الأنفال

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال:٢].

علامة الإيمان هو ما ذكره المصنف في هذا الباب، من سياقه لهذه الآية: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾: هذه واحدة. ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾: هذه اثنتان. ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: هذه ثلاثة. ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾: هذه أربعة. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾: هذه خمسة. هل تنطبق على المسلمين اليوم أم لا؟ فأولاً قوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ معنى ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: عندما تخوِّفه بالله، وتذكره بالله، يرق قلبه، ويخضع؛ تعظيمًا لله، وهيبة له، وإجلالاً، فهل إذا قلت لأحدنا اتق الله، هل يخضع، وينكسر قلبه؟ ويعرف معنى اتق الله؟ أو ربما يزيده عناداً؟ كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾[البقرة:٢٠٦]. فعمر رضي الله عنه لما قيل له: يا أمير المؤمنين، اتق الله، اتق الله، وضع خده على الأرض. فقيل له في ذلك، قال: أخشى لو لم أفعل هذا أن ينطبق علي قوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾. فقوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي: ذلت، ورقت، وخافت من الله، خشية، وخوفًا، وتعظيمًا؛ لما وقر في القلب من الإيمان بالله. وهذا يستلزم فعل المأمورات وترك المنهيات.

ثانيًا قوله: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ أي: إذا تلي عليهم القرآن في سبيل الأوامر، والنواهي، والعظة، والتذكير، ازداد القلب إيمانًا، وظهرت

آثار الإيمان على الجوارح. أم كأنك لم تسمع، ولم يقل. يقرأ القرآن ولا يفهم، بل ربما فهمه لكنه يخالفه. فالقرآن اشتمل على: مأمورات، ومنهيات، وعظة، وتذكير، وحساب وجزاء في الآخرة. فهل يتعظ، ويرق قلبه، ويزيده إيمانـاً، ويظهر آثار ذلك على جوارحه؟ أم كأنه يقرأ قصة من القصص؟

ثالثًا قوله: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: يفوضون أمورهم إليه، ويعتمدون عليه، مع تعاطي الأسباب كما في قوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:٦٠]. في نفس السورة.

رابعًا قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي يؤدون الصلاة بشروطها، وأركانها، وواجباتها، وسننها. في أوقاتها، بخشوع، وخضوع. على النحو الذي كان النبي ﷺ يؤديها.

خامساً قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ أي: يؤدون زكاة أموالهم. فالله هو الذي أنعم عليهم بهذا المال، وساقه إليهم، هل هم يؤدون حقوقه التي افترض الله في هذا المال للفقراء؟ أم أنهم يبذرون، ويلعبون به في سبيل شهواتهم، وسبيل ملذاتهم، غير مبالين بهذا المال، وبما أوجب الله فيه من زكاة وغيرها؟ لو كانوا يعملون بهذه الآية وأنها تنطبق عليهم تماماً لما كان للكفرة عليهم أي سلطان[(١)].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٥- ١٦]. حذر الله

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٣/ ب).

عن الفرار من العدو حين القتال وأنه كبيرة عظيمة، وتوعد الجبناء المخذلين بأنكى العقوبات[1].

قال تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الانفال:١٩].

﴿وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ﴾: إن: حرف شرط، يجزم فعلين، الأول: فعل الشرط، والثاني: جوابه، وجزاؤه. ﴿تَعُودُواْ﴾: فعل مضارع، مجزوم على أنه فعل الشرط، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعل. ﴿نَعُدْ﴾: فعل مضارع، على أنه جواب الشرط وجزاؤه[2].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال:٤٥].

وأمر بالثبات عند اللقاء وذكر الله عند الفزع، وشجع المجاهدين في سبيله على الإقدام الحازم والشجاعة الصادقة من أول اللقاء إلى آخره[3].

قال تعالى ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦]. نهى عن التنازع مطلقًا على أي أمر في القتال، وأمر بالاتفاق دائما، وأخبر أن النزاع سبب للفشل وذهاب الريح.

(١) ينظر: الرسائل والمقالات: (٢/ ٢٩١).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٨/ ب).
(٣) ينظر: الرسائل والمقالات: (٢/ ٢٨٩).

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في هذه الآية مسألتان:

المسألة الأولى: التنويه بفضل النبي ﷺ وعظيم شرفه، فإنك إذا تأملت القرآن تجد الله ﷻ يخاطب الأنبياء بأسمائهم، ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ﴾ [هود:٤٦]. قال: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشعراء:١٠]. إلى غير ذلك. فالله ﷻ يخاطب الأنبياء بيا إبراهيم، يا نوح، يا موسى، أما النبي ﷺ فب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ﴾ [المائدة:٦٧]. و ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [المائدة:٤١]، و ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ﴾ [التحريم:١]، و ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق:١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب:١]، و ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [التوبة:٧٣]، إلى غير ذلك. فهذا يدل على التنويه بشرف الرسول، فالله لم يقل ولا مرة واحدة يا محمد، إنما يا أيها النبي.

نعم جاء ذكر محمد مقرونًا بالرسالة في مقام الإخبار عنه، لا في مقام مخاطبته: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ﴾ [آل عمران:١٤٤]، في مقام الإخبار عنه، ومقرونـًا بالرسالة، وبما يدل على فضله. ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الفتح:٢٩]، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ [محمد:٢]، في مقام إنزال القرآن عليه. ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ۗ﴾ [الأحزاب، ٤٠] هذا في مقام الإخبار عنه، مقرونـًا بما يدل على التنويه بفضله، وعلو منزلته، وشرفه. أما مخاطبة الله له لم يقل

أبدًا يا محمد، بل يا أيها النبي، يا أيها الرسول. بخلاف غيره من الأنبياء: يا موسى، يا هارون، يا نوح، إلى غير ذلك. هذا يدل على فضل الرسول ﷺ وأن الله يخاطبه بأشرف مقاماته وبأعلاها، التي هي الرسالة والنبوة. هذه المسألة الأولى.

المسألة الثانية قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٤] تفسير الآية الصحيح المعنى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ﴾ أي: كافيك الله، وكافي أتباعك من المؤمنين. فهو الذي يكفيك، بأن لا يجعل لعدوك طمعـًا فيك، كما لا يجعل لأعداء المؤمنين طمعـًا فيهم؛ لأن من كفاه الله ووقاه، لا يضره كيد كائد. هذا هو التفسير الصحيح. وقيل إن المعنى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾ من: معطوف على لفظ الجلالة، فيكون المعنى: يا أيها النبي حسبك الله، وحسبك أتباعك من المؤمنين. فكما أن الله كافيك وواقيك. فأتباعك من المؤمنين أيضـًا كافون لك وواقون لك. وهذا غلط. رده ابن القيم وغيره. فقال: الكفاية، والوقاية التي هي تفسير للحسب، لا تكون إلا من الله. وكلام ابن القيم هذا ذكره في أوائل كتابه زاد المعاد في هدي خير العباد[1]. فإنه تكلم على هذه المسألة، وبسط معناها، وقال: مما يدل على المعنى الصحيح قوله: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٢] فجعل التأييد أيضـًا حاصلًا من المؤمنين، بخلاف الحسب فقد انفرد به، ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ﴾، ولم يقل: المؤمنين. ويدل

(١) ينظر: زاد المعاد لابن القيم: (١/ ٣٧-٣٨).

عليه أيضاً ما في سورة براءة وهي قوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ [التوبة:٥٩]، فأضاف الحسب إليه وحده، و[الإتيان] إليه وإلى رسوله، والرغبة إليه وحده، فهذا هو مقام التوحيد(١).

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٣/ب).

سورة التوبة

قال تعالى: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة:٢].

يعني: فسيحوا على الأرض، نقول أفادت ﴿فِي﴾ ثلاثة أشياء: اسمية مدخولها، والحكم عليه بالجر، وأمراً معنوياً وهو الاستعلاء[١].

قال تعالى: ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة:٣].

﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: إعلام من الله ورسوله[٢].

قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة:٦].

أي: تقرؤه عليه، أمَّا أنْ تعلمه إياه وهو لا يعتقده ولا يعتقد معناه؛ فهذا لا يجوز بالإجماع.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ المعنى: إن استجارك أحد من المشركين فأجره، فتقول: إن: حرف شرط، ﴿أَحَدٌ﴾: فاعل لفعل محذوف يفسره ما بعده[٣].

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (١/ ب).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب الصلاة من الروض المربع: (١/ ب).
(٣) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٩/ أ).

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة:١٨].

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ ليس المراد عمارتها بالطين، أو باللبن، أو بالطوب، أو بالإسمنت المسلح، إنما عمارتها الحقيقية: بطاعة الله: بإقامة الصلاة فيها، وذكر الله، وتلاوة القرآن، وأداء النوافل، وكثرة العبادة فيها. هذه هي عمارة المساجد(١).

﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ أي: وقر الإيمان في قلبه، تعظيماً لخالقه وبارئه، مؤتمراً بأوامره، منتهياً عن نواهيه. ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ اليوم الآخر ما هو؟ هو ما بعد الموت؛ من سؤال الملكين في القبر، والصراط، والميزان، والبعث والنشور، والجنة، والنار. هذا هو اليوم الآخر، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة:١-٣]. هذا هو الغيب، وهو ما بعد الموت من: البعث، والنشور، والصراط، والميزان، والحوض، والجنة، والنار.

﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ لم يقل وصلى، تأمل القرآن، كل ما ذكر الصلاة، يذكرها بلفظ الإقامة، ولم يقل وصلى. بخلاف من صلى صلاة لم يقمها، فالله توعده بمجرد ذكره الصلاة. قال: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون:١-٣] إلى أن قال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾؛ لأنهم مصلون، ولكنهم لم يقيموها. ففرق بين من أقام

---

(١) ينظر: نور على الدرب: (١٩).

الصلاة، وبين من صلى بدون إقامة. فلاحظ الآيات القرآنية كلها: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾. وليس فيه ذكر الصلاة بدون إقامة. فأكثر ما يروى بالقرآن كله، الإقامة، كما في هذه الآية: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، ما معنى ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؟ ليس المراد أنه صلى، بل صلى بإقامة، ومعنى الإقامة هو: أنك أديت الصلاة بشروطها، وأركانها، وواجباتها، وسننها، في أوقاتها، بخشوع، وخضوع. على النحو الذي أداها رسول الله ﷺ؛ بهذا تكون مقيماً للصلاة، بخلاف الصلاة المتخلفة عنها الإقامة.

﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [التوبة:١٨] الزكاة هي قرينة الصلاة في القرآن، والله سبحانه وتعالى ذكر الزكاة في القرآن في نحو: اثنين وثمانين موضعاً، مما يدل على عظمها. والزكاة معروفة أنها: حق مطلوب في أموال الأغنياء، لطائفة مخصوصة، وهم الفقراء، ونحوهم من الأصناف من الثمانية الذين جاء ذكرهم في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة:٦٠] إلى آخر الآية. والزكاة هي قرينة الصلاة في القرآن، وهي تزكي المال، وتنميه، وتطهره، وتقيه الآفات.

﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة١٨]. بعدما ذكر صفات عمار المساجد، وهم المؤمنون بالله، والمؤمنون باليوم الآخر، المقيمون للصلاة، المؤدون للزكاة. هذه أربع صفات، ومع هذا لم يخشوا إلا الله، أي: لم يخافوا، ولم يقع في قلوبهم أجلُّ ولا أعظم من خالقهم، وبارئهم. يأتمرون بأوامره، وينتهون عن نواهيه. ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ﴾أي: هؤلاء المتصفون بهذه الصفات الحميدة ﴿أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ في الدنيا والآخرة؛ لأنه لم يأخذه في الله لومة لائم.

بل يصدعون بالحق. قد أصلحوا أنفسهم، واستقامت سرائرهم مع الله، واتصفوا بالأعمال الخيرية، الأعمال الظاهرة: كالصلاة، والزكاة. والأعمال الباطنة -أعمال القلب-: كالإيمان بالله، واليوم الآخر، ولم يخشوا إلا خالقهم، وبارئهم، هؤلاء هم المهتدون في الدنيا والآخرة، والله أعلم[(١)].

قال ابن عباس في قوله: ﴿فَعَسَىٰٓ﴾ قال: كلما جاء في القرآن ﴿فَعَسَىٰٓ﴾ فهو واجب، أي: أنه سيكون من المهتدين؛ لأن عسى من أفعال الترجي، وكل موضع جاء فيه عسى فإنه واجب[(٢)]. يعني: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ﴾ يعني: واجب أن يكونوا من المهتدين، ما دام أنهم اتصفوا بهذه الصفات الحميدة[(٣)].

قال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: ١٩- ٢٢].

فأخبر سبحانه وتعالى أنه لا يستوي عنده عُمَّار المسجد الحرام وهم عُمَّاره بالاعتكاف والطواف والصلاة؛ هذه هي عمارة مساجده المذكورة في القرآن. وأهل سقاية

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٣/ أ).

(٢) ينظر: تفسير الطبري: (١٤/ ١٦٨).

(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٢/ ب). وفي الفتاوى والدروس: (٢٠٧)، ذكر قول ابن عباس رضي الله عنهما.

الحاج لا يستوون هم وأهل الجهاد في سبيل الله، وأخبر أن المؤمنين المجاهدين أعظم درجة عنده وأنهم هم الفائزون، وأنهم أهل البشارة بالرحمة والرضوان والجنات. فنفى التسوية بين المجاهدين وعمار المسجد الحرام بأنواع العبادة مع ثنائه على عمَّاره، بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة:١٨]. فهؤلاء هم عمار المساجد، ومع هذا فأهل الجهاد أرفع درجة عند الله منهم(١).

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤].

أي: أنك تقدم محبة الأب، ومحبة الابن، ومحبة الأهل، ومحبة الوطن، ومحبة البيت، ومحبة المال؛ على ما يرضي الله، وعلى الجهاد في سبيله. ويدخل فيهالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. متى فعلت ذلك، إذًا انتظر، فالله لا يهدي القوم الفاسقين، أنت منهم، هذا هو المعنى(٢).

﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾ أي: انتظروا(٣).

---

(١) ينظر: الرسائل والمقالات: (٢/ ٢٨٠).
(٢) ينظر: شرح كتاب التوحيد: (٢٢/ أ).
(٣) ينظر: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (٣/ ب).

قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة:٢٥].

اللام: موطئة للقسم. قد: حرف تحقيق. نصر: فعل ماض، والكاف: ضمير متصل، في محل نصب مفعول به، والميم: علامة الجمع. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعل، والفاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره. ﴿مَوَاطِنَ﴾: اسم مجرور بفي، وعلامة جره الفتحة الظاهرة على آخره نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع اسم من الصرف، والمانع من الصرف علة واحدة تقوم مقام العلتين، وهي أنه على صيغة منتهى الجموع. ﴿كَثِيرَةٍ﴾: صفة لمواطن. وصفة المجرور مجرور[(١)].

﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿وَلَّيْتُم﴾: ولي: فعل ماض، والتاء: ضمير متصل مبني على الضم، في محل رفع فاعل، والميم علامة الجمع. ﴿مُّدْبِرِينَ﴾: حال منصوب[(٢)].

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٢٨].

---

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه على المقدمة الآجرومية: (٦/أ). وفي (٥/ب) أعرب الشيخ قوله تعالى: ﴿فِى مَوَاطِنَ﴾.

(٢) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه على المقدمة الآجرومية: (١٢/أ). وأيضاً في: (١٣/أ).

المراد بالمسجد الحرام: كل الحرم، ليس هو خاص بالمسجد، فلا يقال إن اليهودي، أو النصراني، أو المشرك يجوز له أن يدخل مكة، إلا أنه لا يدخل الحرم، بل ممنوع أن يدخل مكة كلها، كل ما كان داخلاً في حدود الحرم[1].

قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١].

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ ﴾ أي: علماءهم. ﴿وَرُهۡبَٰنَهُمۡ ﴾ أي: عبادهم. ﴿أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي: جعلوهم أرباباً لهم من دون الله، وهذا يسمى شرك الطاعة. حيث يحلون لهم ما حرم الله، ويحرمون عليهم ما أحل الله. هذا هو الشرك بعينه. ويدخل في هذا: القوانين الوضعية، التي انتشرت في كل مكان، وما زالت الدول المنتسبة للإسلام تحكم بها في الدماء، وتحكم بها في السرقات، وتحكم بها في جميع الحدود، وتحكم بها في جميع شؤونها بدلاً من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ؛ فإن الآية تنطبق عليهم، وداخلون في معناها: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ يحللون لهم ما حرم الله، ويحرمون عليهم ما أحل الله[2].

وتأمل قوله تعالى: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب الصلاة من الروض المربع: (١٨/ب). والفتاوى والدروس: (٢٥١).

(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٤/ ب).

فأخبر الله في هذه الآية أنهم مشركون. مشركون في ماذا؟ في الطاعة: تحليل، وتحريم. ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾. قال عدي: يا رسول الله: إنا لسنا نعبدهم -لأنه فهم قوله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أنهم يعبدونهم- قال: "أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟" قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: "فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ"[(١)]، صارت عبادة شرك في الطاعة[(٢)].

قال بعض المفسرين على هذه الآية: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ ﴾: استنصحوا الرجال، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم[(٣)].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ [التوبة:٣٤].

﴿لا ينفقونها﴾ يعني: ولا يزكونها، فدل على جواز إطلاق النفقة على مسمى الزكاة كما هنا[(٤)].

قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴾ [التوبة:٣٥].

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: (ح:٢١٨) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٤/ ب).
(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٥/ ب).
(٤) ينظر: شرح الشيخ لكتاب الزكاة من الروض المربع: (٣/ أ).

قال بعض العلماء في الكلام على الآية، ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ ما هي الحكمة في تخصيص: الجبهة، والجنب، والظهر؟ قالوا: الحكمة أن الفقير إذا قابل الغني، إن قابله من جهة وجهه، تقطب وجهه، وانكمشت جبهته؛ كراهية لهذا الفقير، خشية أن يعطيه شيئاً من الزكاة. فتجد الجبهة منكمشة، والوجه متقطباً. وإن قابله من جهة جانبه، فإنه يستثقله مع الجانب الذي قابله معه، وربما ولاه ظهره، فخصصت هذه الأعضاء بالكي يوم القيامة بنار دون غيرها بسبب ذلك(١).

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْآخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة:٣٨].

﴿مِنَ ٱلْآخِرَةِۚ﴾: جار ومجرور، تفيد البدل. المعنى: أرضيتم بالحياة الدنيا بدل الآخرة(٢).

إذا عرف ذلك فقد عاتب الله المتخلفين عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، المتثاقلين إلى نعيم الأرض المتقاعدين عن المبادرة إلى الخروج.

كما ذم التاركين له ووصفهم بالنفاق ومرض القلوب وتوعد المتخلفين القاعدين بأفظع العقوبات ورماهم بأبشع النعوت والصفات ووبخهم على

---

(١) ينظر: الفتاوى والدروس: (٣٨٣).

(٢) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (١/ ب).

الجبن والقعود ونعى عليهم الضعف والتخلف بقوله: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة:٣٩][1].

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٤٠].

﴿لَا﴾: ناهية تجزم الفعل المضارع. ﴿تَحْزَنْ﴾: فعل مضارع مجزوم بلا النهاية، وعلامة جزمه السكون، والفاعل مستتر وجوباً، تقديره أنت. ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾: ﴿إِنَّ﴾: حرف توكيد ونصب. ﴿اللَّهَ﴾: اسم إن، منصوب بها، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره. مع: ظرف مضاف، ونا: ضمير متصل، مبني على السكون، محله جر بالإضافة[2].

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٦٠].

---

(١) ينظر: الرسائل والمقالات: (٢/ ٢٨٨).

(٢) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٦/ أ). وفي (٨/ أ)، أعرب الشيخ قوله: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾.

"فالله سبحانه وتعالى تولى قسمة الزكاة، وبين من تصرف إليه، من فوق سبع سماوات، لم يترك قسمتها لا إلى ملك مقرب، ولا إلى نبي مرسل، بل قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وجه الدلالة من هذه الآية على حصرها لهؤلاء الأصناف الثمانية: أولاً قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ﴾ لفظة ﴿إِنَّمَا﴾ تقتضي الحصر، وتنفي ما عداهم. ثانياً: بعد أن ذكر الأصناف الثمانية قال: ﴿فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ فدل على أن صرفها لغير هؤلاء الثمانية لا يجوز. فلا يجوز صرف الزكاة على تكفين الأموات، ولا على بناء المساجد، ولا على سد [البئر] و[القناطير] يعني: مجاري السيول والمياه، وما أشبه ذلك. أو صرف الزكاة على سبيل الماء في المسجد، إلى غير ذلك، كل هذا لا يجوز في قول جماهير أهل العلم، إنما صرفها مخصوص بهؤلاء الثمانية، وما عداهم لا يجوز.

بعض من العلماء يرى جواز بناء المساجد، وسد القناطر، و[توقيف] المصاحف من الزكاة، إلحاقاً لهذه الأشياء بمعنى ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قائلاً: إن هذا من سبيل الله، فإذا بني بها مسجدٌ فهو في سبيل الله، والله يقول: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، وإذا أوقفت منها مصاحف، [...][1] فهو في سبيل الله، أو القناطر، أو غير ذلك، أو حماية مقابر جاز؛ لأنها داخلة في سبيل الله. هذا قول بعض من أهل العلم.

(١) ضعف في الصوت يقدر بثلاث كلمات.

الجمهور يردون عليهم ويقولون: لا يجوز دفعها لهؤلاء، ولا يدخلون في مسمى في سبيل الله المذكور في الآية؛ لوجهين: الوجه الأول: أن المراد في سبيل الله هو: الجهاد، وها أنت عندما تقرأ القرآن، تجد القرآن يطلق سبيل الله في الجهاد: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة:١٩٠]، ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [الصف:١٠-١١]، ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ﴾ [النساء:٩٥]. إلى غير ذلك، فالقرآن يذكر سبيل الله في الجهاد فقط، فدل على اختصاص سبيل الله بالجهاد. ثانياً: الوجه الثاني: نقول: أيضاً إذا قلتم أن بناء المساجد من سبيل الله، وتوقيف المصاحف في سبيل الله، والمراد بسبيل الله على رأيكم، هي: الطاعة. فكل ما كان من طاعة الله، فهو في سبيل الله، كما تقولون. إذاً نقول: الصلاة أيضاً من سبيل الله، نقول: من صلى يعطى من الزكاة. وأيضاً نقول: كل من تلا القرآن فهو في سبيل الله؛ لأنه طاعة لله، فيعطى من الزكاة، كالتالي للقرآن، والمصلي، والصائم، والمستغفر، والمتعبد، والداعي، كل هذه في طاعة الله، وهي في سبيل الله لغةً، فعلى رأيكم، يعطى فيلزمكم هذا.

هم يقولون: لا. فبهذا نعرف، أن المراد في سبيل الله هو: الجهاد، وأن صرف الزكاة في بناء المساجد، وغيرها من طرق البر، وأعمال الخير، أنه لا يجزي، وان اختصاص دفع الزكاة هو مخصوص بالأصناف الثمانية الذين جاء ذكرهم في هذه الآية ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة:٦٠].

وذهب كثير من أهل العلم، إلى أن المسكين مقدم على الفقير، وأن

المسكين هو: من كان أشد حاجة من الفقير. وهذا هو قول الكثيرين من أهل العلم.

ويقول الشوكاني في تفسيره: أن الفقير مقدم على المسكين؛ وقدمهم لأنهم أحوج من البقية على المشهور لشدة فاقتهم وحاجتهم، وقد اختلف أهل العلم في الفرق بين الفقير والمسكين على أقوال فقالوا: إن الفقير أحسن حالا من المسكين، قالوا: لأن الفقير هو الذى له بعض ما يكفيه ويقيمه والمسكين الذى لا شيء له. وقال آخرون بالعكس فجعلوا المسكين أحسن حالا من الفقير. وقال قوم: إن الفقير والمسكين سواء لا فرق بينهما. هذا مقتضى ما ذكره الشوكاني عن العلماء(١).

لكن المذهب، ومذهب بعض العلماء: أن الفقير مقدم؛ وذلك أن المسكين عنده ما يكفيه أكثر الوقت، والله ﷻ أخبر بأن قوماً مساكين، عندهم شيء من المال، وسماهم مساكين، كما في قوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾[الكهف:٧٩]. فسماهم مساكين، مع أن لهم سفينة، ومع أنهم يعملون في البحر، ويتكسبون منه، مما يدل على أن الفقراء أشدُ منهم حاجة. واستدلوا أيضاً بأن النبي ﷺ استعاذ بالله من الفقر قال: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ"(٢). أما المسكنة فقال: "اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا، وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا،

---

(١) ينظر: تفسير الشوكاني: ٢/ ٣٧٢.

(٢) أخرجه أبوداود في سننه: (ح: ١٥٤٤) وأحمد في المسند: (ح: ٨٠٥٣) والنسائي في سننه: (ح: ٥٤٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ"(١). مما يدل على أن المسكنة غير الفقر، وأن الفقر أشد حاجة(٢).

الله يقول: ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ نقول لك: المراد بسبيل الله هنا: هو الجهاد؛ لأن القرآن كله، من أوله إلى آخره، إذا أطلق ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يريد به الجهاد، وهو قتال العدو. قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [آل عمران:١٦٧]، وقال تعالى: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ [النساء:٩٥]، وقال تعالى: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف:١١]، إلى غير ذلك(٣).

ومعنى ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ الذي يعطى من الزكاة، مثلاً: إنسان جاء معتمراً، وسرقت فلوسه، وهو غني، لكن ما معه شيء الآن، إما أنها نفدت، أو سرقت، فيجوز أنك تعطيه من الزكاة، بقدر ما يوصله إلى بلده، هذا معنى ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾(٤).

قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه: (ح: ٢٣٥٢) وابن ماجه في سننه: (ح:٤١٢٦) والبيهقي في السنن الكبرى: (ح: ١٣١٥١) من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم.

(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب الزكاة من الروض المربع: (٧/ أ).

(٣) ينظر: الفتاوى والدروس: (٤٤٨).

(٤) ينظر: الفتاوى والدروس: (٤٤٩).

دل على أن لهم إيمانـاً، قبل أن يقولوا مقالتهم تلك؛ لأن الله أثبت أن لهم إيمانـاً، ولم يكونوا كفاراً؛ لأنه قال: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ فبمجرد كلمتهم هذه صاروا كفاراً، وذهب عنهم الإيمان الذي كانوا متلبسين به. ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ قالوا هذه المقالة، وقد اعتذروا إلى النبي ﷺ عن مقالتهم هذه، كما في أثر ابن عمر. عن ابن عمر، ومحمد بن كعب، وزيد بن أسلم، وقتادة، دخل حديث بعضهم في بعض: "مَا رَأَيْتُ مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ، لَا أَرْغَبَ بُطُونًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسِنَةً، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ"[1]. ينوون بذلك رسول الله ﷺ وأصحابه. لما قالوا هذا القول: "مَا رَأَيْتُ مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ، لَا أَرْغَبَ بُطُونًا"، -أي أنهم يأكلون كثيراً، ولا هم لهم سوى بطونهم-. "وَلَا أَكْذَبَ أَلْسِنَةً"، -ومروجهم- هيهات هيهات: يعني هذه كلمة استبعاد لوقوع ذلك؛ **فإنها لا تقع**. "وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ"؛ لأن الرسول خرج لمجالدة بني الأصفر ومقاتلتهم في تبوك قالوا: كأن محمدًا لا يعرف قوة بني الأصفر، ولا جُلاب الروم، كأنا ننظر إلى هؤلاء، وقد ذهبوا إلى رؤوس الجبال هاربين، أو أنهم مسلسلون ذُهب بهم إلى الروم. هذا معنى قولهم: "مَا رَأَيْتُ مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ، لَا أَرْغَبَ بُطُونًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسِنَةً، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ". فالناس في هذا صاروا ثلاثة أقسام: قسم قالوا، وقسم أنكروا، وهؤلاء سلموا، ومنهم عوف بن مالك فإنه قال لمن قال هذا القول: "كَذَبْتَ

---

(١) **ينظر**: تفسير ابن أبي حاتم: (٦/ ١٨٢٩).

وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ"[1]. فذهب عوف ليخبر الرسول بما قال هؤلاء المنافقون، فوجد القرآن قد سبقه. جاء الرجل معتذراً، وقد ركب الرسول ناقته وارتحل، جاء الرجل الذي قال هذا القول، قال ابن عمر: "فَأَنَا رَأَيْتُهُ مُتَعَلِّقًا بِحَقَبِ نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَنْكُبُهُ الْحِجَارَةُ وَهُوَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥]، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾»[2]. المعنى: من شأن المسافرين، يتحدثون بما يليق بهم، حتى يقطعوا المسافة، ويستريحون من قطعها، من باب أنهم يلهون أنفسهم حالة السير ليقطعوا. قال ابن عمر: "وإني أنظر إليه، وإن الحجارة لتنكب رجليه وهو يقول: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾، والرسول يقول: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ ما يلتفت إليه، وما يزيده عليه. أنزل الله: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ [التوبة:٦٦]، وهو مخشي بن حُمَيِّر، فهو حضر، لكنه لم يوافق، ولم ينكر، لم يقل مثل ما قالوا، ولم ينكر كما أنكر عوف بن مالك. لما نزلت هذه الآية، وعلم بنزولها، تاب واستغفر، وسأل الله أن يقتل شهيداً، وأن لا يوقف له على عين ولا أثر، فأجاب الله دعاءه، فقتل يوم اليمامة ولم يوقف له على جثة، ولا على عين له، ولا خبر، ولا من قتله، ولا أين ذهب. وهذا معنى ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ وهو: الذي سكت، غير أنه لم يقل. ﴿نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾.

---

(١) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: (٦/ ١٨٢٩).

(٢) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: (٦/ ١٨٢٩).

استفدنا من هذا: أن الإنسان عليه أن يحفظ لسانه، ربما تكلم بالكلمة فوقع في الكفر من غير ما يشعر، ربما لا يقصد لها معنى. كما يقع من بعض العامة المنحرفين، المستهترين عندما يرون من تمسك بسنة رسول الله ﷺ محافظاً عليها، مقتديًا بسنة رسول الله، ومقتدياً بما عليه الخلفاء الراشدون، معفياً لحيته. قالوا: أهل اللحى، أبو لحية، من باب العيب والتهكم به، يعني كأن من حلق لحيته هو المتمدن، وهو الرجل، وهو أفضل. هذا يعيبونه ويرمونه بأبي لحية، وأبو ذقن، وما أشبه ذلك من باب العيب له؛ هذا أخشى أن يكون مثل هؤلاء: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾؛ لأن من استهزأ بسنة رسول الله، فقد استهزأ برسول الله، سواءً بسواء. من استهزأ بمن تمسك بسنة رسول الله الصحيحة، فقد استهزأ برسول الله[1].

قال الإمام الغزالي، في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]: «وصف الله المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، والذي هجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، خارج عن هؤلاء المؤمنين»[2].

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ [الأعراف: ١٦٥] ما يدل على أن الناجي هو الذي ينهى عن السوء، دون الواقع فيه والمداهن.

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٩/ ب). وفي (٤/ أ)، و(١٨/ ب)، وكشف الشبهات: (٢/ ب) (ص٩٩). ذكر سبب النزول بإيجاز.

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين للغزالي: (ح: ٢/ ٣٠٧).

ولا شك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حفظ للشريعة، وحماية لأحكامها، تدل عليه- بعد إجماع الأمة، وإرشاد العقول السليمة إليه- الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣-١١٤]، فدلت الآية الكريمة على عدم صلاحهم بمجرد الإيمان بالله واليوم الآخر، حيث، لم يشهد لهم بذلك إلا بعد أن أضاف إليها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد ذم ﷻ: من لم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فقال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩] وهذا غاية التشديد، ونهاية التهديد، فبين ﷻ: أن السبب للعنهم هو: ترك التناهي عن المنكر، وبين أن ذلك بئس الفعل.

ولا شك، أن من رأى أخاه على منكر ولم ينهه عنه، فقد أعانه عليه، بالتخلية بينه وبين ذلك المنكر، وهو عدم الجد في إبعاد أخيه عن ارتكابه، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لعنوا في كل لسان على عهد موسى في التوراة، ولعنوا على عهد داود في الزبور، ولعنوا على عهد عيسى في الإنجيل ولعنوا على عهد نبيكم محمد ﷺ في القرآن»(١).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره: (١٠/ ٤٩٠).

﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣].

قال القرطبي: «وبخ سبحانه وتعالى علماءهم في تركهم نهيهم، فقال: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣]، كما وبخ من سارع في الإثم، بقوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٢]، وقال: ودلت الآية على أن تارك النهي عن المنكر كمرتكب المنكر»(١).

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فدلت الآية الكريمة على أنه يجب على المسلمين أن تقوم منهم طائفة بوظيفة الدعوة إلى الخير، وتوجيه الناس، وعظتهم وتذكيرهم إلى ما فيه صلاحهم، واستقامة دينهم، وأن يكونوا على المنهج القويم، والصراط المستقيم.

قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟﴾ [التوبة: ٧٤].

المعنى: أن هؤلاء يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويصلون، ويصومون، ويزكون، ويجاهدون مع النبي صلى الله عليه وسلم، ومع هذا كفروا بسبب كلمة قالوها، زعموا أنهم قالوها على وجه المزاح واللعب، وما كفروا، ومع هذا كفرهم بهذا(٢).

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي: (٦/ ٢٣٧).

(٢) ينظر: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (ص١٢٧).

قال تعالى: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ﴾ [التوبة:٨٣].

﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ﴾ يعني: من غزوة تبوك، ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ﴾ فأنت إذا رددت الحق، ولم تقبل ما جاء به نبيك، فحري أن لا يقبل منك بعد هذا، وأن يقال لك: لن يقبل منك الحق، بل اقعد؛ لأنك رددته أول مرة اقعد مع القاعدين(١).

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ﴾ مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو، نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم(٢).

قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣]، فالزكاة تطهر المزكي من أدناس الذنوب وتنقية من درنها، وتزكي أخلاقه بالتحلي بالجود والكرم.. فإن الأنفس مجبولة على حب المال والضن به، وقد

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٧/أ).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٣/أ).

توعد الله ﷻ مانع الزكاة بأشد العقوبات وأنكى العذاب مما ليس في مقدور مخلوق تحمله والصبر عليه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤- ٣٥]. ومعنى الانفاق في سبيل الله: هو إخراج الحق الواجب في هذا المال وهو الزكاة المفروضة.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ ۖ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة:١٠٧].

سبب نزولها على ما قاله جمع من المفسرين، وعلماء الأخبار: هو أن رجلاً يقال له أبو عامر الراهب، وكان أبو عامر هذا، مشهُوراً في المدينة، ويسمى الراهب لكثرة عبادته. لما جاء النبي ﷺ إلى المدينة، وانتشر الإسلام، شَرِق بالدعوة، ونابذ الرسول ﷺ، فعند ذلك سافر إلى الروم، وجعل يكاتب المنافقين في المدينة، ويعدهم بأنه سيأتي بالجنود من الروم لاستئصال النبي وأصحابه، هذه مهمته، وكانت الروم تساعده، وهو يكاتب أصحابه من المنافقين في المدينة، فوعدهم بأنه سيأتي بالجيوش ليخرج الرسول من المدينة، فعند ذلك أمرهم بأن يبنوا محلاً يعسكر فيه أبو عامر الراهب، وقد سماه النبي ﷺ أبو عامر الفاسق، بنو مسجداً وهم قصدُهم في هذا المسجد، ليس لله، إنما قصدهم إذا جاء أبو عامر الفاسق هو ومن معه يعسكرون فيه، ويقومون بالحملة

ضد الرسول ﷺ وأصحابه في المدينة، فيخرجونه من المدينة، لما تكامل بناؤه، جاؤوا إلى الرسول، -يعني هؤلاء المنافقون- قالوا: يا رسول الله، إنا بنينا هذا المسجد لأجل أن يصلي فيه، ولِيُقيم الصلاة فيه أهل العلة في الليلة الشاتية، فنطلب منك أن تصلي لنا فيه، وكان من العادة إذا بنى الناس مسجداً صلى فيه النبي ﷺ فهؤلاء المنافقون جاؤوا إلى الرسول يقولون: بنينا لأهل الأعذار، ولأهل العلة في الليلة الشاتية، ولأجل الصلاة فيه، فنطلب منك أن تصلي لنا فيه. الرسول لم يعلم بما عندهم، وكان عند سفره إلى تبوك، قال: "إِنِّي عَلَى جنَاح سفر وَحَال شغل وَلَو قدمنَا إِن شَاءَ الله لَأَتَيْتُكُمْ فصلينا لكم فِيهِ"[1]، يعني: إن رجعنا إن شاء الله. سافر ﷺ إلى تبوك، وأقام بها نحو عشرين يوماً، ثم لما رجع، ولم يبق بينه وبين المسجد إلا يوم، أو بعض يوم، نزل عليه خبر المسجد: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ فنزلت عليه هذه الآية. فعرف أن هذا هو مسجد الضرار، وما بني للغرض الذي ذكروه، لأهل العلة في الليلة الشاتية، ولأهل الأعذار. بنوه لهذا الغرض ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. يريدون بهذا المسجد: أن من حارب الله ورسوله، وهو: أبو عامر الفاسق، ومن يأتي معه. يبقون فيه؛ لأجل تفريق المؤمنين، وإخراجهم من المدينة. ﴿وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ ثم قال: ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى﴾، حلف

(١) تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري للزيلعي: (٢/ ١٠١).

هؤلاء المنافقون أنهم لا يريدون إلا الخير، ولكن الله شهد بأنهم كذبة وفجرة، ولم يبنوه لهذا الغرض، بل لأجل هؤلاء الكفرة، الذين سيأتي بهم أبو عامر الفاسق[1].

قال تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة:١٠٨].

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ﴾ وهو مسجد قباء، فهو أسس على التقوى أي: على طاعة الله، وطاعة رسوله ﷺ. ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ يعني: بُنِي. ﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ قال بعض العلماء: إن المسجد الذي أسس على التقوى، هو مسجد النبي ﷺ، وقيل: هو مسجد قباء. لكن لا منافاة بين الأمرين، إذا كان هذا مسجد قباء، أسس على التقوى، فلأن يكون مسجد الرسول بطريق الأولى. [يثبت] أن مسجد الرسول أسس على التقوى بطريق الأولى، ما دام أن هذا [الفضل] ثبت لمسجد قباء، فمسجد النبي أقوى حينئذ. فيكون لا منافاة بين القولين. ﴿يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾، وذلك أن بني عمرو بن عوف كانوا إذا توضؤوا يستنجون بالماء، فأثنى الله عليهم، فقال لهم النبي: "إِنَّ اللهَ قَدْ أَثْنَى عَلَيْكُمْ فِي الطُّهُورِ، فَمَا طُهُورُكُمْ؟"، قالوا: نتوضأ للصلاة ونغتسل من الجنابة ونستنجي بالماء، فقال: "هُوَ ذَاكُمْ فَعَلَيْكُمُوهُ"[2]. ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ فيه إثبات

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٧/ ب).
(٢) ينظر: نصب الراية للزيلعي: (١/ ٢١٩).

صفة المحبة لله ﷻ خلافاً للأشاعرة الذين ينكرون إثبات المحبة لله، ويقولون إن المحبة هي الرضا، أو الإثابة(١).

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور، في: حرف جر. والهاء: ضمير مبني على الكسر، محله جر. ﴿رِجَالٌ﴾: مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة على آخره. والجار والمجرور المتقدم خبر له. ﴿يُحِبُّونَ﴾: فعل مضارع، مرفوع؛ لتجرده من الناصب والجازم، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعل. ﴿أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾: ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿يَتَطَهَّرُواْ﴾: فعل مضارع منصوب بأن، وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعل(٢).

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

فتأمل الآية حقا وما دلت عليه من المعاني الجليلة والفوائد العظيمة الدالة على فضل الجهاد والترغيب فيه؛ إذ إن الله هو المشتري، والمجاهد هو البائع، والسلعة هي النفس، والثمن هو الجنة، وتأكيد الله لهذا البيع والشراء بالوعد الحق في التوراة والإنجيل والقرآن، وأنه لا أحد أوفى بعهده من الله، والتبشير بهذا البيع الذي عاقبته الفوز العظيم لو لم يرد في فضل جهاد الصهاينة وأمثالهم

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٧/ ب).
(٢) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرح للمقدمة الآجرومية: (٣/ أ).

إلا هذه الآية لكانت كافية في الترغيب، وتعين الجهاد على كافة المستطيعين من المسلمين شعوبا وحكومات[1]،[2].

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة:١١٣].

إن النبي قال لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾"[3].

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٢].

يعني: أن كل أهل قرية، أو قبيلة، ينبغي أن يأتي منهم أناس يتفقهون في الدين، ثم يرجعون إلى قومهم، إلى قبيلتهم، أو إلى قريتهم، ويفقهونهم ويعلمونهم. هذا هو المعنى[4].

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

---

(١) **ينظر**: فتاوى سماحة الشيخ عبد الله بن حميد (٣/ ٣٠٠- ٣٠٤) للمقرن.
(٢) **ينظر**: الرسائل والمقالات: (٤/ ٣٥٠).
(٣) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١٣/ ب).
(٤) **ينظر**: الفتاوى والدروس: (٨٩٢).

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: جاءكم رسول. ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ بشراً مثلكم، تعرفون صدقه وأمانته، وتعرفون مدخله ومخرجه، وأنه ذو نسب فيكم، لم يأتكم شخص مجهول، بل تعرفون مدخله ومخرجه، وتعرفون نسبه، وتعرفون صدقه وأمانته. ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾، وقرأ بعض القراء: "من أنفَسِكم"[(١)]، يعني: من أشرفكم وأكرمكم. والقراءة المشهورة هي هذه ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ وهي دعوة أبينا إبراهيم ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة:١٢٩].

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: يشق عليه عنتكم، وكل ما من شأنه أن يحرجكم، ويدور في صدوركم، ويؤثمكم. فإنه يشق عليه ويكلفه. بل هو حريص على كل ما فيه منفعتكم، عزيز عليه عنتكم من: المشقة، والكفر، والضلال، والامتحان، إلى غير ذلك، بل حريص على هدايتكم، وإنقاذكم من النار. حريص على كل ما فيه مصلحتكم الدنيوية والأخروية. هذه من صفاته: حريص على هدايتكم، إنقاذكم من النار، فلا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرها منه، والخير الذي دل أمته عليه هو: التوحيد، وجميع ما يحبه الله ويرضاه. والشر الذي حذر أمته عنه هو: الشرك، وجميع ما يكرهه الله ويأباه. حريص بما يعود عليكم من الأجر والثواب واكتساب الفضائل، والبعد بكم عن ارتكاب المنهيات أو ما ينقص الأجر، فإنه -أي الرسول ﷺ-

(١) ينظر: الدر المصون للسمين الحلبي: (٦/ ١٤١).

﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾، فهو أرحم الخلق بالخلق[1]، هذا هو معنى ﴿حَرِيصٌ عَلَيۡكُم﴾.

﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم﴾ فإن حرصه خاص بأهل الإيمان. كما أن غلظته وشدته لأهل الكفر والنفاق. ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ فهو رؤوف بالمؤمنين، رحيم بهم، يتفقد أحوالهم، ويعلمهم ما ينفعهم، ويصبر على ما يناله من الأذى والامتحان بسبب الحرص على هدايتهم، وما جاءه من الأذى والامتحان فإنه يصبر على ذلك؛ رجاء هدايتهم. ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ فإن رحمته ورأفته خاصة بأهل الإيمان، كما أن غلظته وشدته خاصة بأهل الكفر والنفاق، والله أعلم[2].

ولأنه ﷺ قد بعث ليبين للناس ما نزل إليهم، كيف وهو أرحم الخلق بأمته وألطفهم، ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ١٢٨].

فلاحظ قول الله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ﴾ أي: يشق عليه ما يشق عليكم، وقوله: ﴿حَرِيصٌ عَلَيۡكُم﴾ ومع هذا يأتيه الأعمى يلتمس الرخصة عن أداء الجماعة في المسجد، فتكون إجابة الرسول ﷺ: «**هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ؟ قَالَ: نَعَمْ.**

---

(١) **ينظر**: الرسائل والمقالات: (٣/ ٩٢).

(٢) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١٦/ أ). وفي الفتاوى والدروس: (٩٨) ذكر شيء يسير مما هنا.

قَالَ: **لا أَجِدُ لَكَ رُخْصَةً**»[1]، وحديث الأعمى في صحيح مسلم[2] وغيره.

(١) أخرجه أبو داود في سننه: (ح: ٥٥٢) وأحمد في مسنده: (ح: ١٥٦٥٨) وابن خزيمة في صحيحه من حديث ابن أم مكتوم رضي الله عنه.

(٢) سبق تخريجه.

سورة يونس

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس:٥].

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ قد تقول أنت: لم عبر عن الشمس بالضوء، وعبر عن القمر بالنور؟ ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح:١٦] والشمس قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً﴾ ولم يقل هو الذي جعل الشمس نوراً، هذا عبر عنه بالنور، وهذا بالضياء. فهل لهذا نكتة؟ أو أن المعنى واحد؟

نقول لا بل فيها نكتة. ما هي النكتة؟ عبر بالضياء، لما فيها من الحرارة. والنور إذا كان منفكاً عن الحرارة يسمى نور، فإن اقترن به حرارة يسمى ضياء. فالشمس ما هي بنور بل ضياء، لمقارنة الحرارة لها[1].

قال تعالى: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس:١٠].

﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ هل هي تفسيرية؟ لا. ما تصلح تفسيرية؛ لأنها لم يسبقها جملة فيها معنى القول. وإنما نقول: ﴿أَنِ﴾ هنا مخففة من الثقيلة. مخففة من أنَّ[2].

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب الصلاة من الروض المربع: (٢٦/أ).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٧/أ).

قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس:١٨].

سماه شركاً قوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: كأن الله لم يعلم بأحوالكم، ولا بمصائبكم، ولا بحوائجكم، ولا بطلباتكم، أتجعلون بينكم وبينه شفعاء، وسائط! كأنه لا يعلم بكم. ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(١).

قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس:٢٦].

معنى ﴿أَحْسَنُوا۟﴾: هم الذين وصلوا إلى درجة أعلى من درجات الإيمان، كما في حديث جبريل: ما الإحسان؟ قال: "أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ"(٢)، هؤلاء هم الذين قال الله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ وهو أنك حال عبادتك، كأنك تشاهد الله وكأنك تنظر إليه بعيني راسك. وهذا معنى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: الجنة. ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ وهي النظر إلى وجه الله(٣)، كما فسرها أبو بكر رضي الله عنه(٤)،(٥).

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (٢/ أ)، (ص٧٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: (ح: ٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب الصلاة من الروض المربع: (٢٢/ ب).

(٤) ينظر: تفسير الطبري: (١٥/ ٦٣).

(٥) ينظر: الفتاوى والدروس: (١٠٨).

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾؛ أي: أنهم حال عبادة الله كأنهم يشاهدون الله، وإذا عجزوا عن الوصول إلى هذه المرتبة علموا أن الله مطلع عليهم، يعلم حركاتهم، ويسمع أقوالهم، ويعلم أفعالهم، إذا وصلوا إلى هذه الدرجة فلهم الجنة ولهم زيادة ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾، وهي النظر إلى وجه الله، وكما قال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥].

قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس:٣١].

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي: أفلا تفردونه بالعبادة، وتتركون عبادة من سواه. فقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: من ذا الذي ينزل من السماء ماء المطر، فيشق الأرض شقاً بقدرته، ومشيئته، فيخرج منها ﴿حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس:٢٧:٣١]، أإله مع الله؟ فسيقولون الله. وقوله: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ أي: الذي وهبكم هذه القوة السامعة، والقوة الباصرة، ولو شاء لذهب بها، ولسلبكم إياها، كقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك:٢٣]، وقال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام:٤٦].

وقوله: ﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [يونس:٣١]. بقدرته العظيمة، ومنته العميمة.

وقوله: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ أي: من بيده ملكوت كل شيء، وهو يجير ولا يجار عليه، وهو المتصرف الحاكم، الذي لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون. ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾[الرحمن:٢٩]. فالملك كله العلوي، والسفلي، وما فيهما من ملائكة، وإنس، وجان، فقيرون إليه، عبيد له، خاضعون لديه. ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ﴾ أي: وهم يعلمون ذلك، ويعترفون به. ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي: أفلا تخافون منه أن تعبدوا معه غيره بآرائكم وجهلكم، فكثيراً ما يحتج سبحانه وتعالى على المشركين، بما اعترفوا به من توحيد الربوبية، على ما أنكروه من توحيد الألوهية.

والآيات في هذا المعنى كثيرة: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾[المؤمنون:٨٤-٨٩][1].

قال تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس:٥٣].

---

(١) ينظر: التوحيد وبيان العقيدة السلفية للشيخ عبدالله ابن حميد: (٥).

﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ ﴿قُلْ﴾: فعل أمر مبني على السكون، والفاعل: ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت. ﴿إِي﴾: حرف تصديق بمعنى نعم، بمعنى بلى. الواو: حرف قسم وجر، ﴿رَبِّي﴾: مقسم به، مجرور وعلامة جره كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة. ﴿رَبِ﴾: مضاف، وياء المتكلم مضاف إليه. ﴿إِنَّهُ﴾: ﴿إِنَّ﴾: حرف توكيد ونصب، تنصب الاسم، وترفع الخبر، والهاء: ضمير متصل، مبني على الضم، في محل نصب اسم إن. ﴿لَحَقٌّ﴾: اللام لام الابتداء، وتسمى لام التوكيد. ﴿حَقٌّ﴾: خبر إن مرفوع بالضمة على آخره[(١)].

قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨].

فمعنى هذه الآية: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾ فضل الله: الإسلام، ورحمته: أن جعلك من أهل الإسلام. فينبغي أن تفرح بهذا، وأن يسرك هذا السرور العظيم"[(٢)].

قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢].

من هم؟ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٣]، هؤلاء هم

---

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه على المقدمة الآجرومية: (٢/أ).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (١/ب). (ص٣٤).

الأولياء. ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ فقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ومعنى أولياء الله: هم الذين بينهم الله في هذه الآية بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[1].

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾[يونس:٦٣].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: آمنوا بالله، وبما جاء به رسول الله ﷺ. ﴿وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ أي: يؤمنون بذلك، ويعملون بأوامر الله، وأوامر رسوله ﷺ. وينتهون عما نهى الله عنه، وما نهى عنه رسوله ﷺ، بل بعضهم يتقرب إلى الله بأداء الفرائض والنوافل والذكر والدعاء وتلاوة القرآن[2].

قال تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس:٦٤].

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ اختلف المفسرون في قوله: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ما هي البشرى في الحياة الدنيا؟ على أقوال، قيل: إنها الرؤيا الصالحة، يراها الرجل، أو تُرى له. فإنها من البشرى في الحياة الدنيا، كما في الحديث: "تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ"[3]،[4].

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٨/ أ).

(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٨/ أ).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: (ح: ٢٦٤٢) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٤) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٨/ أ)، و(١٩/ أ)، و(٢٠/ ب).

قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس:٦٥].

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ فيما قالوا. ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾ العزة، لا تتعلق بقوله: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ ما هي بمفعول لـ﴿قَوْلُهُمْ﴾؛ لأنه يختل المعنى. إنما ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ فيما قالوا. ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ فهي في الحقيقة جملة ابتدائية(١).

قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس:٧١]. ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾: الواو هنا واو المعية، شركاء: مفعول معه(٢).

﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ دل على أن كل ما لا يضر، وكل ما لا ينفع، لا يصلح أن يكون مدعوا. ﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ يعني: فإن دعوت غير الله. ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: من المشركين. وهذا النهي، وإن كان للنبي ﷺ، فالمراد به الأمة. وهو أن الله ينهانا أن ندعو الرسول بعد وفاته. أو ندعو أحدًا من الصحابة. أو ندعو عبد القادر. أو ندعو أي شخص ما. لا يجوز لنا، إنما ندعو من يملك الضر، ومن يملك النفع، والذي بيده أزمة الأمور، يتصرف فيها بما تقتضيه حكمته وإرادته، وهو الله(٣).

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (١٠/ أ).

(٢) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (١٢/ أ).

(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٩/ ب). وفي كشف الشبهات ذكر معنى قوله: ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: (١/ أ)، (ص٢٣).

قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧].

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ فإذا كان الله هو الذي يكشف الضرر إذا وقع بك، فكيف تدعو غيره؟ ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ لو اجتمعت هذه الأمة على إيصال نفع لك، واللهُ لمْ يقدِّره؛ فإنه لا يصل إليك. أو أرادوا أن يضروك؛ فإنهم لا يقدرون أبداً، إلا إذا كان الله كتب عليك. فبهذا يتجه القلب إلى الخالق، وينقطع عن الخلائق، ويعرف أن الله هو الذي بيده الضر والنفع[١].

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: ٩/ ب. وفي كشف الشبهات أيضاً: ١/ أ، ص٢٣.

سورة هود

قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧].

قال الفضيل بن عياض: «أخلصه وأصوبه، قيل يا أبا علي: ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إنَّ العمل إذا كان خالصاً، ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صوباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صوابا»(١).

والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة. فلا ينبغي لأحد أن يشرع ما لم يأذن به الله؛ إذ لا مجال للآراء، ولا مسرح للعقول في تغيير شيء من أنواع العبادة بزيادة أو نقصان أو تغيير أو تبديل، بل الدين كامل شامل لمصالح العباد في دنياهم وأخراهم، وفي كل ما يحتاجون إليه في شؤونهم كلها، كما يجب الابتعاد عن جميع ما يغضب الله من تهاون بأوامره، واستخفاف بوعيده، وتعد على حرماته، وتضييع لفرائضه، فذلك مما يوجب المقت والهوان، وخسران الدنيا والآخرة(٢).

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هود:١٥].

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ﴾ يعني: من كان يريد بعمله، كأن المعنى -والله أعلم- من كان يريد بتعلمه العلم. الحياة الدنيا من: منصب، أو جاه، أو وظيفة.

---

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي: (١/ ٧٢).
(٢) ينظر: الرسائل والمقالات: (١/ ١٨٨).

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ نُعْطِهم ما طلبوه، في مقابلة ما قصدوه، وما تعلموا لأجله، أو ما عملوا لأجله.

﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ أي: لا ينقصون[1].

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٦].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ﴾؛ لأن أعمالهم كلها إنما قصدوا بها الدنيا، وزينتها، وعلو المرتبة، وما أشبه ذلك. ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟﴾ فيها من عمل. ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ لتخلف الإخلاص الذي هو مدلول قوله ﷺ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»[2]، وقد قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: إن من قصد بعمله نيل دنيا من وظيفة أو غيرها، فكمن باع جوهرة ثمينة بدمنة بعير[3].

قال تعالى ﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [هود: ٣٢]. فلما أبغضهم وأبغضوه، وملهم وملوه، عند ذلك صنع السفينة بأمر الله له، فلما تكامل بناؤها أمر الله السماء فأمطرت، وأمر الأرض فأخرجت ما فيها من الماء فالتقى الماء على أمر قد قدر، فركب نوح ومن آمن معه في السفينة، وحمل فيها من كل زوجين اثنين؛ لئلا ينقطع النسل،

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٥/ أ).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٥/ أ). وذكر ذلك في الفتاوى والدروس، باستثناء قول ابن رجب: (٨٩٣).

فأغرق الله أهل الأرض كلهم، وماتوا -فما بقي على وجه الأرض إلا من كان مع نوح في السفينة-، بسبب كفرهم وعدم قبولهم ما جاء به نبيهم، فلما ذهب الغرق عاد نوح إلى الأرض، كما قال الله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٤٤]. فالغرق عم الأرض كلها.

قال تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [هود:٣٦].

﴿لَا﴾: ناهية. ﴿تَبْتَئِسْ﴾: فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وعلامة جزمة السكون الظاهر على آخره. والفاعل: ضمير مستتر وجوباً، تقديره أنت. ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ جار ومجرور، الباء: حرف جر، وما: اسم موصول، مبني على السكون، في محل جر. ﴿كَانُوا۟﴾: كان: فعل ماض ناقص، ترفع الاسم وتنصب الخبر. والواو: اسمها. ﴿يَفْعَلُونَ﴾: فعل مضارع، مرفوع لتجرده من الناصب والجازم، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعل(١).

قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [هود:٤٥].

﴿وَنَادَىٰ﴾ فعل ماض، ﴿نُوحٌ﴾: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره. ﴿رَّبَّهُۥ﴾: رب: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره

---

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٦/أ).

رب: مضاف، والهاء: ضمير متصل، مبني على الضم، في محل جر بالمضاف[(١)].

قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود:٤٩].

﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾ يعني: من أخبار[(٢)].

قال تعالى: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [هود:٥٤].

يعني يقولون: إن نقول إلا اعتراك بعض معبوداتنا بجنون، فأنت مجنون، بزعمهم أن ما يعبدونه بعث الجن، او الجنون، أو سلب هوداً عقله. ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ﴾ يعني: أصابك. ﴿بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ أي: بجنون"[(٣)].

﴿إِن نَّقُولُ﴾: ﴿إِن﴾: نافية بمعنى ما. ﴿نَّقُولُ﴾: فعل مضارع مرفوع؛ لتجرده عن الناصب والجازم، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره: (نحن). ﴿إِلَّا اعْتَرَاكَ﴾: ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء، اعتراك: فعل ماض، والكاف: ضمير متصل مبني على الفتح في محل نصب على المفعولية. ﴿بَعْضُ﴾: فاعل. ﴿بِسُوءٍ﴾: جار ومجرور. الباء: حرف جر، وسوء: اسم مجرور بالكسرة الظاهرة على آخره"[(٤)].

---

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (١٢/ أ).

(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب الصلاة من الروض المربع: (٥/ أ).

(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٥/ أ).

(٤) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (١١/ أ).

قال تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود:٧٣].

﴿قَالُوٓا۟﴾: فعل وفاعل، قال: فعل ماض. والواو: ضمير متصل، مبني على السكون، محله الرفع على الفاعلية. ﴿أَتَعْجَبِينَ﴾: الهمزة للاستفهام، تعجبين: فعل مضارع مرفوع؛ لتجرده عن الناصب والجازم، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والياء فاعل. ﴿مِنْ أَمْرِ﴾: جار ومجرور. ﴿مِنْ﴾: حرف جر. ﴿أَمْرِ﴾: اسم مجرور بمن، وعلامة جره الكسرة الظاهرة ﴿أَمْرِ﴾: مضاف [...][1]"[2].

قال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود:١١٢]. ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟﴾ أي: لا تتجاوزوا الحد، ولا تزيدوا[3].

قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣]. أي: لا تميلوا إلى الذين ظلموا، قال ابن كثير: وهذا القول حسن؛ أي: لا تستعينوا بالظلمة فتكونوا كأنكم قد رضيتم بباقي صنيعهم[4]، فمشاركة المسلم لهم في أعيادهم الدينية فيه رضا من المسلم بما يحتفلون به من تلك الأعياد البدعية، فالمسلم لا

---

(١) سقط في التسجيل.

(٢) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٤/ أ)، وفي: (٣/ أ)، أعرب الشيخ كلمة: (تعجبين).

(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١٣/ ب).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير: (٤/ ٣٥٤).

يجوز له حضور تلك الطقوس الدينية لديهم؛ لأن الإسلام قد بين بطلانها، بل وبطلان ما كانوا عليه من ذلك الدين، فهم مأمورون بالدخول في الإسلام واتباع ما جاء به النبي ﷺ، فما عليه اليهود والنصارى من دين هو دين باطل، وقد أمرنا الله ﷻ في القرآن في سورة الفاتحة أن نسأل الله أن يهدينا صراطه المستقيم؛ طريق المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وأن يجنبنا طريق المغضوب عليهم؛ وهم اليهود وطريق الضالين وهم النصارى.

فمشاركتهم في أعيادهم فيه نوع رضا بتلك الأعياد، وهو مناف لقوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧].

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود:١١٤].

﴿إِنَّ﴾: حرف توكيد ونصب، ﴿ٱلْحَسَنَـٰتِ﴾: اسم إن منصوب، وعلامة نصبه الكسرة، نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿يُذْهِبْنَ﴾: فعل مضارع، مبني على السكون؛ لاتصاله بنون النسوة. ونون النسوة: فاعل. ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة، نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم[1].

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود:١١٨].

---

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية، وما بين قوسين من قول الشيخ: (٤/ ب).

﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَزَالُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع؛ لتجرده عن الناصب والجازم، وعلامة رفعه ثبوت النون. والواو: اسم زال، ﴿مُخْتَلِفِينَ﴾: خبر زال. والمعنى: أن اختلافهم مستمر لا يتحولون عنه[1].

(١) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (١٠/ أ).

سورة يوسف

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

إذ: ظرف، مبني على السكون، لما مضى من الزمان، محله نصب على الظرفية. قال: فعل ماض، مبني على الفتح، يوسف: فاعل، مرفوع وعلامة رفعه الضمة. لأبيه: جار ومجرور، اللام: حرف جر، وأبي: اسم، مجرور باللام، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، أبي: مضاف، والهاء: ضمير، مضاف إليه، مبني على الكسر، محله جر بالمضاف.

قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: ٥].

إخوته كادوا ليوسف بأن ألقوه بالجب يريدون هلاكه، هذا هو كيدهم، فالله كاد لهم وقابل هذه المكيدة بأن نجاه، وهيأ من يخرجه من الجب.

قال تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ [يوسف: ٢٠].

شروه: فعل ماض والواو: ضمير متصل مبني على السكون محله: الرفع على الفاعلية، والهاء ضمير متصل مبني على الضم. بثمن: الباء: حرف جر، وثمن: اسم مجرور بالباء، وعلامة جره: الكسرة الظاهرة. بخس: صفة مجرورة لثمن. دراهم: بدل من ثمن، مجرور بالفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه اسم لا

ينصرف، والمانع له من الصرف علة واحدة تقوم مقام علتين، وهي صيغة منتهى الجموع. معدودة: صفة حقيقة.

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

(أصب إليهن)، أي: أمل إليهن، وأكن من الجاهلين[(١)].

قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ﴾ [يوسف: ٣٥].

ثم بدا لهم: بدا فعل ماض، وفاعله مستتر، بمعنى بدا هو[(٢)].

قال تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ٥١].

قرأ بعضهم: (قالت امرأة العزيز) بضم التاء، وهي أيضا تاء تأنيث[(٣)].

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [يوسف: ٦٣].

أرسل: فعل أمر مبني على السكون، والفاعل مستتر وجوبا، تقديره أنت.

---

(١) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٣٠/ أ).

(٢) **ينظر**: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٨/ ب).

(٣) **ينظر**: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٢/ ب).

معنا: مع: ظرف، مع: مضاف، نا: ضمير متصل، مبني على السكون، في محل جر بالمضاف. أخانا: مفعول به للفعل أرسل، منصوب وعلامة نصبه الألف نيابة عن الفتح؛ لأنه من الأسماء الخمسة، أخا: مضاف، ونا: ضمير متصل، مبني على السكون محله جر بالمضاف. نكتل: فعل مضارع، مجزوم، في جواب الأمر أرسل؛ لأن معنى أرسل تضمن معنى الشرط[1]، كأن المعنى إن ترسل معنا أخانا نكتل، مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]، والفاعل: مستتر وجوبا[2].

قال تعالى: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٦-٦٧].

(قال لن أرسله معكم) وهو شقيق يوسف، ﴿حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ إلى أن قال: ﴿يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾، فقوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾؛ غرضه

---

(١) الصحيح: أن الفعل نكتل مجزوم، والجازم له شرط دل عليه الطلب، والتقدير: إن ترسل معنا أخانا نكتل. لأن الجزم يكون بشرط مقدم دل عليه الطلب. توضيح المقاصد بشرح ألفية ابن مالك، لابن أم قاسم المرادي: (١٢٥٧).

(٢) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٤/ ب).

من هذا: خشية العين كما قاله جمع من المفسرين على هذه الآية[١].

قال تعالى: ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٧٦].

بدأ: فعل ماض. بأوعيتهم: جار ومجرور، الباء: حرف جر، وأوعية: اسم مجرور بالباء، وعلامة جره الكسرة الظاهرة، وأوعية: مضاف، والضمير: مضاف إليه مبني على الكسر، محله جر بالمضاف، والميم: علامة الجمع. قبل: ظرف منصوب على الظرفية. قبل: مضاف، ووعاء: مضاف إليه، مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة، وعاء: مضاف، وأخيه: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، وأخي: مضافا، والهاء: ضمير مضاف إليه، مبني على الكسر، في محل جر بالمضاف.

ثم: حرف عطف. استخرج: فعل ماض، والهاء ضمير، مبني على السكون، في محل نصب على المفعولية، والفاعل: ضمير..... أخي: مضاف، والهاء: ضمير متصل، مبني على الكسر، في محل جر مضاف إليه[٢].

قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٧٦].

الواو: حسب ما قبلها. فوق: ظرف مكان منصوب وعلامة نصبه الفتحة

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢/أ).

(٢) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٥/ب).

الظاهرة، فوق: مضاف. كل: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة، كل: مضاف. وذي: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الياء؛ لأنه من الأسماء الخمسة، ذي: مضاف. وعلم: مضاف إليه مجرور بالمضاف وعلامة جره الكسرة الظاهرة[(١)].

قال تعالى: ﴿ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَـٰفِظِينَ﴾ [يوسف: ٨١].

ارجعوا: فعل أمر مبني على ما يجزم به مضارعه وهو حذف النون، والواو: فاعل. إلى أبيكم: جار ومجرور، إلى: حرف جر، أبي: اسم مجرور بإلى وعلامة جره الياء نيابة عن الكسر؛ لأنه من الأسماء الخمسة، أبي: مضاف، والكاف: مضاف إليه مبني على الضم، محله جر بالمضاف، والميم علامة الجمع[(٢)].

قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَـٰلِكِينَ﴾ [يوسف: ٨٥].

يعني قالوا: تالله لا تفتأ تذكر يوسف، يعني أنت دائما تذكر يوسف[(٣)].

قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٩٦].

---

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (١٢/ ب).
(٢) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٥/ ب).
(٣) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (١٠/ أ).

فلما: يعني وحين أن جاء البشير، فـ (أن) هنا صلة، وفي غير القرآن يقال زائدة. أما في القرآن يقال صلة؛ لأن القرآن ليس فيه زائد، ومثله قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا ﴾ [القصص: ١٩]، فلما وقعت (أن) بعد (لما) كانت صلة، و(لما) تدل على حين، يعني ظرفا بمعنى حين[(١)].

قال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴾ [يوسف: ٩٧].

قالوا: قال: فعل ماض، والواو: ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل. يا أبانا: يا: حرف نداء، أبا: منادى منصوب بحرف النداء وعلامة نصبه الألف نيابة عن الفتحة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، وهو مضاف، والضمير المتصل، نا: مضاف إليه. استغفر: فعل أمر، والفاعل: مستتر وجوبا تقديره: أنت. لنا: جار ومجرور، اللام: حرف جر، ونا: ضمير متصل مبني على السكون محله جر باللام. ذنوبنا: مفعول به، ذنوب: مفعول به لاستغفر، وهو مضاف، ونا: مضاف إليه. مفعول لأي شيء؟ مفعول لاستغفر[(٢)].

قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦].

الآية نزلت في الشرك الأكبر لكن يجوز أن يستدل بها على الشرك الأصغر.

(وما يؤمن أكثرهم بالله)، يعني: يؤمنون بوجود الله، ويؤمنون بأن الله يخلق، ويرزق، ويعطي، ويمنع لكنهم يشركون في عبادته، فهم يؤمنون بتوحيد

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٧/ أ).

(٢) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٤/ ب).

الربوبية، ويشركون في توحيد الألوهية. ومعنى توحيد الربوبية: أن نوحده بأفعاله. وتوحيد الألوهية: أن نوحده بأفعالنا. فهؤلاء وحدوه بأفعاله إلا أنهم لم يوحدوه بأفعالهم حيث جعلوا لله شريكا، وجعلوا لله وسائط بينهم وبين الله، ففي أفعالهم أشركوا، أما في أفعال الله فهم موحدون في ذلك[1].

قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [يوسف: ١٠٨].

كان النبي ﷺ يَغشَى الناس في مَجالِسهم أيام المَواسم، ويَتبَعهم في أسواقهم؛ فيَتلو عليهم القُرآن، ويَدعوهم إلى الله ﷻ ويقول: «مَن يُؤوِيني ومَنْ يَنصُرني حتى أُبلِّغ رِسالات رَبِّي وله الجَنَّة»[2]،[3].

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

يقول الله سبحانه وتعالى لعبده ورسوله محمد ﷺ: قل يا محمد هذه سبيلي، أي طريقتي، ومحجتي التي أنا عليها؛ وهو الصراط المستقيم، عبادة الله وحده لا شريك له. ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ يعني: أدعو بمعنى: أرشد الناس، وأبين لهم، وأحثهم، وأرغبهم على سلوك هذا السبيل الذي أنا عليه، فإني على بصيرة: أي على علم ويقين من ذلك، ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ يعني: ويدعو

---

(١) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٥/ ب).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: (ح:١٤٨٧٩)، وابن خزيمة في صحيحه: (ح:١٣٩٧).

(٣) **ينظر**: الرسائل والمقالات: (٣/ ٢٢٠).

إليه أيضا أتباعي، فأنت متى دعوت إلى السبيل الذي جاء به الرسول، وهو الصراط المستقيم. إذا تكون أنت من أتباع النبي ﷺ، كما في هذه الآية: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ أي أنزه الله، وأجله، وأعظمه من أن يكون له شريك، أو مثيل، أو نديد في عبادته، أو في أسمائه، وصفاته. ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ بل أفارقهم؛ لأن المخالطة تؤثر فمتى خالطت المشرك ولم تنكر عليه؛ تتأثر، ويكون قلبك حينئذ لا يغير منكرا، ولا يعرف معروفا حتى ولو كنت في نفسك أنت لا تشرك، ولو كنت في نفسك صالحا، بأن قمت بما يجب عليك؛ لكن متى جالسته، وآكلته، ورافقته، وصادقته، فإنك حينئذ يخشى أن تكون مثله، بل أنت مثله؛ لأنه يقول: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ وإن لم تكن مثله في العقيدة لكنك مجرم بهذا الصنيع، فهذا إجرام، وعليك إثم كبير، فلابد من مفارقته؛ لأن مخالطته لابد وأن تؤثر عليك في كل حال، فكيف والنبي ﷺ يقول: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[1]، فأقل ما يفيده «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» التحريم، وإلا فظاهره يفيد الكفر، من تشبه بكفار فهو منهم يعني هذا معناه. ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أي على علم، ويقين، ويدعوا إليه أتباعي إلى هذا السبيل الذي جئت به، وأعظم الله، وأنزهه من أن يكون له شريك، أو معين، أو ظهير، أو نديد في ذاته، أو في أفعاله، أو في صفاته. ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ بل أفارقهم، وأبتعد عنهم؛ لأن من سلك سبيلهم ففيه شعبة من شعبهم مقل ومستكثر. فهذا هو معنى ما قاله جمع من العلماء. ثم تكلموا في

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه: (ح: ٤٠٣١) وأحمد في مسنده: (ح: ٥١١٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

الدعوة، وما يترتب على ذلك فقالوا في قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ [النحل: ١٢٥]: الدعوة مستلزمة لمعرفة ذلك السبيل، إذْ لا يمكنك أن تدعو إلى هذا السبيل إلا وأنت عالم به؛ عارف به. ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ أي على علم، ويقين. ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ ويدعو إليه أتباعي، فأتباعه هم الذين يدعون إلى هذا السبيل الذي أناره النبي ﷺ، وأوضحه لأمته، وبينه. ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ المشرك مهما عمل الله لا يقبل منه أي عمل ما دام مشركا. ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ بالطاعة، وتلاوة القرآن، والصلاة والأعمال الصالحة لكن ما دام مشركا فعمله مردود عليه. ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣][(١)].

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ [يوسف: ١٠٩].

الآية تدل على اختصاص النبوة بالرجال، ونفيها عن النساء، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ [الأنعام: ١١٢] فالنبوة من خصائص الرجال ولا التفات إلى قول ابن حزم حيث زعم أن مريم نبية، كما هو قول جماهير أهل العلم سلفاً وخلفاً من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم[(٢)].

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٣/أ).
(٢) ينظر: الفتاوى الخاصة: (١/ ٤٤).

سورة الرعد

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢].

﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني: إلى أجل مسمى.

قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦]

الواو: واو الحال(١). إن: حرف توكيد ونصب، تنصب الاسم، وترفع الخبر. ربك: رب: اسم إن منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والكاف: ضمير متصل مبني على الفتح، في محل جر بالمضاف. للناس: اللام: حرف جر، والناس: اسم مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة. على ظلمهم: على: حرف جر، وظلم: اسم مجرور بعلى وعلامة جره الكسرة الظاهرة. ظلم: مضاف، والهاء: مضاف إليه مبني على الكسر، في محل جر بالمضاف، والميم: علامة الجمع. لشديد: اللام: للتأكيد، شديد: خبر إن مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة. شديد: مضاف، والعقاب: مضاف إليه(٢).

---

(١) الصحيح: أنها عاطفة وليست حالية؛ لأنها عطفت الجملة على سابقتها، كما أن هذه الجملة ليست دالة على حال.

(٢) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (١٠/أ).

قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

يقول الله جل ذكره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾، أي: أن الله إذا أنعم النعم على عباده فالرب لا يغير نعمه، بل نعمه متواصلة، إلا إذا غيروا غير عليهم، أما ما داموا مستقيمين فالنعم لا تُغير أبدا، فربك لا يغير نعمه إلا إذا غيروا غير عليهم، وإذا شكروا تلك النعم فإنها تبقى وتزداد قال تعالى: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧][1].

قال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ [الرعد: ١٤].

اللام: لام كي. يبلغ: مضارع منصوب بأن مضمرة جوازا بعد لام كي وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره. فاه: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الألف نيابة عن الفتحة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، فا: مضاف، والهاء: ضمير مضاف إليه مبني على الضم، محله جر بالمضاف[2].

فالله سبحانه وتعالى أخبر بأن هؤلاء المدعوين لا يغنون عن من دعاهم شيئا، ولا

---

(١) ينظر: الفتاوى والدروس: (٩٤٦).

(٢) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٤/ب).

ينفعونهم بشيء، بل هم أعداء لهم يوم القيامة، كما دل على ذلك القرآن[1].

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ [الرعد: ٢٩].

قيل إن طوبى شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها خمس مائة عام[2]، وقيل غير ذلك، وهو معنى قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾، وقيل: إن طوبى مأخوذة من الطيب وهي الراحة، والطمأنينة، والأكل الطيب، والراحة الطيبة مثل قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧][3].

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠].

سبب نزول هذه الآية: هو أن النبي ﷺ لما جاء إلى مكة معتمرا ومنعته

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (١/ أ).

(٢) قد يكون زلة لسان من الشيخ، فلم يرد أن ظل شجرة طوبى يسير فيه الراكب خمس مائة عام، إنما الوارد يسير فيه الراكب مائة عام. فقد روي من حديث أبي سعيد الخدري أن رجلا سأل رسول الله ﷺ ما طوبى؟ قال: «شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ مِائَةِ سَنَةٍ، ثِيَابُ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ أَكْمَامِهَا». أخرجه الطبري في تفسيره: (١٣/ ٥٢٩)، وأحمد في مسنده: (١٨/ ٢١١). قال في السلسلة الصحيحة، (ح/ ١٩٨٥): وهذا سند لا بأس به لسوء حفظ دراج. (٤/ ٦٣٩).

(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٥/ أ).

قريش في الحديبية ووقع الصلح بينهم وبينه على أن يرجع هذا العام ويعتمر في العام المقبل؛ اتفقوا على هذا، وجاء سهيل ليكتب كتاب الصلح، فجعل الرسول يملي عليه: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد. قالوا: لا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، ولكن اكتب باسمك اللهم. فأنزل الله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾[1].

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الرعد: ٣١].

أن: مخففة من الثقيلة. لو: حرف شرط غير جازم. يشاء: فعل مضارع مرفوع؛ لتجرده من الناصب والجازم، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره. الله: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره. لهدى الناس جميعا: اللام للتأكيد، واقعة في جواب لو، هدى: فعل ماض، الناس: مفعول به، جميعا: توكيد[2].

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٧/ ب).

(٢) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (١٠/ ب).

سورة إبراهيم

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].

الشكر هو سبب لتقييد النعم، وسبب إلى بقائها، وسبب إلى كثرتها. لكن الشكر ما هو؟ الشكر مبني على ثلاثة أركان:

أولا: الاعتراف بأن هذه النعم من الله سبحانه وتعالى، فالله هو الذي أنعم عليك بالصحة، وأنعم عليك بالمال، وأنعم عليك بالعافية، وأنعم عليك بالأمن والاستقرار، تعترف بأن هذا كله من الله.

ثانيا: تستعين بهذه النعم على صرفها في مرضاة مسديها. يعني هذه النعم تصرفها في مرضاة الله، فهذه الصحة والعافية تصرفها في مرضاة الله... هذان ركنان أولا: الاعتراف بالنعم، ثانيا: صرفها في مرضاة مسديها. الاعتراف بهذه النعم يعني ظاهرا[(١)] وباطنا، وتصرف هذه النعم في مرضاة الله، وأن الله هو الذي أوجدها وساقها إليك فلابد من هذه الأمور: التحدث بها ظاهرا؛ الاعتراف بها باطنا، وصرفها في مرضاة الله[(٢)].

---

(١) هذا هو الركن الثالث: وهو التحدث بالنعمة. قال ابن القيم: الشكر مبني على ثلاثة أركان: الاعتراف بها باطنا، والتحدث بها ظاهرا، وتصريفها في مرضاة وليها ومسديها ومعطيها. الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب: (٥).

(٢) ينظر: الفتاوى والدروس: (٦٤٨).

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [إبراهيم: ٩].

ألم: الهمزة حرف للاستفهام، لم حرف نفي وجزم وقلب. يأت: فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف الياء والكسرة قبلها دليل عليها، والكاف: ضمير متصل مبني على الضم محله النصب على المفعولية، والميم: علامة الجمع. نبأ: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، نبأ: مضاف. الذين: اسم موصول، مضاف إليه مبني على الفتح، محله جر بالمضاف. من قبلكم: من: حرف جر، وقبل: اسم مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة، وهو مضاف، والضمير: مضاف إليه مبني على الضم، محله جر بالإضافة[1].

قال تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: ١١].

قال: فعل ماض، والتاء: علامة تأنيث. لهم: جار ومجرور، اللام: حرف جر، والهاء: ضمير مبني على الضم في محل جر باللام، والميم: علامة جمع. رسلهم: فاعل والفاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، رسل:

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٦/ ب).

مضاف، والضمير: مضاف إليه مبني على الضم، محله جر بالمضاف، والميم: علامة الجمع. إن نحن: إن: نافية، يعني: ما نحن إلا بشر مثلكم، لا تعمل لأنها انتقضت بإلا، نحن: ضمير منفصل مبني على الضم، محله رفع على الابتداء. إلا: أداة استثناء ملغاة. بشر: خبر مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره. مثلكم: نعت، مثل: مضاف، والكاف: مضاف إليه مبني على الضم، محله جر بالمضاف، والميم: علامة الجمع[1].

إن: نافية. نحن: ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع على الابتداء. إلا: أداة استثناء. بشر: خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره[2].

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

ماهي الكلمة الطيبة؟ قال بعض المفسرين: هي "لا إله إلا الله"[3]. كشجرة طيبة: قالوا هي النخلة كما في قول بعض المفسرين[4]، وثمرتها حلوة، وكل شجرة طيبة يكون ثمرها حلوا، من جنس شجرة الإيمان سواء بسواء، ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ أي كل سنة؛ لأن حينا تأتي في لغة العرب بمعنى الصباح والمساء:

---

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٣/ أ).

(٢) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٩/ ب).

(٣) ينظر: تفسير الطبري: (١٦/ ٥٦٧).

(٤) ينظر: تفسير الطبري: (١٦/ ٥٦٨).

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم: ١٧]، وتأتي حين مطلقة ويراد بها السنة كما في هذه الآية، وتطلق ويراد بها الأحقاب من السنين كأربعين سنة، إلى غير ذلك.

وذكر بعضهم هنا نكتة: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ هي "لا إله إلا الله"، ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا﴾ وهي النخلة. قال ما معناه: إن بين كلمة الإخلاص وبين النخلة تلازما؛ حيث شبه الله النخلة بأنها طيبة و"لا إله إلا الله" كلمة طيبة، فشبه هذه بتلك؛ بجامع أن "لا إله إلا الله" تكسب القلب إيمانا لمن عرفها وعرف معناها وعمل بمقتضاها؛ أكسبت قلبه إيمانا فذاق بهذا حلاوة الإيمان، فكذلك النخلة أيضا؛ فإنها غذاء وثمرتها حلوة. قال: وإن كان رأيا بعيدا لكن لا بأس بذكره، ولهذا المسلمون في أيام فتوحاتهم استولوا على جميع البلاد التي تنبت بها النخل، فلم يبق بلد فيها نخل إلا وقد استولى عليها المسلمون؛ لأنهم يقولون لا إله إلا الله ويعملون بها؛ ويعرفون معناها؛ فما يشابهها فقد ملكه المسلمون. ولكن هذا يحتاج إلى نظر[1].

قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

إنك إذا وضعت في قبرك جاءك الملكان منكر ونكير فسألاك المسائل الثلاث: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ إن كنت من أهل الخير؛ ومن أهل

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٢/ أ).

التقى والصلاح فإن الله يثبتك ويلقنك الجواب، وإن كنت بعكس ذلك فإنك تقول لا أو تقول هاها لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته، ثم يضرب بمرزبة من حديد لو اجتمع أهل الأرض على أن يقلوها ما استطاعوا، فيصيح صيحة يسمعها كل من خلق الله إلا الجن والإنس فلو سمعها الإنسان لصعق؛ لا يستطيع أن يعيش على هذه الأرض، ولكن الله حجب عنا ما كان يلاقيه الموتى في قبورهم، وهذا معنى قوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم:٢٧][١].

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

اجنبني: بمعنى أبعدني، من المجانبة وهي المباعدة. هذا سؤال من الخليل عليه السلام يسأل الله بأن يبعده ويجانبه عبادة الأصنام هو وبنيه. ماذا تفهم من هذا؟ نفهم منه شيئا آخر، ما هو؟ نقول: إذا كان هذا خليل الرحمن؛ إمام الأنبياء؛ ووالد الحنفاء صلى الله عليه وسلم خاف على نفسه من الشرك، وهو الوقوع بعبادة الأصنام، فما ظنك بك أنت؟ ما دام أن هذا الخليل الذي قد صفا قلبه لله، بذل نفسه لله حتى أحرق في النار، أوقدوا له نارا. كله في سبيل الله، لما كسر أصنامهم وألقوه فيها حتى منَّ الله عليه بالسلامة، وأمر النار بأن تكون بردا وسلاما.

---

(١) ينظر: الفتاوى والدروس: (١٠٣).

ثانيا: أمر بذبح ولده وفلذة كبده ليسلم قلبه لله ولا يكون فيه شركة لسواه.

وثالثا: ماله قربه لهؤلاء الضيوف فصار خليلا، وأثنى الله عليه بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[النحل: ١٢٠- ١٢١] ومع هذا يقول: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم:٣٥- ٣٦]، وأي شيء أبلغ من هذا، إذا كان هذا إبراهيم وهذه حالته ويخشى على نفسه من الوقوع في الشرك -عبادة الأصنام- فما ظنك بغيره! فما ظنك بغيره! بل غيره بطريق الأولى.

في حين أن كل عاقل حينما يتأمل هذه الأصنام؛ وهؤلاء الأموات؛ وهذه الأبنية؛ وهذه الأفكار التي يعتقد بها بعقله، يعرف أنها لا تنفع ولا تضر وأي نفع عند هذا الميت؟ وأي نفع عند هذا الصنم؟

الصنم هو ما نحت على صورة وعبد من دون الله، والوثن أعظم؛ فكل وثن صنم وليس كل صنم وثنا[1].

قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، أي ظلوم بنفسه، كفار بنعمة ربه.

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢/ ب).

سورة الحجر

قال تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ [الحجر:١٩].

العلوم الحديثة كلها دل عليها القرآن فمثلا: القرآن أشار إلى أشياء بزعمهم الآن أنهم اكتشفوا علوما جديدة لم يسبقهم من عرفها قبل هذا القرن، أو قبل هذا العصر القريب، ومن ذلك في علم الزراعة يقولون: إن الزراعة لها فن مستقل، وعلوم مستقلة؛ وذلك أن النبات يتكون من أربعة عناصر. هذا قول العصريين الآن علماء الزراعة الجدد – يقولون: يتكون من أربع عناصر فلابد من التعادل بين هذه الأربعة العناصر، فإذا تغلب واحد منها مات النبات، أو ضعف نموه. والعناصر هي: الماء، الثاني: التربة، الثالث: الهواء، الرابع: الشمس. فهذه عناصره، هذه الأصل لنمو الأشجار، والنباتات، والزروع، لابد من هذا فإن تغلب الماء مات الزرع أو ضعف نموه، أو تغلب الهواء، أو تغلبت الشمس، أو تغلبت التربة. فلابد من التوازن بمقدار شيء معين يتناسب مع العناصر الأخرى. وقالوا: إن هذه علوم جديدة لم يعرفها السابقون لا المسلمون ولا غير المسلمين. في حين أن القرآن أشار إلى هذا قبلهم وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ لاحظ قوله: «موزون» ولم يقل بهيج؛ لأن الآية سيقت في امتنان ما يخرجه الله لعباده، والدلالة على وجود الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾، فصار القرآن أشار إلى هذا من ألف وأربع مائة سنة قبلهم.

قال تعالى: ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ [الحجر: 30].

[illegible]

قال تعالى: ﴿قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون (36) قال فإنك من المنظرين (37) إلى يوم الوقت المعلوم﴾ [الحجر: 36-38].

[illegible] ﴿قال رب﴾ [illegible] ﴿فأنظرني﴾ [illegible] ﴿إلى يوم يبعثون﴾ [illegible] [2]

﴿قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون﴾ [الحجر: 36]. "فأنظرني" أي: أمهلني [3]

قال تعالى: ﴿قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين (55) قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾ [الحجر: 55-56].

(1) انظر: [illegible]
(2) انظر: شرح الشيخ [illegible]
(3) انظر: شرح الشيخ [illegible]

[illegible]

[illegible] [الحجر: [illegible]] [illegible]

[illegible] [الحجر: ٥٥] أي: لا تكن من [illegible]

[illegible]

[illegible] [هود: ١٢٣] [illegible]

قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الحجر: ٧٥]

يعني: إن في ذلك لآيات [illegible]

قال تعالى: ﴿لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين﴾ [الحجر: ٨٨]

[illegible]

- انظر: شرح الشاطبية [illegible]
- انظر: شرح الشاطبية [illegible]
- انظر: [illegible]

قال تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨].

بيان حقوق الرعية على ولي الأمر[(١)].

قال تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤].

الحديث وإن كان فيه ضعف: «ما أنا بالذي أقول غيرها، حتى يأتوا بالشمس فيضعوها في يدي، ولو أتوا بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها»[(٢)] يؤيده القرآن: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾، فالله أمره بأن يصدع بالحق ولا يبالي، فالخبر وإن كان فيه ضعف لكن الشواهد تدل على صحة معناه، وهو أن الرسول ﷺ أمر بالدعوة والصبر عليها وأن يصدع بالحق غير مبال بمن خالفه، وإن هذه وظيفة الرسل كما في الآيات الكثيرة الدالة على هذا المعنى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾[الحجر: ٩٤- ٩٧] هذه أبلغ في المعنى مما نقل في قوله: «ما أنا بالذي أقول غيرها، حتى يأتوا بالشمس فيضعوها في يدي، ولو أتوا بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها»[(٣)]؛ هذا من جهة المعنى. أما من جهة الخبر فابن كثير وابن جرير كلاهما ذكره، لكن لا يلزم من ذكرهم له أنه صحيح، والاستشهاد به ما فيه مانع ما دام المعنى يؤيده القرآن[(٤)].

---

(١) ينظر: الرسائل والمقالات: (٢/ ٣٠٦).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره: (١٢/ ٣٥).

(٣) ينظر: تفسير الطبري: (١٢/ ٣٥)، تفسير ابن كثير: (٣/ ٣١٥).

(٤) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٩/ أ).

سورة النحل

قال تعالى: ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٥ - ٨].

﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [النحل: ٥] سيقت في بيان امتنان النعم التي امتن الله بها على عباده ما يركبون، ويأكلون، ويحملون أثقالهم من بلد إلى بلد. ثم قال: ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ ثم قال: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أشار القرآن إلى الآلات الجديدة، يعني: يخلق لكم من هذا النوع مما ستركبونه في المستقبل ما لا تعلمونه؛ لأن قوله: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ جاءت في سياق ذكر الإبل والخيل وآلة الركوب. وآلة الركوب هي الآلة التي ينتقل بها من بلد إلى بلد، قال: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ كل هذا يدل على كمال علم الله سبحانه وتعالى ويدل على عظمة القرآن[1]. فيخلق لكم مما ستركبونه في المستقبل ما لا تعلمونه الآن، وقد علمناه الآن وعرفناه، وهذا من علامات الساعة كما أخبر النبي ﷺ[2].

قال تعالى: ﴿ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ١١].

---

(١) ينظر: شرح كتاب التوحيد: (١٢/ ب).
(٢) ينظر: الفتاوى والدروس: (١٠٩).

إن: حرف توكيد ونصب، تنصب الاسم وترفع الخبر. في ذلك: في حرف جر. ذلك: ذا اسم إشارة مبني على السكون محله الجر بحرف الجر، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب. لآية: اللام للابتداء، آية: اسم إن منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره. لقوم: جار ومجرور. اللام: حرف جر. قوم: اسم مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره. يتفكرون: فعل مضارع مرفوع؛ لتجرده من الناصب والجازم وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل[(١)].

قال تعالى: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٣]. مختلفاً بمعنى تختلف ألوانه[(٢)].

قال تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

أي: لمعرفة طرقهم وجهة سيرهم وما أشبه ذلك[(٣)].

يقول المنجمون: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ أي: يعرفون المغيبات في المستقبل وما يقع للإنسان فهذا معنى ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾، وليس المراد أنها علامات فقط بل هي عامة[(٤)].

ويقول المسلمون: لا، بل ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ في طرقهم وأسفارهم

(١) ينظر: شرح الشيخ للأجرومية: (٤/أ).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٨/ ٥).
(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١٠/ أ).
(٤) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٠/ ب).

يعرفون جهة سيرهم، كما في الآية الأخرى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧]، فقيد الاهتداء بها في ظلمات البر والبحر، فلو كان المراد يُهتدى بها في العلوم المغيبة لم يقل ﴿فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ فهو يكون أعم من هذا كله، مع أنهم يكذبون ولا يمكن أن يصلوا إلى حقيقة، ربما وصلوا مرة لكنهم يكذبون مائة مرة كما هو معلوم(١).

فقوله تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦] مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧].

وحكم تعلم علم النجوم: إن تعلم علم النجوم لأجل التسيير لا بأس به، وتَعَلُّمَها للتأثير لا يجوز، أما للتسيير بحيث تعرف جهة القبلة، وتعرف أيضا جهة شيء، هذا كله لا بأس به، أو يكون في البحر في الباخرة أو في السفينة في أعماق البحار يعرف جهة مشيه بما يشاهده من النجوم، بأن يجعل مثلا الجدي على كتفه الأيمن فيكون متجها إلى كذا، أو خلف أذنه اليسرى يكون متجها نحو كذا. وهذا صرح به أهل العلم في معرفة علامات القبلة، وقالوا: إن علم التنجيم ينقسم إلى قسمين: علم التأثير: هذا هو الذي قلنا سابقا لا يجوز، وهو معنى قولهم الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية. وعلم التسيير: يعني جهة القبلة، ومعرفة جهة شيء إلى الجنوب، إلى الشمال، إلى الشرق، هذا لا بأس به، ومعرفة أوقات الصلاة، ومعرفة قصر الليل وطول

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢١/أ).

الليل، كل هذا لا بأس به؛ فهذا ليس من باب علم التأثير، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ في أسفارهم، وفي طرقهم إذا سلكوها في الليل يعرفون جهة مشيهم بما يشاهدونه من النجوم[1].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦].

﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾: وَحِّدُوا الله، وأَفْرِدُوه بالتَّألُّه له تعالى، فالعبادة: «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظَّاهرة، والباطنة» من الدُّعاء والخوف، والرَّجاء والتَّوكل، والرَّغبة، والرَّهبة، والخُشُوع، والخَشْيْة، والاستعانة، والاسْتِغَاثة، والذَّبح، والنّذر، إلى غير ذلك من أنواع العبادة.

وَصرْفُ شيء من هذا إلى غير الله شِرْكٌ بالله، ومُنَافٍ لكلمة التَّوحيد: لا إله إلَّا الله، التي أُرْسِل لأَجْلِها جميع الرُّسل، فإنَّها كلمة عظيمة، قامت بها الأرض والسَّماوات، وخُلِقَت لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسل الله -تعالى- رُسُلَه، وأنزل كُتُبه، وشرع شَرَائِعه، ولأجلها نُصِبَت الموازين، وَوُضِعت الدَّواوين، وقام سوق الجنَّة والنَّار، وبها انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفَّار، والأبرار والفُجَّار، فهي مَنْشَأُ الخلق والأمر، والثَّواب والعقاب، وهي الحق الذي خُلِقَت له الخَلِيقة، وعنها وعن حقوقها السُّؤال والحِسَاب، وعليها يقع الثَّواب والعقاب، وعليها نُصِبت القبلة، وعليها أُسِّسَت

(١) ينظر: فتاوى نور على الدرب: الحلقة: ١٤٠، الدقيقة: ٩، الثانية: ٤٥.

المِلَّة، ولأجلها جُرِّدت السُّيوف للجهاد، وهي حَقُّ الله على جميع العباد، فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السَّلام، وعنها يُسْأَلُ الأولون والآخرون(١).

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٣].

لم يجعل الله النبوة في النساء، واختصاص النبوة بالرجال ونفيها عن النساء هو الحق، فالنبوة من خصائص الرجال، ولا التفات إلى قول ابن حزم حيث زعم أن مريم نبية كما هو قول جماهير أهل العلم سلفاً وخلفاً من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم: أن النبوة من خصائص الرجال(٢).

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

أنزلنا: أنزل فعل ماض، ونا: ضمير متصل في محل رفع فاعل، إليك: جار ومجرور، إلى حرف جر والكاف: ضمير متصل مبني على الفتح في محل جر بحرف الجر والجار والمجرور متعلق بأنزلنا. الذكر: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة. لتبين: اللام لام كي، تبين: فعل مضارع منصوب أن مضمرة جوازا بعد لام كي، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة. للناس: جار ومجرور، اللام: حرف جر، والناس: اسم مجرور باللام وعلامة جره الكسرة الظاهرة. ما نزل إليهم: ما: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب على المفعولية. نزل: فعل ماض لم يسم فاعله. إليهم: جار ومجرور، إلى حرف جر، والهاء: ضمير

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٩).

(٢) ينظر: الرسائل والمقالات: (٤/ ٢٩٩).

متصل مبني على الكسر في محل جر بحرف الجر، والميم: علامة الجمع[(١)].

قال تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٠].

قولكم المراد بالفوقية هي فوقية القدر والقهر. نقول: ماذا تقولون في قوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٠] جاءت الفوقية مجرورة بمن، فلا تستطيعون بهذا أن تقولوا فوقية القدر وفوقية القهر، بل هي: فوقية الذات؛ لأنه قال: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ فإدخال (مِن) دل على أنه فوقهم بذاته جل وعلا[(٢)].

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [النحل: ٦١]

معناها: هو أن الله ﷻ يمهل ولا يغفل، فالناس لو أن الرب يؤاخذهم بذنوبهم لأهلكهم، ولكنه يؤخرهم ويمهلهم؛ لعلهم أن يرجعوا؛ لعلهم أن يتوبوا؛ لعلهم أن ينيبوا إلى ربهم، يتذكروا قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [الزمر: ٥٣- ٥٤]، فلو أن الله أخذ الناس بذنوبهم ما بقي على ظهر الأرض أحدا، ولكن الرب -جل وعلا- يؤخرهم إلى أجل مسمى؛ فلعل المسيء يتوب؛ ولعل المذنب يستغفر، وإن استمر

---

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٨/ أ).

(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٣٤/ أ).

على فسقه ومعصيته فالله -جل وعلا- يعاقب من شاء منهم ويغفر لمن شاء منهم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨](١).

قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [النحل: ٨٣].

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ يقول بعض المفسرين: هي بعثة الرسول ﷺ يعرفون أن الله أرسل إليهم رسولا يخرجهم به من الظلمات إلى النور، ثم مع هذا أنكروا نبوته وجحدوها وهم في باطن الأمر يعرفون أنه رسول الله، فإرسال الرسل نعمة من الله، لكنهم قابلوا هذه النعمة بالجحود والإنكار، حيث لم يقبلوا ما جاء به رسولهم(٢).

أو بإضافتها إلى غير المنعم المتفضل(٣). يعني: يعرف أن هذه النعمة من الله ثم ينكرها بأن ينسبها إلى أبيه، وأنها انتقلت إليه بالميراث من أبيه ولم يدر من الذي ملكها أباه، ومن الذي أبقاها عند أبيه، ثم نقلها من أبيه إليه بالميراث. كل ذلك من الله سبحانه وتعالى(٤).

قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

---

(١) ينظر: نور على الدرب؛ الحلقة: (٢٦).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٧/ ب).
(٣) المرجع السابق.
(٤) المرجع السابق: (٢٩/ ب).

في هذه الآية: أن القرآن فيه البيان لكل شيء، وأن فيه الاهتداء التام، وأن فيه الرحمة الشاملة، وأن فيه البشارة الصادقة للمتمسكين به، الخاضعين لأحكامه[1].

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾ [النحل: ٩١- ٩٢].

إنك إذا أبرمت عهدا وأكدته فيجب المحافظة عليه، فإن من مدح المؤمنين الذي مدحهم الله به هو: الوفاء بالعهود قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]، وفي مدحه للمؤمنين بعد قوله: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ [الرعد: ٢٣] في سورة الرعد إلى أن قال ذاما من خالف ذلك قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥] وقوله: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ مثل قوله: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾.

﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾، أي: بعد إبرامها وإحكامها، وهو أن الإمام إذا أبرم عهدا مع الكفرة لا يجوز له أن ينقضه، بل يتم العهد إلا إذا خاف منهم ريبة، وخاف أن ينقضوا العهد، فهذا لا بأس أن يبعث إليهم بنقض العهد.

(١) ينظر: الرسائل والمقالات: (٢/ ٣١٥).

يعني ليعلمهم إذا خشي منهم أن يأخذوا المسلمين على غرة ويريد أن يتأهب، أما إذا أبرم العهد فلا يجوز نقضه بكل حال، فإن الله أمر بإيفاء العهود(١).

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [النحل: ٩٢].

أن: حرف مصدري ونصب. تكون: فعل مضارع ناقص منصوب بأن المصدرية وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره. أمة: اسم تكون مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره. هي: ضمير منفصل مبني على الفتح محله رفع على الابتداء. أربى: خبر المبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر؛ لأنه اسم مقصور معتل الآخر بالألف. من أمة: من حرف جر، أمة: اسم مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، والجملة من المبتدأ والخبر جملة اسمية في محل نصب خبر تكون(٢).

قال تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل: ١٠٦].

لم يعذر إلا المكره، أما من كفر وهو غير مكره بأن تكلم بكلمة كفر أو

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٣٣/ أ).

(٢) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٧/ ب).

عمل عملا يقتضي الكفر فهذا نقول: إنه مرتد كافر. ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ كما لو عُذبت ووافقتهم مكرها فأنت معذور، فأنت إنما وافقتهم بالظاهر وإلا فقلبك مطمئن بالإيمان؛ لأن العقيدة لا يمكن أحد أن يكره عليها؛ لأنك تكره أنت على القول أو الفعل، أما العقيدة فلا يتصور إكراه أحد عليها، ثم تأمل قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [النحل: ١٠٧]، يعني جاؤوا بكلمات الكفر بسبب محبتهم للدنيا على الآخرة فمن آثر بلدا، أو آثر عشيرة، أو مالا وقال بالكفر لأجل المداراة أو مشحة بوطنه، أو مشحة بماله، أو بعشيرته هذا لا ينفعه، بل هو مرتد مهما كانت الحالة؛ لأن الله يقول: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾، يعني كفروا بأنهم استحبوا الحياة الدنيا ولم يكونوا مكرهين مع اطمئنان قلوبهم بالإيمان...[(١)].

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠].

هذا ثناء من الله ﷻ على عبده وخليله إبراهيم إمام الحنفاء ووالد الأنبياء وخليل الرحمن، وقد أمر نبينا محمد ﷺ باتباع ملته في قوله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].

أما قوله جل وعلا ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ ما معنى أمة؟ الأمة هو من

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (٣/ ب).

يقتدى به في الخير، ويعلم الناس الخير، فإذا كان يعلم الناس الخير، ويقتدى به، فهو الإمام، أمة بمعنى: إمام، يعني إمامًا[1] في نفسه، وكذلك يقتدي به غيره، ويعلم غيره هذا هو الإمام. وهذه صفة إبراهيم عليه السلام.

﴿كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾ ما هو القنوت؟ هذه هي الصفة الثانية. القنوت هو دوام الطاعة، فإنه دائم الطاعة لله سبحانه وتعالى قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ [الزمر: ٩]، وقال: ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، فالإنسان إذا قام يصلي وأطال القيام والسجود، يقال أطال القنوت. فهذه من صفات إبراهيم التي أُمر نبينا باتباعها.

﴿حَنِيفًا﴾ ما معنى حنيفا؟ للعلماء فيها تفسيران، ولكن المعنى واحد وإن تنوعت العبارات، فالحنيف: هو المقبل على الله، المعرض عن كل ما سواه هذا هو الحنيف. وقيل الحنيف: هو المائل قصدا إلى التوحيد عن الشرك. والمعنى واحد.

﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ نفى الله عنه – عن خليله إبراهيم عليه السلام – الشرك قليله وكثيره، ولم يكن ممن عمل أي شرك ما.

وقال المصنف[2] في الكلام على الآية في إمامة إبراهيم ودوام قنوته وأنه حنيف، وأنه لم يكن من المشركين قال في الصفة الأولى: لئلا يستوحش السالك من قلة السالكين يعني أن إبراهيم وحده وما استوحش من حالته، بل هو الذي يعبد الله وحده، وجميع قومه كلهم على غير هدى كما حكى الله عنهم في القرآن،

---

(١) هكذا في كلام الشيخ، والصحيح: «إماما» بالنصب؛ لأنها مفعول.

(٢) **ينظر**: محمد بن عبد الوهاب، في كتاب التوحيد: (١٩).

ومناظرته لقومه وتكسيره لأصنامهم: ﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٩- ٦١]، وكذلك قال: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٨٠] إلى آخره، وقوله: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩]، فهو سلك الطريق وحده لئلا يستوحش من قلة السالكين. وكذلك أيضا قوله: ﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ يعني مديما الطاعة لله لا للملوك، ولا للتجار المترفين؛ إنما همه رضا الله، واتباع ما أمر الله به، لا يهمه أي شخص من صاحب رئاسة أو تجارة أو غيرهما. ﴿حَنِيفًا﴾: يعني مقبلا على الله لا يلتفت إلى غيره.

﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ بل فارق المشركين ببدنه، وعمله، واعتقاده، فحصلت له الاستقامة في العلم والعمل والدعوة.

هذا هو إبراهيم هذا من جهته. وبسبب هذا حصلت له الخلة ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، وقد قال المفسرون: إن إبراهيم حصلت له الخلة التي أثنى الله عليه بها لأمور ثلاثة أولا: بذل نفسه لله؛ فإنه لما كسر أصنام قومه وناظرهم وأقام الحجة عليهم؛ عمدوا إلى أن يوقدوا له نارا ويلقوه بها(١).

ولم يقل أنا مكره، ولم يوافقهم حتى ألقوه في النار، قال الله: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]، ولولا أن الله أتبع قوله بردا بسلام

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١/ ب).

لمات من شدة بردها هذه واحدة.

الحالة الثانية: بذل ولده لله ليسلم قلبه لله ولا يكون فيه شركة لسواه ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٢- ١٠٣]، يعني: وأهوى إلى حلقه بالسكين. أدركته رحمة رب العالمين ونودي: ﴿أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الصافات: ١٠٤- ١٠٥]، ولذا فدي بذبح عظيم، هذان أمران، أولا نفسه بذلها لله، ألقي في النار ولم يقل أنا مكره. الثانية: فلذة كبده لما رأى في النوم أنه يذبحه ورؤيا الأنبياء حق بمنزلة الوحي، عند ذلك أهوى إلى حلقه بالسكين امتثالا لأمر الله.

والحالة الثالثة: هو أنه على شظف من العيش لما جاءته الملائكة وهو يظن أنهم ضيوف قرب إليهم أعظم ما يملك؛ فقرب إليهم عجلاً سميناً، فقال ألا تأكلون؟ لما رأى أنهم كفوا أيديهم ولم يأكلوه؛ لأنهم ملائكة، أوجس منهم خيفة، فبذل ماله لله، ونفسه لله، وولده لله، مع هذه الصفات التي أثنى الله بها عليه صار خليل الرحمن. نال الخلة بهذا[1].

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٣].

ما هي الملة؟ هي الدين ملة إبراهيم. ما هو دين إبراهيم؟ جاء مبينا دين

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢/ أ).

إبراهيم الذي أمر نبينا باتباعه في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَٰهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَٰوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤] هذه هي ملة إبراهيم[1].

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ وهي: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَٰوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]، وقول إبراهيم لأبيه وقومه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧][2].

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

إن قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾ يوجب العلم بالسبيل، فالدعوة مستلزمه لمعرفة ذلك السبيل؛ إذ لا يمكنك أن تدعو إلى هذا السبيل إلا وأنت عالم به عارف به؛ هذا معنى ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾.

﴿بِالْحِكْمَةِ﴾ بالعلم. ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ أي: بالرفق واللين. ﴿وَجَٰدِلْهُم﴾ أي: أهل الكتاب أو غيرهم. ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾؛ لأنه أدعى إلى القبول، وكما قال الله في قصة موسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]؛ لكن قد تقول مثلا: هذه الآية تدل على أن الداعية يدعو الناس برفق ولين

---

(١) **ينظر**: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (٣/ ب).
(٢) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٢/ أ).

وتؤدة ويجذبهم باللين؛ لكن إذا لم يؤثر ذلك، بل تمادى في طغيانه وتمادى في عصيانه ولا ينفع فيه ذلك اللين الذي قال الله فيه ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ لم ينفع فيه، مثل ما في قصة هارون وموسى فهل تسقط الدعوة حينئذ؟ نقول لك لا بل الآية الأخرى بينت هذا السؤال قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الحديد: ٢٥] الذين من جملتهم الرسول محمد، ومن جملتهم موسى وهارون، وغيرهم ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥] ولم يقل إن الله غفور رحيم؛ لأن المقام مقام قوة فلابد من أطره على الحق أطرا، ولابد من الضرب على يده إذا لم تنفع فيه الموعظة ولم تنفع فيه الدعوة، لابد من إجباره ومنعه من تعاطي هذا الإجرام. هذا هو معنى الآية وهذا يكون عند السلطة(١).

قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل: ١٢٥]: هذا أمر من الله -جل شأنه- لنبيه محمد ﷺ بالدعوة، وهو أمر للأمة.

أيها المسلم: هذا نهج الله القويم، رسَمه لنبيه الكريم في سبيل الدعوة، فإن الله سبحانه وتعالى رتَب الدعوة في هذه الآية على حسب مراتب الخلق، و الداعي ينبغي له أن يدأب في دعوته بتذكير الناس إلى خالقهم ومولاهم، وعلى الله سبحانه وتعالى هُداهم،

---

(١) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٣/ أ).

وإنما عليه البلاغ مختاراً في دعوته من الظروف أنسبها، ومن الألفاظ ألينها، ومن المواعظ أحسنها؛ دعوة الخلق إلى الحق[(١)]

قال العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾: هذا أمر من الله لرسوله، والمراد أيضا أمته بأن يدعو إلى الله؛ لكن من لازم الدعوة إلى الله معرفة العلم بما يدعو إليه، فلا يمكن أن تدعو بأمر تجهله؛ من لازم الدعوة أنك عالم بما تدعو إليه فقوله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ هذا مستلزم لمعرفة السبيل علما، فإذا تخلف العلم لم تؤمر بالدعوة، إنما تدعو بالشيء الذي تعرفه، وأما الشيء الذي تجهله لا يجوز لك[(٢)].

وقد أمر الله رسوله بأن يدعو الناس كافة إلى سبيله، وبأن تكون الدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، فرتب الدعوة على حسب مراتب الخلق والدعوة إلى سبيله مستلزمة لبيان السبيل المدعو إليه[(٣)].

(١) ينظر: الرسائل والمقالات: (٤/ ٢٦٢).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢/ ب).
(٣) ينظر: الرسائل والمقالات: (٣/ ٢٢٤).

سورة الإسراء

قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

سبحان: اسم مصدر منصوب على المصدرية وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، سبحان: مضاف، والذي: مضاف إليه، اسم موصول مبني على السكون، محله جر بالمضاف. "سبحان" اسم مصدر؛ لأن مصدره سبح يسبح تسبيحا. فتسبيحا المصدر.

أسرى: فعل ماض. بعبده: جار ومجرور، الباء: حرف جر، وعبده: اسم مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء: ضمير متصل مضاف إليه مبني على الكسر محله الجر. ليلا: ظرف زمان منصوب على الظرفية وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة. من المسجد: جار ومجرور، من: حرف جر، والمسجد: اسم مجرور بمن علامة جره الكسرة الظاهرة. الحرام: صفة للمسجد مجرورة وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

أفادت "مِنْ" ثلاثة أشياء: اسمية مدخولها، والحكم عليه بالجر، وأمر معنوي وهو الابتداء. يعني أن الإسراء بدأ من المسجد الحرام حينما أسري بالنبي من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى[١].

---

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرح المقدمة الأجرومية: (٢/ أ).

قال تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨].

﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ إن: حرف شرط يجزم فعلين، الأول: فعل الشرط، والثاني: جوابه وجزاؤه؛ عدتم: هذا فعل ماض فعل الشرط يعني مبنيا على السكون، محله الجزم على أنه فعل الشرط، والتا: ضمير متصل، عدنا: هذا جواب الشرط[1].

قال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء: ٢٢].

لا: ناهية. تجعل: فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وعلامة جزمه السكون الظاهر على آخره. مع: ظرف، مع: مضاف واسم الجلالة: مضاف إليه مجرور بالمضاف وعلامة جره كسر الهاء تأدبا. إلها: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة. آخر: نعت لإله، ونعت المنصوب منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة[2].

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣- ٢٤].

(١) **ينظر**: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٨/ ب).

(٢) **ينظر**: تصويب الشيخ لطلابه في شرح للمقدمة الأجرومية: (٦/ أ).

قرن حق الوالدين مع حق الرب ﷻ مما يدل على عظم حق الوالدين، ثم قال: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾ يعني: إذا طعن في السن وبلغ من الكبر ما بلغ وصار إلى حالة هو فيها ضعيف، فلا ينبغي إلا أن ترحمه وتعرف له حقه ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ أي: لا ترفع صوتك عليهما ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ أي: لينا طيبا سهلا. ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ وتذكر حالك حينما كنت طفلا ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[1].

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

أوضحت الشريعة كيفية الاقتصاد، وبيَّنت كيف يصرف المال، فنهت عن التبذير وعن التقتير، وأمرت بالقوام بينهما، وقال في وصفه لعباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان:٦٧][2].

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١].

فالآية تمنع من القتل خشية الإملاق وهو الفقر، أي الفقر المتوقع، وتقرر أن الرزق بيد الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره[3].

---

(١) **ينظر**: الفتاوى والدروس: (٨٣٩).

(٢) **ينظر**: الرسائل والمقالات: (٢/ ٢٠٨).

(٣) **ينظر**: الرسائل والمقالات: (٤/ ٣٦٤).

قال تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: ٣٨].

فقوله مكروها يعني محرما بل شرك. ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا﴾ وعبر عنه بالكراهة، كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها، فاستفدنا من ذلك: أن الكراهية في القرآن وفي ألسنة السلف تطلق على التحريم وأنه يحرم ارتكاب هذه المنهيات، وإن عبر عنها بالكراهة[1].

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥٦ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٦- ٥٧].

معنى الآية: يقول الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء ﴿ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ الذين أنتم تعبدونهم وتريدون أنهم يرفعون حوائجكم إلى الله فإنهم لا قدرة لهم على شيء من ذلك، بل هم بأنفسهم يعبدون الله ويفردونه بالعبادة فكيف أنتم تعبدونهم وتصرفون لهم ما هو من حق الله سبحانه وتعالى سواء كان على قول بعض المفسرين: «الجن أو غيرهم»؛ لأن بعض المفسرين يقولون: إن هناك أناسا من الإنس كانوا يعبدون أناسا من الجن، وهؤلاء المعبودون من الجن أسلموا وبقوا على إسلامهم، وهؤلاء لا يزالون متمسكين بهم يعبدونهم، والمعبودون أسلموا ووحدوا الله سبحانه وتعالى فقال: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥٦ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ﴾ أنتم تدعونهم هم ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ﴾

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٦/ أ).

فكيف لا تصنعون مثل صنيعهم؟ فقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ﴾ يعني: الذين أنتم تعبدونهم من جن أو أنبياء أو ملائكة لا يستطيعون أن يرفعوا عنكم ضررا حل بكم، لا يملكون ذلك ولا يستطيعون إيصال النفع إليكم، ولا يستطيعون تحويلكم من حال إلى حال بأن ينقلوا الضرر عنكم إلى غيركم، أو يأتوا إليكم بنفع فإنه لا قدرة لهم، فإذا كانوا عاجزين فكيف تساوونهم برب العالمين؟ وكيف تسألونهم وترجونهم؟ ثم قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ﴾ أنتم تزعمون أنهم ينفعونكم أو يضرونكم مع أنهم لا ينفعون ولا يضرون، هم بأنفسهم يبتغون إلى الله الوسيلة، يعني يتقربون إليه بالأعمال الصالحة، فأعظم ما يتقرب به العبد إلى الله ويتوسل إليه بالإيمان به؛ هو مقتضى شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله؛ هذا من أعظم ما تتوسل به إلى الله مع بقية شرائع الإسلام، فصلاتك وسيلة، فأنت تتوسل إلى الله بصلاتك، تتوسل إلى الله بقراءة القرآن، تتوسل إلى الله بالصوم، تتوسل إلى الله بطلب العلم؛ إذا كان طلبك للعلم بنية خالصة لم يشبها شيء، تتوسل إلى الله بالدعاء؛ كل هذه تتوسل بها إلى الله. وهذا معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

وقيل: إنهم يعبدون الصالحين؛ فأنزل الله إن الذين تعبدونهم هم أناس صلحاء يبتغون إلى الله الوسيلة بالأعمال الصالحة ويرجون رحمته ويخافون عذابه فكيف تصرفون لهم حق الله؟[١]

---

(١) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٤/ ب).

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ﴾ أنتم تدعونهم من دون الله هم ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ جمعوا بين الرجاء والخوف؛ فالمؤمن لا يجوز له أن يغلب جانب الرجاء ولا أن يغلب جانب الخوف، إن غلبت جانب الرجاء هلكت، وقعت في الأمن من مكر الله، وإن غلبت جانب الخوف وقعت في القنوط من رحمة الله، وكلا الأمرين لا يجوز لك[1].

قال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

ومعنى الدلوك: الزوال. يقال: دلكت الشمس بمعنى زالت، فالرسول مأمور بإقامة الصلاة بعد الدلوك ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾، ومن هذا قالوا إن الوقت وقَّته الله ﷻ لأداء العبادة، وكذلك قوله: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]. أي: مفروضا في الأوقات[2].

قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٤]. أي: كل أحد، فحذفت الكلمة أحد وعوض عنها التنوين[3].

قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

الواو: عاطفة. ما: نافية. أوتي: فعل ماض، والتاء: ضمير متصل مبني على الضم محله رفع نائب فاعل. والميم: علامة الجمع. من العلم: جار ومجرور،

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (٢/ ب).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب الصلاة من الروض المربع: (٤/ أ).
(٣) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الأجرومية: (١/ ب).

والعلم: اسم مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره. إلا قليلا: إلا: أداة حصر، قليلا: مستثنى منصوب[1].

قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠].يعني: بخيلا[2].

قال تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ [الإسراء: ١٠٢].

﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ هذا قول موسى ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فأخبر موسى بأن فرعون يعلم بأن السماوات والأرض لها رب، وأن الآيات التي جاء بها موسى هي من عند الله، ومع هذا يقول،: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾[3].

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ فعرف موسى أن فرعون علم أن موسى رسول الله، وعلم أن هذه الآيات التي جاء بها موسى التسع أنها من عند الله، ولكنه جحد ولم يقبل[4].

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠].

﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ أيا: اسم شرط جازم يجزم فعلين، الأول:

---

(١) **ينظر**: تصويب الشيخ لطلابه في شرح المقدمة الأجرومية: (٩/ ب).
(٢) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب الصيام من الروض المربع: (٣/ أ).
(٣) **ينظر**: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (٣/ أ).
(٤) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٣٣/ أ).

فعل الشرط، والثاني: جوابه وجزاؤه. تدعوا: فعل مضارع، وهو فعل الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف النون، والواو: فاعل. فله الأسماء: الفاء: رابطة له: جار ومجرور، واللام: حرف جر، والهاء ضمير متصل مبني على الضم في محل جر. الأسماء: مبتدأ، له: خبر مقدم. الأسماء: مبتدأ مؤخر مرفوع بالضمة الظاهرة على آخره، الحسنى: صفة، أين جواب الشرط؟ الجملة من المبتدأ والخبر. ما هو الرابط؟ الرابط الفاء[1].

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٨/ ب).

سورة الكهف

قال تعالى: ﴿لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًاۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤].

لن: حرف نفي واستقبال. ندعو: فعل مضارع منصوب بلن وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة. من دونه: جار ومجرور من: حرف جر. دون: اسم مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، دون: مضاف، والضمير: مضاف إليه مبني على الكسر في محل جر بالمضاف. إلها: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة(١). وفاعل ندعو مستتر وجوبا تقديره: نحن(٢).

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١].

بأن بنوا مسجدا على محلات أصحاب الكهف. والمعنى: أنه لابد أن يوجد في هذه الأمة من يبني المساجد على قبور الصلحاء والأنبياء نظير ما هو موجود في الأمم السالفة قبلنا، «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ»(٣) سواء بسواء، والقبوريون يقولون: إن الآية دلت على المدح – مدح اتخاذ المساجد على القبور–؛ لأنه قال: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾، فالآية خرجت

---

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرح المقدمة الأجرومية: (٧/ ب).

(٢) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرح المقدمة الأجرومية: (٧/ أ).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: (ح: ٧٣٢٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

مخرج المدح، لكن لا يخفى فساد هذا، بل خرجت مخرج الذم والعيب لهم سواء كانوا مسلمين أو مشركين كما هو معلوم، فإن النبي ﷺ قال: «لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»(١)، فهذا يبين أن المقام مقام ذم، والمفسرون تكلموا على هذه الآية، وأحسن من رأيت تكلم عليها ونقل أقوال الأئمة الأربعة في تحريم بناء المساجد على القبور والأدلة في ذلك هو الألوسي في تفسيره(٢)؛ فإنه بسط المسألة وأوضحها، ونقل أقوال العلماء، ورد زعم من قال إن المراد هو من باب المدح أو أنه يجوز اتخاذ المساجد على القبور، فقد نقل أقوال العلماء الأئمة الأربعة وبالغ في ذلك جزاه الله خيرا.

والمعنى: أن هذه الأمة لابد أن يوجد فيها نظير ما وجد في الأمم السالفة، ولابد أن تعبد الأوثان على كل حال(٣).

قال تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٤].

عسى: فعل ماض ناسخ من أخوات كان ترفع الاسم وتنصب الخبر.

ربي: اسمها(٤) مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم؛ منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة، رب: مضاف، وضمير المتكلم: مضاف إليه مبني على السكون في محل جر بالمضاف، أن:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (ح: ٤٣٥) من حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) ينظر: تفسير الألوسي: (٨/ ٢٢٥).
(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١٦/ ب).
(٤) «عسى» هنا تامة لا تحتاج إلى اسم، بل الصحيح أن «ربي» فاعل للفعل «يهديني».

حرف مصدري ونصب. يهدي: فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، والنون: للوقاية، والياء: ضمير متصل مبني على السكون في محل نصب على المفعولية، لأقرب: جار ومجرور، اللام: حرف جر، أقرب: اسم مجرور باللام وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه اسم لا ينصرف والمانع له من الصرف علتان فرعيتان من علل تسع وهما: الوصف ووزن الفعل. رشدا: تمييز منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة[(١)]؛ لوقوعه بعد "أقرب". "أقرب" أفعل تفضيل[(٢)].

قال تعالى: ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا ﴾ [الكهف: ٣٣].

كلتا: مبتدأ مرفوع بالألف نيابة عن الضمة؛ لأنه ملحق بالمثنى[(٣)]، كلتا: مضاف. الجنتين: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الياء؛ لأنه مثنى: آتت: فعل ماض[(٤)].

قال تعالى: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَـٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [الكهف: ٧٩].

---

(١) **ينظر**: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (١٣/ أ).
(٢) **ينظر**: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (١٣/ أ).
(٣) الصحيح أنه مرفوعة بضمة مقدرة على الألف؛ لأنه اسم مقصور، وهو مفرد من جهة اللفظ مثنى من جهة المعنى.
(٤) **ينظر**: تصويب الشيخ لطلابه في شرح المقدمة الأجرومية: (١١/ ب).

سماهم مساكين مع أن لهم سفينة، ومع أنهم يعملون في البحر ويتكسبون منها؛ مما يدل على أن الفقراء أشد منهم حاجة[1].

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

هذه الآية هي آخر آية في سورة الكهف فقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ ما وجه المناسبة؟ وجه المناسبة بهذا والله أعلم: أن سورة الكهف تضمنت شيئا من أخبار المغيبات التي لا يعلمها إلا الله؛ مثل قصة أصحاب الكهف الذين أووا إلى كهفهم وبقوا فيه ثلاثمائة وتسع سنين ولم يُعلم بخبرهم، وهم قوم كانوا فبادوا، فأطلع الله نبيه على أخبارهم وشؤونهم وما جرى لهم مع قومهم، في حين أن القوم لا يعرفون شيئا من ذلك. ثم ذكر قصة موسى مع الخضر، ثم قصة ذي القرنين؛ وهي من الأمور المغيبة، وهي من جملة ما سأل اليهود عنها رسول الله ﷺ فانقطع الوحي عنه، فحزن ثم أنزل الله عليه خبرهم، إلا أنه قال: سأخبركم غدا عما سألتم عنه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول وعن وعن فقال أخبركم غدا[2]، جاء غد وبعد غد ولم يخبرهم فعتب الله عليه بقوله:

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب الزكاة من الروض المربع: (٧/ أ).

(٢) لم يتم الوقوف عليه بهذا اللفظ؛ وإنما أخرجه ابن حبان في صحيحه: (ح: ٩٩) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَتْ قُرَيْشٌ لِلْيَهُودِ: أَعْطُونَا شَيْئًا نَسْأَلُ عَنْهُ هَذَا الرَّجُلَ، فَقَالُوا: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَسَأَلُوهُ، فَنَزَلَتْ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، فَقَالُوا: لَمْ نُؤْتَ مِنَ الْعِلْمِ نَحْنُ إِلَّا قَلِيلًا، وَقَدْ أُوتِينَا التَّوْرَاةَ، وَمَنْ يُؤْتَ التَّوْرَاةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا؟ فَنَزَلَتْ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ الآيَةَ.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ [الكهف: ٢٣]، ثم بعد ما أخبره الله بأخبار هذه المغيبات قال الله له: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ لا علم لي بهذه المغيبات وهذه الأخبار إلا من الله؛ حيث جاءني الوحي بشأنها. ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ أي يعتقد أن الله سيبعثه وسيجازيه. ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ أي خالصا مما يشوبه ويبطله.

﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾، أحدا نكرة في سياق النفي، أي لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً[1].

---

(١) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٤/ ب).

سورة مريم

قال تعالى: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤].

شيبا تمييز محول من الفاعل؛ لأن المعنى واشتغل شيب الرأس.

شيب: فاعل، والرأس: مضاف إليه؛ لكن المضاف إليه جعل في محل الفاعل والفاعل صار تمييزا[١].

اشتعل: فعل ماض. الرأس فاعل مرفوع، شيبا: تمييز محول من الفاعل منصوب وعلامة نصبه الفتحة[٢].

﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ [مريم:٤] أي: سكوتا.

قال تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤٨].

الآية تدل على أنه اعتزلهم واعتزل معبوديهم من دون الله، ودعا ربه فأفرده بالدعاء. والدعاء معلوم أنه مخ العبادة[٣].

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١].

يعني لابد من المرور، لكن لا يمسه شيء من عذابها كالرسل والمؤمنين

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (١٣/أ).

(٢) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرح المقدمة الأجرومية: (١٢/أ).

(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٤/ب).

وغيرهم، يعني ما هو بالمراد[(١)]، إنما المراد من الذين يعذبون، هم الذين ماتوا على التوحيد، ولكن لهم ذنوب ولهم معاصي، فالرب سبحانه وتعالى إن شاء غفر لهم وأدخلهم الجنة في أول وهلة، ما دام أنهم ماتوا على التوحيد وإن شاء عذبهم بالنار بقدر جرائمهم وبقدر ذنوبهم ومعاصيهم ثم مآلهم إلى الجنة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨] يعني: ويغفر ما دون الشرك لمن شاء أن يغفر له. فهو تحت المشيئة، وهذا هو مذهب جمهور أهل السنة والجماعة، ومثله الحديث: «يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا» -يعني ملأها أي ما يقارب ملأها- «ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»[(٢)]، هذا مذهب أهل السنة والجماعة؛ أن من مات على التوحيد سالما من الشرك قليله وكثيرة وله شيء من الذنوب والمعاصي فهو تحت المشيئة إن شاء الرب عفا عنه وغفر له وأدخله الجنة في أول وهلة وإن شاء الرب عذبه في النار بقدر ذنوبه وجرائمه ثم مآله إلى الجنة[(٣)].

قال بعض العلماء: إن مروره على الصراط هو من هذا[(٤)].

والآية يدل عليها ظاهرها؛ فإن الآية تدل على أن كلا لابد أن يمس حقه من النار؛ حتى بمفارقته لها وألمه منها يعرف فضل الجنة، كما قيل:

---

(١) «ماهوب» وهي لفظة عامية دارجة على ألسن أهل نجد بمعنى: ليس.
(٢) أخرجه الترمذي في جامعه: (ح:٣٥٤٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١٠/أ).
(٤) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١٠/أ).

والضد يظهر حسنه الضد وبضدها تتبين الأشياء

فأول الآية: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ [مريم: ٦٨- ٧٠]، المقيمون فيها والذين مقرهم جهنم فالله أعلم بهم من هؤلاء المجموعة ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾، ثم قال: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢]، أي: أن مآلهم بعدما يذوقون منها ما يذوقون مآلهم إلى الجنة. واختلفت أقوال المفسرين في هذه الآية، ويدل لها حديث الشفاعة؛ فإن النبي ﷺ يشفع لأناس دخلوا النار فيخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان بشفاعة النبي ﷺ، وأقوال المفسرين معلومة في هذه الآية والله أعلم[(١)].

أما معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١] اقرأ الذي بعدها قال: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢]، فكلهم يردون لكن لا يمسهم ولا يؤذيهم منها شيء وإلا لابد منه، هذا معنى الآية[(٢)].

---

(١) ينظر: فتاوى نور على الدرب: الحلقة: ١٥٩، الدقيقة: ١٠، الثانية: ٤٥.

(٢) ينظر: الفتاوى والدروس: (٨٨٩).

سورة طه

قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

الجهمية والمعطلون يقولون استوى هنا بمعنى استولى ويستدلون ببيت مولَّد:

قد استوى بشر على العراق

بمعنى استولى بشر على العراق. فالمراد عندهم استولى يعني ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ إلى غير ذلك. المراد به عندهم استولى. قل له أنت: لا داعي إلى أن أذكر الأدلة؛ فالأدلة واضحة، لكن أريد أن أقول لك وأخاصمك بما تقوله. أنت تقول استوى بمعنى استولى، فإن قال لك نعم، فقل طيب: أنت عربي، واستولى لغة عربية، فهل هناك من ينازع الرب على العرش ويقاتله؟! ثم إن الرب استولى عليه، لأن هذا ما تفيده مادة استولى، كما لو قال استولى فلان على البلد، استولى فلان على بيت فلان، يعني لا يحصل الاستيلاء إلا بعد مقاهرة ومغالبة بينك وبين شخص آخر ثم تتغلب عليه. فنقول استولى فلان. فإذا فسرتها ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ بمعنى استولى يعني كأن هناك من يغالب الرب ويقاهره على العرش وينازعه ثم استولى عليه. إذًا يبطل قوله، لا يستطيع أن يقول نعم؛ فأنت تحتج عليه وتبطل كلامه من تفسيره هو سواء بسواء بدون أن تحتاج إلى أدلة، مع أن سلفنا الصالح كلهم قالوا في الاستواء: نثبته كما أثبته القرآن استواء يليق بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل

ومن غير تكييف ولا تمثيل، ولا نقول استولى مثلا، أو استوى كاستوائي على الأرض، أو استواء فلان على الكرسي. لا، بل نقول آمنا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنا برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله، وتستريح من هذه الشقشقة، وهذه الإلزامات، وهذا الكلام الفاضي الذي يقولون ويتكلمون به ويؤيدون به أباطيلهم بدون أن يقيموا عليه دليلا لا من كتاب ولا سنة ولا عقل سليم[(١)].

وقد سئل الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ عن قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ كيف استوى؟ فأطرق مليا وعلته الرحضاء -يعني العرق- وانتظر القوم ما يجيء من فيه فرفع رأسه إليه وقال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأحسبك رجل سوء»[(٢)].

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ ونظائر هذه الآية، وقد ذكر الله استواءه على عرشه في سبعة مواضع من كتابه، وبسطها العلامة ابن القيم في كتابه الصواعق بسطا لا مزيد عليه، وبين فساد ما عليه الجهمية القائلون بأنه حال في كل مكان[(٣)]،[(٤)].

قال تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤].

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١١/ ب).

(٢) ينظر: رسالة في التوحيد: (٢١).

(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٣٤/ ب).

(٤) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (١١/ ب).

الصلاة داخلة في عموم قوله: (اعبدني) بأنها عبادة، لكن أفردها بعدما سبقها من مجمل الطاعات التي هي داخلة في عمومها؛ مما يدل على عظم شأنها، ويدل على عظم آكديتها، والصلاة هي عمود الإسلام، حظ الإنسان من الإسلام على قدر حظه من الصلاة، ومن مزاياها أنها من آخر ما وصى به النبي ﷺ عند وفاته فإنه جعل يقول: «الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»[(١)]، [(٢)].

قال تعالى: ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ٢١].

نعيدها الهاء ضمير مبني على السكون في محل نصب على المفعولية سيرتها بدل من الضمير[(٣)].

سنعيدها: السين: حرف تنفيس، نعيد: فعل مضارع مرفوع؛ لتجرده عن الناصب والجازم، والهاء: ضمير متصل مبني على السكون محله نصب على المفعولية، سيرتها: بدل من الضمير وبدل المنصوب منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، سيرة: مضاف، والهاء: ضمير متصل مبني على السكون محله جر بالمضاف.الأولى: نعت لمنصوب ونعت المنصوب منصوب وعلامة نصبه الفتحة المقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر؛ لأنه معتل الآخر بالألف.

قال تعالى: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى﴾ [طه: ٤٢].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (ح: ٢٦٧٢٧) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.
(٢) **ينظر**: الفتاوى الخاصة: (١/ ٣٦٠).
(٣) **ينظر**: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (١١/ ب).

اذهب: فعل أمر مبني على السكون، أنت: ضمير منفصل مبني على الفتح محله الرفع تأكيدا للضمير المستتر؛ لأن المعنى اذهب أنت أنت وأخوك، والواو: حرف عطف، أخو: معطوف على الضمير المستتر المؤكد بأنت، والمعطوف على المرفوع مرفوع مثله وعلامة رفعه الواو؛ لأنه من الأسماء الخمسة، أخو: مضاف، والكاف: ضمير متصل في محل جر بالإضافة[1].

يعني اذهب أنت أنت وأخوك[2].

قال تعالى: ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١].

لأقطعن: أقطعن: فعل مضارع مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة محله الرفع. أيديكم: أيدي مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة، وأيدي: مضاف، والكاف: ضمير مبني على الضم محله جر بالمضاف. وأرجلكم: الواو عاطفة، وأرجل: معطوف والمعطوف على منصوب منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، أرجل: مضاف والضمير: مضاف إليه.....[3] ولأصلبنكم: الواو: عاطفة، واللام: موطئة للقسم، أصلبن: فعل مضارع مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة محله الرفع، والكاف: ضمير مبني على الضم محله النصب على المفعولية. في جذوع: جار ومجرور، في: حرف جر،

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرح المقدمة الأجرومية: (١١/ ب).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (١١/ أ).
(٣) انقطاع في التسجيل.

جذوع: مجرور بفي وعلامة جره الكسرة الظاهرة، جذوع: مضاف، والنخل: مضاف إليه مجرور بالمضاف وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

ماذا أفادتنا "في"؟ أفادت "في": ثلاثة أشياء: اسمية مدخولها، والحكم عليه بالجر، وأمرا معنويا وهو الاستعلاء[1].

قال تعالى: ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي﴾ [طه: ٨١].

لا: ناهية، تطغوا: فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو: فاعل، فيه: جار ومجرور، في: حرف جر، والهاء: ضمير مبني على الكسر في محل جر بفي. فيحل: الفاء: فاء السببية، يحل: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوبا بعد فاء السببية وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة. عليكم: جار ومجرور، على: حرف جر، والكاف: ضمير متصل مبني على الضم في محل جر بعلى، والميم: علامة الجمع. غضبي: فاعل يحل مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم؛ منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة، غضبي: مضاف، وياء المتكلم: مضاف إليه مبني على السكون محله جر بالمضاف[2].

قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٩١].

---

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرح المقدمة الأجرومية: (٢/ أ).
(٢) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرح المقدمة الأجرومية: (٧/ ب).

قالوا: قال: فعل ماض، والواو: ضمير متصل مبني على السكون محله رفع على الفاعلية، لن: حرف نفي ونصب واستقبال. نبرح: فعل مضارع منصوب بلن وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره. عليه: جار ومجرور، على: حرف جر، والضمير: مبني على الكسر في محل جر بعلى. عاكفين: خبر نبرح، واسمها مستتر وجوبا تقديره نحن. حتى: حرف غاية ونصب. يرجع: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوبا بعد حتى وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره. إلينا: جار ومجرور، إلى: حرف جر، ونا: ضمير مبني على السكون في محل جر بإلى. موسى: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر؛ لأنه اسم مقصور معتل الآخر بالألف(١).

قال: فعل ماض مبني على الفتح لا محل له من الإعراب، والواو: ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل. لن: حرف نفي ونصب واستقبال، نبرح: فعل مضارع منصوب بلن وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة. عليه: على: حرف جر، والضمير: متصل مبني على الكسر في محل جر بالإضافة. عاكفين: خبر نبرح؛ لأن نبرح من أخوات كان، عاكفين خبر نبرح منصوب وعلامة نصبه الياء المفتوح ما قبلها المكسور ما بعدها نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون: عوض عن التنوين في الاسم المفرد. وأين اسم نبرح؟ مستتر وجوبا تقديره نحن(٢).

---

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٨/ أ).

(٢) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٧/ ب).

يرجع: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوبا بعد حتى، وهي معلوم أنها تأتي جارة كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥]، وتأتي حرف ابتداء ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ٢]، لكن هذا إذا دخلت على فعل والفعل هذا يكون فعلاً مستقبلاً ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٩١][1].

(١) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٧/ ب).

سورة الأنبياء

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ومعنى اعبدون: وحدون كما قال ابن عباس رضي الله عنه، ومعنى وحدون هو إفراد الله بالعبادة[١].

هذه دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم، هو أن لا يُعبد إلا الله سبحانه وتعالى، وأن عبادة ما سواه باطلة، ففيه الرد على مَن قال: إن أول واجب على العباد النظر وما في معنى ذلك على ما قاله بعض المتكلمين[٢].

قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]. أي: لمن رضي الله قوله وعمله[٣].

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢]. أي: مقيمون؛ رجاء خيرها وبركتها[٤].

قال تعالى: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٧].

تالله: التاء حرف قسم، الله: لفظ الجلالة مقسم به. لأكيدن أصنامكم:

---

(١) ينظر: فتاوى نور على الدرب: (٢٣).
(٢) ينظر: الدروس والمحاضرات: (١/ ١٥).
(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٩/ أ).
(٤) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٦/ أ).

اللام: موطئه للقسم[1]. أكيدن: فعل مضارع مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة محله الرفع. أصنامكم: مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة، أصنام: مضاف، والكاف: مضاف إليه مبني على الضم محله جر بالمضاف والميم: للجمع[2].

قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٦٢- ٦٣].

يعني: الذي كسر الأصنام هو الصنم الكبير فإنه لا يرضى أن تعبدوا معه غيره. ﴿ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٦٤]، وفهموا أن الذي هم عليه باطل[3].

قال تعالى: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

قال المفسرون: لولا أن الله أتبع قوله بردا بسلام لمات إبراهيم من شدة بردها، ولكنه قال: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[4].

قال العلماء: أتبع الله قوله بردا بسلام؛ لو لم يتبعها لمات إبراهيم من شدة بردها[5].

---

(١) الصحيح أنها واقعة في جواب القسم، القسم مصرح به.

(٢) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرح المقدمة الأجرومية: (٢/ ب).

(٣) ينظر: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (٣/ أ).

(٤) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٤/ أ).

(٥) ينظر: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (٣/ أ).

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [الأنبياء: ٧٣] أي: إسحق ويعقوب. ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [الأنبياء: ٧٣]؛ فإنها داخلة في فعل الخيرات، لكن أفردها بالذكر وخصها بعدما سبقها من دخولها في عمومه؛ مما يدل على عظمها.

سورة الحج

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ [الحج: ١١].

أي: على طرف وجانب من الدين(١).

قال تعالى: ﴿فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحج: ١٥].

أي: بحبل(٢).

قال تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ﴾ [الحج: ١٩].

ها: حرف تنبيه، ذان: اسم إشارة مبني على الألف محله رفع مبتدأ. خصمان: خبر المبتدأ مرفوع بالألف نيابة عن الضم؛ لأنه مثنى، والنون: عوض عن الحركة. اختصموا: فعل ماض مبني على الضم، والواو: ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع على الفاعلية. في ربهم: في: حرف جر، ربهم: اسم مجرور بفي وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، وهو مضاف، والهاء: مضاف إليه مبني على الكسر في محل جر بالإضافة، والميم: علامة الجمع(٣).

قال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ﴾ [الحج: ٢٧].

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (١/ب).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لمنظومة الرحبية: (٢/أ).
(٣) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٤/أ).

أي: أعلِم الناس بوجوب الحج حتى يأتوا إليه من كل فج عميق[(١)].

قال تعالى: ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾ [الحج: ٢٨].

الآية تدل على أنه لا يكبر إلا إذا رأى بهيمة الأنعام المعدة لذلك[(٢)].

قال تعالى: ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ [الحج: ٣٠].

اجتنبوا: فعل أمر مبني على ما يجزم به المضارع وهو حذف النون، والواو: فاعل. الرجس: مفعول به منصوب، مفعول اجتنبوا. من الأوثان: جار ومجرور، من: حرف جر، الأوثان: اسم مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة. وماذا أفادتنا من؟ ثلاثة أشياء: اسمية مدخولها، والحكم عليه بالجر، وأمرا معنويا وهو بيان الجنس؛ لأنك مأمور باجتناب الأوثان كلها، ما هو بالمراد[(٣)] اجتنبوا بعض الأوثان اجتنبوا الرجس من الأوثان أي تقول (مِنْ) هذه بمعنى بعض، لا المعنى: اجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان[(٤)].

قال تعالى: ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الحج: ٣٧].

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب الصلاة من الروض المربع: (١/ ب).

(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب الصلاة من الروض المربع: (٢٥/ ب).

(٣) (ماهوب) كلمة عامية دارجة على ألسن أهل نجد؛ بمعنى (ليس).

(٤) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (١/ ب).

لن: حرف نفي ونصب واستقبال. ينال: فعل مضارع منصوب بلن وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة. الله: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة. لحومها: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، لحوم: مضاف، وهاء: ضمير مضاف إليه مبني على السكون محله جر بالمضاف[1].

قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٣٩- ٤٠].

أي: هو قادر على نصر عباده المؤمنين من غير قتال، ولكن الله يريد من عباده أن يبذلوا جهدهم في طاعته كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٤-٦]، ثم فرض القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم فقال: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٠]، ثم أنزل الله في سورة براءة الأمر بنبذ العهد، وأمرهم بقتال المشركين كافة، وأمر بقتال أهل الكتاب إذا لم يسلموا حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون. ولم يبح لهم ترك قتالهم، وإن سالموهم وهادنوهم هدنة

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٧/ ب).

مطلقة مع إمكان جهادهم. فكان القتال ممنوعا، ثم مأذونا به، ثم مأمورا به لجميع المشركين كما في سورة البقرة، وآل عمران، وبراءة وغيرها من السور[(١)].

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠].

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ ولم يقل إن الله غفور رحيم؛ لأن المقام مقام النصر، والنصر يناسبه القوة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[(٢)].

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤١].

فهذه الأربعة هي أصول الملك وأصول الرياسة التي ذكرها الله في قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾؛ لأن الرعية متى استقر في قلوبها الحق وعرفت العقيدة الصحيحة، من حق الراعي وحق الله عليها؛ من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وأُمرت بالمعروف ونُهيت عن المنكر؛ التفت حول رئيسها، وعرفت أن رئيسها عادل، وأنه لا يأمرها إلا بما فيه صلاح دينها ودنياها، ولا ينهاها إلا عما فيه شر وخطر عليها.

---

(١) ينظر: الدعوة إلى الجهاد في القرآن والسنة: (٥).

(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٢/ ب).

أما بالنسبة لرؤساء المسلمين فعليهم جميعاً أن يتكاتفوا، وأن يتفقوا ويتركوا هذه الخلافات وهذا الفشل بينهم، والنزاع الطويل العريض الذي لا أصل له ولا حقيقة له، بل كل ما وقع بينهم من خلاف أو تنازع فيحكِّمون القرآن والسنة، ففي الشريعة حلول لجميع مشاكلهم، تبين حقائق كل ما اختلفوا فيه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]؛ أي: إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله ﷺ، فكل رئيس الأولى عليه أن يتقي الله، وأن يصلح حالته فيما بينه وبين ربه، وأن يحرص على ما فيه مصلحة رعيته؛ بأن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحكِّم فيهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فيحصل له سعادة الدنيا وسعادة الآخرة، والفوز والظفر في الدنيا والآخرة[(١)].

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢].

إلا إذا تمنى أي تلا القرآن[(٢)].

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج:٧٧].

﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾، كلمة عامة جامعة لكل خير نؤمر به على أن نفعله، ولا يجوز أن نفعل غير الخير، ومن الخير عبادة الله وحده لا شريك له، فإنها

---

(١) ينظر: الدروس والمحاضرات: (١/ ٢٣٦).

(٢) ينظر: شرح الشيخ لمنظومة الرحبية: (١/ أ).

جاءت عقب قوله: ﴿ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ﴾، بعد هذا قال: ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ﴾؛ يعني: متقربين به إلى الله؛ لهذا ختم الآية بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، والفلاح هو الفوز والظفر وسعادة الدنيا والآخرة، والشرك الذي نهى الله، وأخبر بأن المشرك حرام عليه الجنة وحرام عليه المغفرة.

سورة المؤمنون

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٧].

الواو: عاطفة. اللام: موطئه للقسم، قد: حرف تحقيق. خلقنا: خلق فعل ماض، ونا: ضمير مبني على السكون في محل رفع فاعل. فوقكم: فوق: ظرف مكان وهو مضاف، والضمير: مضاف إليه مبني على الضم في محل جر بالمضاف، الميم: علامة الجمع. سبع: مفعول به، سبع: مضاف، طرائق: مضاف إليه مجرور بالمضاف وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه اسم لا ينصرف والمانع له من الصرف علة تقوم مقام علتين وهي: صيغة منتهى الجموع[(١)].

قال تعالى: ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ٢٢].

الواو: بحسب ما قبلها. عليها: جار ومجرور، على: حرف جر، والهاء: ضمير متصل مبني على السكون في محل جر بحرف الجر. وعلى الفلك: الواو: عاطفة، على: حرف جر، الفلك: اسم مجرور بعلى وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره. تحملون: فعل مضارع مرفوع؛ لتجرده عن الناصب والجازم وعلامة رفعه ثبوت النون، الواو: نائب فاعل. أفادت على: اسمية مدخولها، والحكم عليه بالجر، وأمرا معنويا هو الاستعلاء[(٢)].

قال تعالى: ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ٤٠].

---

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرح المقدمة الأجرومية: (٦/أ).
(٢) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرح المقدمة الأجرومية: (٢/أ).

عما قليل: جار ومجرور، عن: حرف جر، وما: صلة -وما تسمعه في كتب النحو أو كتب بعض التفسير مثل الجلالين يقولون ما زائدة، فالمحققون يقولون هذا غلط؛ القرآن ما فيه شيء زائد، فلا ينبغي، وإن كان زائدا في الإعراب لكن ما ينبغي أن تقول زائد، تأدبا مع القرآن، بل تقول ما صلة مثل: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ونظائره كثير-، قليل: اسم مجرور بعن وعلامة جره الكسرة الظاهرة. ماذا أفادتنا عن؟ ثلاثة أشياء: اسمية مدخولها، والحكم عليه بالجر، وأمرا معنويا وهو البعدية؛ لأن المعنى: بعد قليل ليصبحن نادمين. عما قليل يعني: بعد قليل[(١)].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٧- ٦١].

أثنى الله عليهم بهذه الصفات الحميدة، وكما قال الحافظ ابن كثير[(٢)] وغيره: فهؤلاء هم الذين أيضا حققوا توحيدهم وهم الصنف الثالث المذكور في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [فاطر: ٣٢] هؤلاء هم السابقون بالخيرات؛ وذلك لأن الناس ثلاثة أقسام: منهم من هو ظالم لنفسه عنده حسنات، وعنده

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (١/ ب).

(٢) قال: "أي لا يعبدون معه غيره، بل يوحدونه ويعلمون أنه لا إله إلا الله أحدا صمدا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وأنه لا نظير له ولا كفء له". تفسير ابن كثير: (٤/ ١٤).

سيئات، لكن قد حقق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وآمن بها إلا أن عنده شيئا مما قد ظلم به نفسه. الثاني: المقتصد وهو الذي عمل بالمأمورات، وترك المنهيات، ولكن ما هناك كمال وزيادة عمل. والثالث: هم السابقون بالخيرات، الذين أدوا المأمورات والمستحبات، وابتعدوا عن المحرمات، والمكروهات، بل وبعض المباحات؛ فهؤلاء هم السابقون وهم المذكورون في هذه الآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾[1].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ يعني: خائفون وجلون ذليلون لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يخافون إلا الله[2].

قال تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٦- ٨٧].

معنى أفلا تتقون: أفلا تفردونه بالعبادة. فابن عباس يقول: كل ما جاءك في القرآن بمعنى اتقوا أو اعبدوا فالمراد به وحدوا، فالمراد: أفلا توحدونه. أنتم معترفون أن الأرض ومن فيها لله وأن السماوات ومن فيها كذلك والعرش لله، أفلا توحدونه بالعبادة[3].

قال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾ [المؤمنون: ٩١]، فالله نفى أن يكون له ولد، بل هو الغني عن كل ما سواه[4].

---

(١) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢/ أ).
(٢) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٢/ ب).
(٣) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٤/ ب).
(٤) **ينظر**: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (ص٩٣).

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩].

يجوز أن يعبر عن المفرد بالجمع؛ بدليل قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا﴾ لم يقل رب ارجعني، (رب ارجعون) دل على جواز استعمال المفرد بصيغة الجمع، وكذلك قوله: ﴿وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا﴾ [البقرة: ٧٢] والقاتل واحد[1].

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب الصلاة من الروض المربع: (١/ ب).

سورة النور

قال تعالى: ﴿فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ﴾ [النور: ٤].

اجلدوا: فعل أمر، والواو: ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل، والهاء: ضمير متصل مبني على الضم في محل نصب مفعول به، والميم: علامة الجمع. ثمانين: نائب مناب المصدر... جلدة: تمييز[1].

قال تعالى: ﴿وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ﴾ [النور: ٣١].

المعنى: هو أن الخمر جمع خمار، وهو ما تجعله المرأة على رأسها ثم تنزله حتى يصل إلى جيبها، والجيب هو الفتحة التي تكون على الصدر.

قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

قل: فعل أمر مبني على السكون. للمؤمنات: جار ومجرور، اللام: حرف

---

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرح المقدمة الأجرومية: (١٢/ب).

جر والمؤمنات: اسم مجرور باللام وعلامة جره الكسرة الظاهرة[1].

قال تعالى: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [النور: ٣٥]. الله فاعل[2].

قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٦- ٣٨]، هؤلاء هم عمار المساجد الحقيقيون، وهم الذين جاء ذكرهم في الحديث: «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسْجِدَ-؛ أي: يتردد إليه في اليوم والليلة خمس مرات لأداء ما فرض عليه وليتقرب إلى الله بطاعته في هذا المسجد- فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ»[3]، جعل مجرد تردده ومجيئه إلى المسجد مبيحا للشهادة له بالإيمان، وإن كانت سرائر الخلق إلى الله، فالله هو المطلع على سرائر العباد، لكن لنا الظاهر.

﴿ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: هو ما بعد الموت، من سؤال الملكين في القبر، والصراط، والميزان، والبعث، والنشور، والجنة والنار، هذا هو اليوم الآخر.

﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾: تأمل القرآن وانظر؛ فإن الغالب أنه كلما ذكرت الصلاة ذكرت بلفظ الإقامة، ولم يقل: (وصلى)؛ لئلا يدخل من صلى الصلاة ولم

---

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٥/ ب).

(٢) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٨/ ب).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه: (ح: ٣٠٩٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

يقمها في هذا، فالله توعد من لم يقمها –وإن صلى–، قال –تعالى–: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون: ٤]؛ لأنهم يصلون ولكنهم لا يقيمونها، ففرق بين من أقام الصلاة وبين من صلى دون إقامة لها(١).

فليس المراد أنه صلى، بل صلى بإقامة، فأدى الصلاة بشروطها، وأركانها، وواجباتها، وسننها، في أوقاتها، بخشوع وخضوع، على النحو الذي أداها رسول الله ﷺ.

﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾: الزكاة قرينة الصلاة في القرآن، والله ذكر الزكاة في القرآن في نحو اثنين وثمانين موضعا، مما يدل على عظمها، والزكاة معلوم أنها حق في أموال الأغنياء لطائفة مخصوصة، وهم الفقراء ونحوهم من الأصناف الثمانية الذين جاء ذكرهم في قوله –تعالى–: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ الآية [التوبة: ٦٠]، وهي تنمي المال، وتزكيه وتطهره، وتقيه الآفات(٢).

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النور: ٤٦].

لقد: اللام موطئه للقسم. قد: حرف تحقيق. أنزلنا: فعل ماض، ونا:

---

(١) لاحظ دقة الشيخ حيث أنه ذكر أن أكثر ما يأتي في القرآن بذكر الإقامة؛ لأنه ورد مجردا عن ذكر الإقامة على جهة المدح، مثل قوله –سبحانه–: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ [العلق: ٩–١٠]، وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤–١٥] –الشيخ صالح–.

(٢) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢/ ٩٠).

ضمير متصل مبني على السكون محله رفع على الفاعلية. آيات: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الكسرة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. بينات: نعت لآيات ونعت المنصوب منصوب وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم[١].

قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [النور: ٥٢].

يعني: في أحكامهم[٢].

قال تعالى: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

يعني: فليحذر الذين يخالفون أمر الرسول أن يصابوا بفتنة، وهي الشرك، أو يصيب الإنسان في قلبه زيغ فيهلك بسبب مخالفته لرسول الله ﷺ[٣].

قال الإمام أحمد: عجبت لقوم يعرفون الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان والله يقول: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ﴾ أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك[٤]،[٥].

---

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٥/ ب).

(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٧/ أ).

(٣) ينظر: الفتاوى والدروس: (١٥٤).

(٤) ينظر: التوحيد الذي هو حق الله على العبيد: (١٠٩).

(٥) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٥/ ب).

سورة الفرقان

قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ١].

فإطلاق لفظة ﴿تَبَارَكَ﴾ [الفرقان:١] على المخلوق، لا يجوز كما قرره العلامة المحقق ابن القيم. بل تقول: أنت مبارك، فلا بأس، أما تبارك بمعنى تفاعل وهو التعاظم فالله هو المبارك وأنت المبارك، أما أنك أنت الذي تبارك، فلا، الذي يتبارك هو رب العالمين، فهو الذي يوجد البركة، وهو الذي يكون البركة لخلقه. لا أنت ولا رفيقك الذي جاء، لا ليس هو الذي يوجب البركة، إنما هو مبارك فعبده المبارك والله هو المبارك[(١)].

قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، فأعمالهم كلها غير مقبولة؛ لأنه لا إسلام لهم[(٢)].

قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]. تفسيرا تمييز لوقوعه بعد أحسن[(٣)].

يعني: فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها. ومن جملة ما في القرآن هذه الآية ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾، أي: ما يأتونك بأي باطل يستدلون به على باطلهم إلا جئناك بما هو أحسن منه مبينين فيه الحق،

---

(١) ينظر: الفتاوى الخاصة: (١/ ١٧١).

(٢) ينظر: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (ص١١).

(٣) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (١٣/ أ).

وأحسن تفسيرا أي: إيضاحا وبيانا، بل هذه الآية عامة في كل صاحب باطل يأتي بحجته إلى يوم القيامة؛ إذ إنها دامغة لحجته مبينة لبطلانها[١].

فالقرآن عام شامل فيه كل خير، وفيه من الحجج ما يدمغ ويبطل حجج المخالفين من المشركين وغيرهم. والقرآن الكريم ينزل على الرسول ﷺ مبينا حال الرسل المتقدمين مع أممهم، وكيف جرى لهم من المحاجات والخصومات، وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذى، وكيف نصر الله حزبه المؤمنين، وخذل أعداءه الكافرين؛ ليكون له بهم أسوة، فتتسلى نفسه، ويطيب قلبه، وتهون عليه جميع المصاعب.

قال بعض المفسرين على هذه الآية: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾. هذه الآية: عامة في كل صاحب باطل يأتي بحجة بطلان يستدل بها على باطله، هي عامة إلى يوم القيامة، فعباد القبور المفتتنون بها ليس عندهم حجج إلا أشياء ترهات. يقولون: إنها وسائط بيننا وبين الله، والقرآن أبطل هذا. يقولون: لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه، القرآن أبطل هذا.

يقولون: إنهم شفعاء لنا عند الله ولهم جاه ونطلب منهم، القرآن أبطل هذا كله ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، إلى غير ذلك مما دل عليه القرآن العزيز، والله أعلم[٢].

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (١/ ب).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (ص٤٨).

قال تعالى: ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان: ٤٣].

سواء كان قبورا، أو في تحليل ما حرم الله، أو في تحريم ما أحل الله؛ يعني صار يتبع هواه ويسلك (....)، التي يهواها مع العدول عن القرآن والسنة؛ يعني لم يحكم القرآن والسنة بل يحكم هواه[١].

قال تعالى: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤].

رب اسم كان[٢].

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

لا تكن مسرفا مفسدا للمال، ولا تكن مقترا مؤذيا عيالك ومانعهم مما يريدون، بل الوسط كما دلت الآية الكريمة؛ ومعنى القتر: البخل[٣].

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨].

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ﴾ ثم قال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ يعني ومن يفعل الشرك ويقتل النفس ويزني ﴿يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٧/ أ).
(٢) ينظر: شرح للمقدمة الأجرومية: (٨/ ب).
(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب الصيام من الروض المربع: (٣/ أ).

وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان: ٦٨- ٧١]، فالله استثنى من تاب في حق الزاني، والمشرك، وقاتل النفس. فإن الله يتوب عليه، والشرك أعظم من الزنا؛ فالمشرك إذا تاب تاب الله عليه، فكذلك الزاني إذا تاب توبة صادقة فإن الله يتوب عليه ويكفر عنه سيئاته ويبدلها له بحسنات، وربنا غفور رحيم حليم عفو يحب الإحسان ويحب عباده جل وعلا والله أعلم(١).

قال تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ﴾ [الفرقان: ٦٨- ٦٩].

قوله: يضاعف بدل من يلق؛ أبدل الفعل من الفعل. وقيل في الآية غير هذا على حسب آراء المفسرين في دلالة المعنى(٢).

(١) ينظر: فتاوى نور على الدرب: الحلقة: ١٣١، د/ ١٧، ث/ ٥.

(٢) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (١١/ ب).

سورة الشعراء

قال تعالى: ﴿ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴾ [الشعراء: ٧٦].

آباء (....)[١] مرفوع بالضمة الظاهرة، آباء: مضاف، مضاف، والكاف: مضاف إليه[٢].

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ [الشعراء: ٨٢].

يغفر: فعل مضارع منصوب بأن المصدرية[٣].

قال تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ٩٧].

التاء: حرف قسم وجر، والاسم الشريف: اسم مقسم به مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على الهاء. إن: مخففة من الثقيلة. كنا: كان: فعل ماض يرفع المبتدأ وينصب الخبر، ونا: ضمير في محل رفع اسم كان. لفي ضلال: اللام للتوكيد، في: حرف جر. ضلال: اسم مجرور بفي وعلامة جره الكسرة الظاهرة. مبين: صفة، وجواب القسم جملة ﴿إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[٤].

قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: "يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ"،

---

(١) الصوت غير واضح.

(٢) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٣/ ب).

(٣) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٧/ ب).

(٤) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرح المقدمة الأجرومية: (٢/ ب).

لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: "أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ"، قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقا، قال: "فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ"، فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا، فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾[1].

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ نذارة النبي ﷺ قسمان نذارة عامة ونذارة خاصة، أما العامة فقد جاءت في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [إبراهيم: ٤٤]، ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [يس: ٦] إلى غير ذلك من الآيات، فالله ﷻ بعث محمدا ﷺ لينذر الناس عامة ويرشدهم إلى ما فيه هدايتهم وعزهم كافة، عربهم وعجمهم، وقال الله له: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] وكان ﷺ يأتي القبائل في منى وهم في منازلهم، فيقول لهم: من يجيرني حتى أبلغ رسالات ربي، فهو يطلب من يمنعه ويؤويه؛ حتى يبلغ ما أمر به وهذا التبليغ هو النذارة.

أما النذارة الخاصة هي كما جاء في هذا الحديث ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾؛ لأنهم أحق بنصرته، ونذارته. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦] ما معنى ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾؟ يعني: اجعلوا وقاية تقيكم من النار ووقاية تقي أهليكم من النار، والوقاية التي تقي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (ح:٤٧٧٠).

النفس من النار؛ هي طاعة الله وطاعة رسوله. فالإنسان متى امتثل أوامر الله وانتهى عن نواهيه قد جعل له وقاية تقيه من النار.

أما وقاية الأهل وهم الأولاد والأقارب وقايتهم هي نصيحتهم وإرشادهم، والجد في إبعادهم عن كل ما يرديهم، ولاسيما الأولاد فهم صفوة الأهل. فإن الإنسان إذا ترك أهله وشانهم ولاسيما أولاده؛ خابت الآمال وخالطوا من لا خير فيه وانعكست القضية، فربما يتمنى أو يقول إن وفاتهم خير له من حياتهم متى اقترنوا بقرناء السوء وانتهكوا أوامر الله وانحرفوا عن الجادة المستقيمة، فموتهم خير للإنسان من حياتهم[1].

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢٢٠].

السميع لما تقوله، العليم بحركاتك وأفعالك وما وقر في قلبك[2].

إنه هو السميع يعني: لما تقوله. العليم بما تفعله[3].

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١١/ أ).

(٢) ينظر: الفتاوى والدروس: (٢٠٧).

(٣) المرجع السابق: (٢٨٣).

سورة النمل

قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦].

ورث فعل ماض، سليمان: فاعل، داوود: مفعول[(١)].

أوتينا: أوتي: فعل ماض، ونا: ضمير متصل مبني على السكون محله رفع نائب فاعل. من كل: جار ومجرور، من: حرف جر، كل: اسم مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة وهو مضاف، وشيء: مضاف إليه مجرور بالمضاف وعلامة جره الكسرة الظاهرة[(٢)].

قال تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ [النمل: ١٩].

الفاء: حرف عطف. تبسم: فعل ماض. ضاحكا: حال من الفاعل المستتر هو. حال مؤكدة العامل فيها الفعل تبسم[(٣)].

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ .... ﴿٦٠﴾﴾ [النمل:٦٠]. محتجا على المشركين، فهل هناك معبود مع الله خلق سماءً، أو ترك لأرضه ماءً، أو أنزل من السماء ماء، أو شارك في إيجاد شجرة: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (١٢/أ).

(٢) المرجع السابق: (٩/ب).

(٣) ينظر: تصويب أحد طلاب الشيخ في شرحه لمقدمة الآجرومية: (١٣/أ).

المشركون، ثم قال: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾؛ أي: ثابتة بسطها وأرسى عليها الجبال، من هو؟! ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا﴾ [النمل:٦١] بأن أوجد هذه الأنهار فجعلها سابحة من قطر إلى قطر ومن جهة إلى جهة، هل هناك معبود مع الله أوجد هذه الأرض وأرساها بالجبال؟! ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ [النمل:٦١] هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج، ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل:٦١] عمل ذلك؟! ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النمل:٦١][1].

قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

معلوم أن القلوب مفطورة بالتوجه إلى خالقها وبارئها لاسيما عند الشدائد، فإن الإنسان إذا اضطر، وإذا وقع في ملمة، اتجه قلبه إلى خالقه وبارئه، فالرب يحتج عليهم، يقول: إنكم تسألونني عند وقوع الحاجة وحصول الاضطرار ومع هذا تكفرون في حالة الرخاء، ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ يعني: يفعل ذلك ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ أما تذكرون ولو تذكرا قليلا به ترجعون إلى ربكم. والمشركون إنما يكفرون ويشركون في حالة الرخاء، أما حالة الشدائد فإنهم يخلصون لله فيها كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧]، ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢]، فيخبر الرب سبحانه وتعالى

(١) ينظر: شرح تأسيس التقديس: (ص١٥٦).

بأن المشركين يخلصون لله الدين في حالة الشدائد، أما في حالة الرخاء فإنهم يشركون ويجعلون مع الله غيره، فيحتج عليهم بأن الذين أنتم تدعونهم في حالة الرخاء هل أنتم تلتفتون إليهم في حالة الشدة؟ أم أنكم تنسونهم وتقبلون على الله؟ هذا كله يدل على بطلان ما يتعلق به عباد القبور، فإذا كان هذا في حال مشركي العرب، فما ظنك بمشركي اليوم؛ فإنهم يدعون قبورهم في حالة الرخاء وفي حالة الشدة، فصاروا أعظم شركا من مشركي العرب الأولين؛ لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون لله في الشدائد. أما هؤلاء فشركهم دائم في الرخاء والشدة هذا شأنهم ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾، فالآية تدل على أنه لا يجوز التوجه إلا لله سبحانه وتعالى، وأنه لا يسأل إلا الله سبحانه وتعالى كما دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الكثيرة على هذا المعنى(١).

﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾، يعني: أما تتذكرون ولو تذكرا قليلا به ترجعون إلى ربكم(٢).

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ﴾ يفعل ذلك ﴿أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ أما تذكرون ولو تذكرا قليلا ترجعون به إلى ربكم؟ من الذي أوجد هذه الأشياء؟ فكيف مع هذا تعدل عنه إلى فلان وفلان والله أمرنا أن لا نسأل إلا إياه؟!(٣)

---

(١) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١٠/ أ).
(٢) المرجع السابق: (٣٠/ ب).
(٣) المرجع السابق: (٩/ أ).

قال تعالى: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [النمل:٦٣]. فمن منا يستطيع أن يهديكم في ظلمات البر والبحر؟ هل يستطيع ملك مقرب أن يرسل الرياح بغير إذن الله تبارك وتعالى؟ ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، ثم قال: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل:٦٤]، كل هذه الآيات تبطل ما يدعي به عباد القبور، عباد غير الله، ويزعمون أنهم وسائط بينهم وبين الله، والله لم يرضَ أن يكون بينه وبين عباده أي واسطة ما[1].

قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾ [النمل: ٦٥]. يبطل كل ما زعموه من تنجيم، أو حروف مقطعه، أو حساب، أو ما أشبه ذلك[2].

(١) ينظر: شرح تأسيس التقديس: (ص١٥٦).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٥/ ب).

سورة القصص

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ [القصص:٧]. الوحي هنا المراد به: الإلهام، وهو أن الله ألهمها، بمعنى أوقع في قلبها أن تلقيه في اليم إذا خافت عليه فإن الله حافظه ومؤيده، وهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨]، فهل هذا المغالط يرى أن النحل أنبياء بهذه الآية؟ فمعناها هو الإلهام كما تقدم بيانه(١).

قال تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص: ٨].

يعني: أن عاقبة التقاطهم لموسى صار عدوا لهم بأن أزال الله ملكهم على يده. ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ قال النحاة: إن اللام هنا للعاقبة؛ نظرا إلى ما آل إليه أمر موسى عليه السلام.

لكن المحققون ردوا هذا وقالوا: إن اللام لا تكون للعاقبة؛ فهم لم يعلموا أن عاقبة زوال ملكهم على يده، إذ لو علموا لقتلوه، ولم يقبلوه، فاللام هنا قيل: إنها للتعليل، أو للحكمة: أن التقاطه جرت حكمة الله أن يكون هذا، لا أنها للعاقبة بالنسبة إليهم (.....)(٢) بسبب (.....)(٣) وتجبرهم وعدم قبولهم لما جاء به نبيهم(٤).

---

(١) ينظر: الرسائل والمقالات: (٤/ ٢٩٩).

(٢) الصوت غير واضح.

(٣) الصوت غير واضح.

(٤) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٧/ ب).

قالوا اللام هنا هي للعاقبة. شيخ الإسلام ابن تيمية رد هذا الرأي[(١)]، وقال: إن اللام ليست للعاقبة ولا ينبغي أن تكون للعاقبة؛ لأنهم لم يأخذوا موسى من أجل أن يكون لهم عدوا وحزنا (....)[(٢)] بهذا، فلو علموا أنه سيكون لهم عدوا لم يأخذوه، فلا يصح أن تكون للعاقبة. يريدونه ابنا لهم؛ لأنهم (....)[(٣)]، لكن العاقبة في نفس الأمر الواقع هو هذا بأن كان عدوا لهم ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ فيقول شيخ الإسلام عن قوله: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ﴾؛ إن العلة في الالتقاط هي لا من أجل أن يكون لهم عدوا، لا يريدون هذا لو علموا قتلوه والمسألة معروفة[(٤)]،[(٥)].

قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ﴾ [القصص: ١٥].

﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ﴾ أي: الإسرائيلي، ﴿عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ أي: القبطي، ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ﴾، فهذا يدل على جواز الاستغاثة بالحي الحاضر القادر أن يغيث من استغاث به[(٦)].

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى: (٨/ ٤٤).
(٢) الصوت غير واضح.
(٣) انقطاع في التسجيل.
(٤) ينظر: مجموع الفتاوى: (٨/ ٤٤).
(٥) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٨/ أ).
(٦) ينظر :شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١٠/ أ).

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٢].

يعني إلى جهة مدين[١]، بمعنى: أنه قابلها، يعني: أقبل إليها قاصدا لها[٢].

قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

فالآية قسمت الأمر إلى قسمين لا ثالث لهما: إما الاستجابة لرسول الله، وإما اتباع الهوى، فهذه القوانين الوضعية هي داخلة في اتباع الهوى، ثم قال: «وَمَنْ أَضَلُّ» يعني: لا أحد أضل. «مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللهِ»؛ لأنهم أوجبوا وحللوا وحرموا وافتروا وجاؤوا بأشياء من قبلهم، وقالوا إن الشرع لا يصلح في مثل هذا الوقت أو ما أشبه ذلك؛ كل هذا من الأمور الباطلة[٣].

فقسم الأمر في هذه الآية إلى قسمين لا ثالث لهما: إما الاستجابة لرسول الله ﷺ وإما اتباع الهوى. لا ثالث لهما إما أن تستجيب لما جاء به النبي وإلا فاتباع الهوى ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ﴾ والاستجابة للرسول داخل فيها الاستجابة للقرآن؛ لأن الرسول أمر باتباع القرآن، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥][٤].

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (١٢/ ب).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (١٢/ ب).
(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٤/ ب).
(٤) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٥/ ب).

قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [القصص: ٥٤].

أولئك: أولاء: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف: حرف خطاب. يؤتون: يؤتى: فعل مضارع مرفوع؛ لتجرده عن الناصب والجازم وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو: نائب فاعل. أجرهم: أجر: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، أجر: مضاف، والضمير: مضاف إليه، والميم: علامة الجمع. مرتين: نائب مناب المصدر منصوب وعلامة نصبه الياء المفتوح ما قبلها المكسور ما بعدها نيابة عن الفتحة؛ لأنه مثنى، والنون: عوض عن الحركة والتنوين في الاسم المفرد(١).

قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

إن الرسول ﷺ حرص على هداية عمه، مع أن عمه أيده وناصره وصبر معه على حصار الشعب ثلاث سنين، قاطعتهم قريش لا يناكحونهم، ولا يبايعونهم، ولا يشاورونهم، ولا يأتونهم. فصبر عمه أبو طالب على حصار الشعب من أجل الرسول، لما جاءت قريش قالوا: يا أبا طالب خذ لنا من ابن أخيك إن كان يريد المال أعطيناه مالا حتى يكون من أكثرنا مالا، وإن كان يريد السؤدد سودناه علينا حتى لا نقطع أمرا من دونه، وإن كان به رئيا من الجن جمعنا له من أموالنا وعالجناه حتى لا يكون به بأس، فقال أبو طالب للرسول: يا ابن أخي لقد أنصفك قومك، فظن أن عمه سيسلمه قال: «والله لو وضعوا

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٩/أ).

الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه»[١] ذكره ابن كثير وغيره. ومع هذا أيده أبو طالب وناصره كما في قصائده المعروفة، ولكن حيث لم يؤمن ظاهرا ولو آمن بقلبه وصدقه بلسانه لم ينفعه إسلامه؛ فإن أبا طالب يقول في قصيدته المعروفة:

ولقد علمت بأن دين محمد ❁ من خير أديان البرية دينا

وهذا اعتراف منه بأن دين محمد من خير الأديان، وقال أيضا:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ❁ حتى أوسد في التراب دفينا

أيده وناصره، وحرص الرسول ﷺ على هدايته. لما حضرته الوفاة جاءه وقال: «يَا عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ»[٢]، وكان عنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ ذكراه الحجة الملعونة؛ وهي تعظيم الأسلاف والأكابر، قال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول "لا إله إلا الله"؛ تعظيما لأسلافه وأكابره. أنزل الله تسلية للرسول: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[٣].

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ أنزل الله تسلية لرسوله في عدم إسلام عمه[٤].

(١) أخرجه أحمد في مسنده: (ح: ١٩٢١٢) من حديث المسور بن المخرمة رضي الله عنه بلفظ مقارب له.
(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: (ح: ٨٢٠) من حديث المسيب بن حزن رضي الله عنه.
(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١٠/ ب).
(٤) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١٣/ ب).

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾، الهداية تنقسم إلى قسمين: هداية إرشاد وبيان، فهذه لا بأس بها، وهي ثابتة للنبي ﷺ ولغيره من الدعاة إلى الله، فتكون قد هديته؛ بمعنى أرشدته ودللته على الطريق، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] أي: إنك ترشد وتبين وتوضح الطريق إلى الصراط المستقيم، هذه ثابتة للنبي ﷺ ولغيره.

أما القسم الثاني من الهداية: فهي لله وحده، وهي التي نفاها عن الرسول ﷺ في هذه الآية بقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾، وهي هداية القلوب؛ فإن هداية القلوب وتفريج الكروب لا تثبت إلا لله وحده، فالرسول وغيره لا يستطيعون هداية الناس، بمعنى هداية التوفيق وهداية القلوب وردها إلى الله سبحانه وتعالى فهذه بيد الله وحده، وهي منفية عن النبي ﷺ وعن غيره: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾، وهذه الآية مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨][(١)].

قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

لا: ناهية. تدع: فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وعلامة جزمه حذف حرف العلة والضمة قبلها دليل عليها، والفاعل: ضمير مستتر وجوبا تقديره أنت. مع: ظرف، مع: مضاف، والاسم الشريف: مضاف إليه مجرور وعلامة

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١٣/أ).

جره كسر الهاء تأدبا. إلها: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة. آخر: صفة لإله وصفة المنصوب منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره[1].

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٦/ ب).

سورة العنكبوت

قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢].

أحسب: الهمزة للاستفهام، حسب: فعل ماض مبني على الفتح، الناس: فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة على آخره، أن يتركوا: أن: حرف مصدري ونصب، يتركوا: فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون، والواو: نائب الفاعل.(١)

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣].

أخبر بأنه سيفتنهم مقابل ما صنعوا ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ﴾ هذا من باب الخبر. فلا نشتق له منه اسما فنقول إن الله هو الفاتن(٢).

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٠].

على هذا الناس فريقان: فريق مؤمن، وفريق كافر. لا ثالث لهما. يرتكب السيئات ويعمل ما يقتضي الكفر، فهذا لا حيلة فيه إلا بالتوبة والرجوع إلى الإسلام، والآية لا تتناول هذا القبيل. النوع الثاني: هو ما دلت عليه هذه الآية

---

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٩/أ).

(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١٥/ب).

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ فالذين يقولون آمنا بالله هم على حالتين: مؤمنون بالله بألسنتهم وأعمالهم وأفعالهم وهذا هو الإيمان الحقيقي، أو مؤمن بالله بلسانه ويتخلف العمل، لم يخالط بشاشة الإيمان قلبه؛ إنما هو مؤمن بطرف لسانه، فإذا أوذي في الله وحل به شيء من المصائب ذهب ذلك الإيمان، فجعل هذا من عذاب الله وانحرف عن الإيمان؛ لأن الإيمان لم يصادف قلبه وهذا هو المراد بهذه الآية ﴿فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ﴾ فالله يختبرهم ويمتحنهم هل هم مؤمنون حقا أم لا؟ كما في أول السورة: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١-٣].

﴿وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ يعني: إن أصابكم حسنة قالوا نحن معكم، وإن أصابكم سيئة فرحوا وقالوا لم نكن معكم، بل فرحوا بابتعادهم عنكم كما دلت عليه الآيات القرآنية. ثم الآية تدل على أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، وفيها رد على المرجئة القائلين: إن الإيمان هو مجرد التصديق بالقلب، فإذا صدق الإنسان بالقلب وإن لم يعمل فإن إيمانه كإيمان جبريل. مجرد اعتقاده بقلبه يكفي حتى ولو لم يعمل؛ فالأعمال ليست من الإيمان، والآية ترد عليهم، والقرآن يرد عليهم، بل الإيمان لابد أن يكون في القول والعمل والاعتقاد؛ فالاعتقاد وتصديق القلب لا يكفي مهما كانت الحالة[1].

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٣/أ).

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧].

فابتغوا: هذا فعل أمر، عند الله الرزق: متعلق بقوله ابتغوا، فتقديم المعمول على عامله يفيد الحصر، دل على أن الله هو الذي يملك الرزق، فلا ينبغي أن تدعو غير الله ولا أن تطلب غير الله.

لكن هنا سؤال لو قلت مثلا: الآية تدل على أنه لا يطلب الرزق إلا من الله وحده ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾، فعطف العبادة على طلب الرزق من باب عطف العام على الخاص، لكن لو أن شخصا طلب الحكومة مبلغا من المال، أو طلب إنسانٌ غنيا، جاء يطلب منه ويسأله. فهل في طلب هذا الشخص للسلطان، أو طلب هذا الشخص لهذا الغني هل فيه منافاة لقوله: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾؟ يعني: هل نقول لا يجوز لك وإنما تطلب من الله أو نقول لا مانع؟ لا. بل نقول: أولا السؤال من حيث هو: ذمه النبي ﷺ ونهى عنه وقال: «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ»[(١)]، والأحاديث في هذا كثيرة، والصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا يسألون أحدا، بل يتجرون ويعملون الأسباب في تحصيل الرزق؛ لأجل القيام بعوائلهم ومن تحت أيديهم بدون أن يتعرضوا لأحد فإن أبا بكر رضي الله عنه كان بزازا يعني يبيع البز، وعمر بزازا، وعمرو بن العاص أيضا كان جزارا، والزبير

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (ح: ١٤٧١) من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه.

جزارا ﵁، وعتبة بن أبي وقاص كان نجارا، وعثمان بن طلحة كان خياطا، وهكذا شأن الصحابة، وقبلهم الأنبياء إبراهيم ﵇ كان زراعا، وابن أخيه لوط كان زراعا، وآدم ﵇ كان حراثا، ونوح كان نجارا، وزكريا كان نجارا، وموسى والنبي ﷺ كانا يرعيان الغنم؛ كل هذا لأجل ألا يسألوا أحدا؛ ولأجل أن يعرفوا أممهم كيف يتطلبون الرزق، وأن يغتنوا بأعمال أيديهم عن مذلة السؤال. وكذلك يقول بعض الصالحين: ليست العبادة عندنا أن تصف قدميك وغيرك يقوم بقوتك ولكن أحرز رغيفك ثم تعبد. هذا شأن سلفنا الصالح، بقي السؤال على قوله تعالى: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ﴾ لو سأل شخص آخر نقول لا مانع؛ إلا أنه مكروه ما دام أن المسؤول يقدر على أن يعطيك من ماله. مثلا عنده مال ويستطيع -أي يقدر- فلا مانع كما أن الاستغاثة قلنا إنها شرك؛ لكن الشرك إذا كانت الاستغاثة بغير قادر كالاستغاثة بالأموات والغائبين؛ أما لو استغثت بحي حاضر يقدر على أن يمنعك من هذا السبع، لو أقبل عليك ذئب أو سبع وقلت يا فلان أغثني أغثني، لا بأس به ما فيه مانع، ما دام أنه بيده البندقية ويستطيع أن يغيثك، ما فيه مانع؛ لأن الله يقول في حق موسى: ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾، وإنما الممنوع: الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله، فكذلك السؤال فلا يجوز أن تسأل غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، أما إذا سألت شخصا وهو يقدر على أن يعطيك لا مانع إلا أن السؤال مذموم ومكروه ولا ينبغي أن يسأل، بل عليه أن يتطلب الرزق، اللهم إلا أن يكون من حاجة ضرورية فهذا شيء آخر كما في حديث قبيصة في قصة الثلاثة

الذين قال فيهم الرسول «لَا تَحِلُّ الْمَسْأَلَةُ إِلَّا لِثَلَاثَةٍ»[(١)]،[(٢)].

قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٤٤].

خلق: فعل ماض مبني على الفتح. والله: لفظ الجلالة فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة على الهاء. السماوات: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. والواو: حرف عطف، والأرض: معطوف على السماوات منصوب بالفتحة الظاهر على آخره. بالحق: جار ومجرور متعلق بالخلق، الباء: حرف جر، الحق: اسم مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره متعلق بخلق[(٣)].

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا﴾ أن: حرف توكيد ونصب، ونا: ضمير مبني على السكون محله نصب اسم أن. أنا أنزلنا: أنزل فعل وفاعل، والجملة: في محل رفع خبر أن. وأن واسمها وخبرها في محل رفع فاعل ليكفي، والتقدير: أولم يكفهم إنزالنا عليهم[(٤)].

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه: (ح: ٢٣٦٠) من حديث قبيصة رضي الله عنه.
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٩/ ب).
(٣) ينظر: تصويب أحد طلاب الشيخ لطالب آخر في شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٤/ ب).
(٤) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٨/ ب).

أولم: الهمزة للاستفهام، والواو حرف عطف. لم: حرف نفي وجزم وقلب. يكف: فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف الياء والكسرة قبلها دليل عليها، والهاء: ضمير متصل مبني على الكسر محله النصب على المفعولية، والميم: علامة الجمع. أنا أنزلنا: أن: حرف توكيد ونصب تنصب الاسم وترفع الخبر، ونا: اسمها مبني على السكون في محل نصب اسم أن، أنزلنا: أنزل فعل ماض، ونا: مبني على السكون محله رفع على الفاعلية. الكتاب: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره. أن هنا ما تقديرها؟ إنزالنا أولم يكفهم إنزالنا[1].

---

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (١٠/ ب).

سورة الروم

قال تعالى: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ [الروم: ١٧].

سبحان: اسم مصدر منصوب بالفتحة الظاهرة على آخره وهو مضاف، ولفظ الجلالة: مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة على آخره. حين تمسون: حين: ظرف زمان منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره. تمسون: فعل مضارع مرفوع؛ لتجرده عن الناصب والجازم وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو: فاعل[(١)].

قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [الروم: ٢٥].

أن حرف مصدري ونصب. تقوم: فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة[(٢)].

قال تعالى ﴿ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [الروم: ٣١]، فقوله: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ داخل في عموم ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾؛ لكن أفردها بالذكر بعد ما سبقها من مجمل الطاعات؛ مما يدل على عظمها وعظم شأنها[(٣)].

قال تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ [الروم: ٣٦].

---

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (١٢/ ب).
(٢) ينظر: شرح الشيخ للمقدمة الأجرومية: (٧/ ب).
(٣) ينظر: شرح الشيخ للروض المربع: (١/ ٢٨٤).

إن تصبهم: إن: حرف شرط. تصب: فعل مضارع مجزوم على أنه فعل الشرط وعلامة جزمه السكون، الهاء: مفعول، سيئة: فاعل. إذا هم: إذا: فجائية، هم: ضمير منفصل مبني على السكون محله رفع على الابتداء. يقنطون: فعل مضارع، والجملة خبر مبتدأ[1].

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الروم: ٣٧]؛ أي: أن الله هو الذي يوسع على الناس أرزاقهم وينميها لهم كما يقدر على آخرين على ما تقتضيه حكمته وإرادته، وأن بسط الرزق وإنماء الثروة وكثرة المال ليس هو من قبيل تعاطي الربا.

قال تعالى: ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الروم: ٣٨]. إشارة إلى أن لذي القربى والمساكين وابن السبيل حقا في المال، واستدل بها الإمام أبو حنيفة على وجوب الإنفاق على المسكين وابن السبيل.

قال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩]. وهذا كله ذم للربا وأنه لا يربو عند الله؛ إلا أن الآية لا تدل على التحريم، وفسرها بعضهم بأن المعنى هو أن الرجل يعطي المال من باب الهدية ليدفع إليه أكثر مما أعطى، وأن الله نهى نبيه عن ذلك في قوله: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦]. ثم ذكر الربا

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الأجرومية: (٨/ ب).

في آية أخرى ذاما لليهود في تعاطيه ومتوعدا لهم على ذلك بالعذاب الأليم.

وهذه الآية لم تدل على التحريم، وغاية ما تدل عليه هو: أن الربا لا يربو عند الله؛ أي: لا ينمو ولا يزيد بخلاف الزكاة المراد بها وجه الله، فالله يضاعفها وينميها لأصحابها قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا﴾ هذه قراءة الحجازيين فهم يضمون الضاد، أما لغة بني تميم فهم يفتحونها: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾[1].

---

(١) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٣/أ).

سورة لقمان

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾ [لقمان: ٦].

روى ابن أبي شيبة[١] بإسناد صحيح وأخرجه الحاكم[٢] والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ﴾ فقال: «هو الغناء والذي لا إله غيره».

قال تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧].

يعني: أن من شأن كل آمر بمعروف وناه عن منكر لابد أن يؤذى، فعليه الصبر. لماذا؟ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سعي في الحيلولة بين العصاة وبين ملذاتهم وشهواتهم، فإذا حال بينهم وبين شهواتهم وما يريدونه لابد أن يعملوا كل ما من شأنه أن يؤذيه ويتعبه، لكن عليه التحلي بالصبر؛ هذا هو المعنى[٣].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴾ [لقمان: ٣٤].

---

(١) ينظر: المصنف: (٧/ ٢٦٩). ح/ ٢١٥٣١. عن ابن عباس قال: هو الغناء ونحوه.
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (ح: ٣٥٤٢) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١٠/ ب).

وهذه الخمسة هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩][1].

وهذه الخمسة هي التي جاء بيانها في الآية الأخرى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [الأنعام: ٥٩][2].

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٠/ب).
(٢) ينظر: الفتاوى والدروس: (١٠٩).

سورة السجدة

قال تعالى ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، هذا عمل الجوارح، سجدت، ﴿وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾، هذا القول باللسان، ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ هذه عقيدة القلب، فالله لا يثبت لك الإيمان؛ حتى تعمل الجوارح سجودا لله، وقولا باللسان ﴿وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾، وعمل القلب ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

فبهذا نعرف أن الإيمان ليس هو مجرد التصديق كما ذهب إليه شارح الطحاوية، وإن كان لا يرى أنه لا بد من القول واعتقاد القلب؛ لكن يريد أن يحاول التوفيق بين مذهبه ومذهب السلف، واستدل بقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف:١٧]؛ أي: وما أنت بمصدق لنا، وما أشبه ذلك، فالإيمان هو مجرد التصديق.

سورة الأحزاب

قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ أي قررن واثبتن في بيوتكن(١).

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾

فالتبرج من حيث هو ممنوع، وإضافته إلى الجاهلية إضافة ذم وعيب، والجاهلية ما كان قبل الإسلام إذا أطلقت. وهي كذلك كل ما خالف القرآن والسنة؛ فإنه يسمى جاهلية قبل الإسلام وبعد الإسلام(٢).

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾

إنما: كافة ومكفوفة. يريد: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة. الله: لفظ الجلالة مرفوع بالضمة فاعل. ليذهب: اللام: لام كي، يذهب: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازا بعد لام كي.

عنكم: جار ومجرور، عن: حرف جر، والكاف: ضمير متصل مبني على الضم في محل جر، والميم: علامة الجمع. أهل البيت: أهل: منادى يا أهل البيت منادى حذفت منه ياء النداء منصوب بالفتحة الظاهرة على آخره وأهل:

---

(١) **ينظر**: فتاوى نور على الدرب: ٦٧.

(٢) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢١/ أ).

مضاف والبيت: مضاف إليه[1].

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

يقول الله ﷻ مخاطبا المؤمنين في شأن نساء النبي ﷺ وهن أفضل منكن، قال: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ ثم قال: ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ فنساء النبي لاشك أنهن أطهر قلوبا منكن والصحابة أطهر قلوبا من الرجال، ومع هذا أمرن بالاحتجاب بهذه الآية، وفي الآية الأخرى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩][2].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ فتجد البلاد التي كثر فيها الاختلاط وكثر فيها السفور فإنها أكثر شرا وأكثر زنا وأكثر بلاء من البلاد التي أهلها

---

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٧/ ب).

(٢) ينظر: الفتاوى والدروس: (٨٦٦).

يتحجبون ويبتعدون عن مخالطة النساء للرجال[(١)].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

قال الصحابة: يا رسول الله، كيف نصلي عليك؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد[(٢)]، [(٣)].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

الجلابيب جمع جلباب والجلباب هو ما تجعله المرأة على رأسها مرخية له على وجهها[(٤)].

كما قاله عبيدة السلماني أحد أصحاب ابن مسعود، وهو ما تضعه المرأة على رأسها ثم تسدله على وجهها؛ لأن محاسنها في وجهها[(٥)].

والجلباب هو ما تضعه المرأة على رأسها؛ يعني ما يسمى بـ"الشيلة"[(٦)]

---

(١) ينظر: الفتاوى والدروس: (٨٦٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: (ح: ٦٣٦٠) من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه.

(٣) ينظر: فتاوى نور على الدرب: ٤.

(٤) ينظر: فتاوى نور على الدرب: الحلقة: ١٠٤، د/ ١٢، ث/ ٤٩.

(٥) ينظر: الفتاوى والدروس: (٨٥٨).

(٦) كلمة عامية يراد بها الغطاء.

تجعله على رأسها فلابد أن تدنيه -تنزله على وجهها- عن الرجال الأجانب، حتى ولو كانت تصلي فإنه لابد أن تغطي وجهها[1].

(١) ينظر: الفتاوى والدروس: (٨٦٤).

سورة سبأ

قال تعالى: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ ﴾ [سبأ: ١٣].

يعملون: فعل مضارع مرفوع؛ لتجرده من الناصب والجازم وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو: فاعل. له: جار ومجرور، اللام: حرف جر، والهاء: ضمير مبني على الضم محله الجر. ما يشاء: ما: اسم موصول مبني على السكون محله النصب على المفعولية، يشاء: فعل مضارع مرفوع؛ لتجرده من الناصب والجازم، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة. من محاريب: جار ومجرور، من: حرف جر، محاريب: اسم مجرور بمن وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه اسم لا ينصرف. والمانع له من الصرف علة واحدة تقوم مقام علتين وهي: صيغة منتهى الجموع[(١)].

قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [سبأ: ٢٢- ٢٣].

هذه الآية هي التي يقول سلف هذه الأمة إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب[(٢)]؛ وذلك من أربعة أوجه: كما دلت عليه الآية. أولا قوله: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم ﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أن مدعويكم من

---

(١) **ينظر**: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٦/أ).

(٢) **ينظر**: كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب: (٤٩).

ملائكة أو غيرهم لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، فإذا كانوا لا يملكون حتى ولا مثقال ذرة، فكيف يساوون بمن بيده الأمر كله، والحكم كله، والقضاء كله والتصرف كله، وهو الذي أوجد هذا العالم من العدم كيف يساوى بمن لا يملك حتى ولا مثقال ذره؟ هذا هو الوجه الأول.

قد يقول قائل: نفى الله أن يكون للمدعوين ملك ذرة فيحتمل أن يكون لهم شركة في ملك ذرة؛ لأنه إنما نفى الملك عن الذرة ولا يلزم منه ألا يكون لهم شركة في ذرة، نَفَى الرب هذا كله كما في قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ هذا هو الثاني: نفى أن يكون لهم شركة ملك في ذرة في السماوات أو في الأرض، بل ولا شركة في ملك ذرة، فكيف يساوون بالله سبحانه وتعالى ويطلب منهم المدد، ويسألون تفريج الكربات وإغاثة اللهفات، وهذا عجزهم وهذه حالتهم لا يملكون مثقال ذرة، بل ليس لهم شركة في ملك ذرة. الثالث قوله: ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ يعني: هؤلاء الذين تدعونهم من دون الله من أنبياء وملائكة أو غيرهم ليس منهم أحد معين لله ولا مشير فإن معنى قوله: ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ أي: معين ولا مشير، بل الرب هو الذي يتصرف في هذا العالم بما تقتضيه حكمته وإرادته من غير أن يحتاج إلى معين أو مشير، بل الأمر كله بيده. الرابع قوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ لا أحد يشفع لا ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا بعد أن يأذن الله له، والله لا يأذن إلا لأهل التوحيد ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ كما في آية الكرسي، فالرب سبحانه وتعالى أخبر بأنه لا أحد يشفع عنده إلا بإذنه، وقبل أن يأذن لا يمكن أن أحدا يشفع كما في آية الكرسي (الله لا إله إلا هو)، وكقوله

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، فالرب لا يرضى إلا لأهل التوحيد. وقوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ فهي ملك لله ﷻ يأذن للشافع تكرمة له فيشفع لمن أذن الله فيه أن يشفع، فهذه أربعة أوجه كلها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ هم الملائكة، معلوم أن الملائكة هم أقوى خلق الله، وإذا كان الله نفى أن يكونوا معبودين معه، بل أخبر بما عندهم من الخوف والرعدة والهيبة عندما يسمعون كلامه فكيف يسألون من دون الله ويرجون من دون الله ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، والإيمان بالملائكة أمر لابد منه كما في حديث جبريل الذي عليه تدور عقائد المسلمين. فإن عقائد المسلمين تدور على ما دل عليه حديث جبريل حين سأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان؛ فإن من جملة ما جاء في حديث جبريل قال: أخبرني عن الإيمان. قال: **"الْإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ"**(١)، فإن الإيمان بالملائكة لابد منه، فإنكارهم كفر، لكن ما معنى الإيمان بالملائكة الذين أخبر الله عنهم في هذه الآية؟ على ما رجحه ابن جرير وابن كثير وأبو حيان من أن المراد بهم هم الملائكة(٢). ما معنى الإيمان بالملائكة؟ هو أنك تعتقد يقينا قطعا جزما بأن الملائكة عباد مكرمون، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (ح:٤٧٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) **ينظر**: تفسير الطبري: (٢/ ٣٩٦)، تفسير ابن كثير: (٦/ ٥١٥)، تفسير أبي حيان: (٨/ ٥٤٣).

يشفقون(١)، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، هذا الذي يجب أن تعتقده في الملائكة وإن تنوعت عبارات الناس ما بين مُحق ومُضل، ويقول بعضهم: إن الملائكة -كما يقول بعض العصريين مثل محمد عبده ومن سلك مسلكه صاحب المنار، ولقد أخطؤوا في هذا وقالوا: -المراد بالملائكة إنما هي كالجراثيم أو الميكروبات، وهي المادة الحيوية التي تكون بالزروع وما أشبه ذلك، وهذا لاشك أنه خطأ كبير وضلال بعيد عن الحق، بل الحق أنا نقول: إن الملائكة عباد مكرمون، وأنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وأن الله ﷻ أوجدهم وخلقهم لعبادته، وهم لا يعصون الله، بل يفعلون ما يؤمرون به ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، والآيات في إثبات وجود الملائكة كثيرة جدا، وبعض العلماء يقولك إنهم أجسام نورانية، ولكن نحن نقول: الله أعلم بحقيقة ذلك، بل نؤمن بأن الملائكة كما دل عليهم القرآن ودلت السنة من أنهم موجودون، ولهم من الهيبة والرعدة والخوف عندما يسمعون كلام الله ﷻ(٢).

---

(١) (إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون).

(٢) عن النواس بن سمعان قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السماوات منه رجفة أو قال: رعدة شديدة خوفا من الله تعالى، فإذا سمع بذلك أهل السماوات صعقوا، وخروا لله سجدا، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير. قال: فيقولون كلهم مثل مثل ما قال جبريل فينتهي=

وفي الآية أيضا فوائد؛ وهي قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ يعني: زال عنهم الغشي؛ وذلك أن الملائكة عندما يسمعون كلام الرب حينما يقضي أمره في السماء، يسمعون كلامه يخرون سجدا لله خوفا وهيبة ويأخذهم من الفزع ما يأخذهم، فإذا أزال عنهم الغشي الذي هو الفزع تساءل بعضهم مع بعض ﴿قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ يعني: قال ربنا الحق ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾، ففي الآية إثبات أن الله يقول: (قال الحق)، والمراد أنه يتكلم خلافا للأشاعرة؛ فالله ﷻ أخبر بأنه يتكلم ويقول حقيقة كما دل عليه القرآن ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٥] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة، ولا نقول إن الله يتكلم أو يقول من جنس قول المخلوقين، بل يقول ويتكلم على وجه يليق بجلاله، فإذا قال لك الأشعري الذي ينفي عن الله الكلام: لا يجوز لك أن تثبت أن الله يتكلم؛ لأن من لازم الكلام أن يكون له لسان ويكون له شفتان

= جبريل بالوحي حيث أمره». أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات: (٨/ ٤٣٥)، وعن أبي هريرة يقول: إن نبي الله ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله: (كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم)، قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير...» الحديث. أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: تفسير القرآن، باب: «حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير»: (٤٨٠٠/ ٩١٨).

ويكون له لثة، والله منزه عن هذا، قل له: أنا لا أقول بإثبات ما تقوله، بل أثبت ما أثبته القرآن والسنة، وأنفي ما نفاه القرآن والسنة، وأسكت حيث سكت القرآن والسنة، فيقول لك: يلزمك هذا إذ لا نعرف في كلام العرب كلاما بدون هذا، قل له أجيبك من أمرين: أولا هل أنت تثبت أن لله ذاتا؟ يقول لك الجهمي والمعتزلي والأشعري كلهم يقولون: نعم نحن نثبت أن لله ذاتا يقينا، قل له: إذا يكون مشابها لذوات المخلوقين. أنا ذات فهل ذات الله مثل ذاتي؟ يقول لك: لا لا لا بل أثبت أن لله ذاتا حقيقة ليس بعدم، لكن لا تشبه ذواتكم. قل: وأنا أيضا أثبت لله كلاما حقيقة لا يشبه كلامنا. فالكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، فلا يستطيع أن يرد عليك حينئذ؛ لأنك تلزمه نظير ما أثبته لا محيد له حينئذ. قل: كيف تثبت أن لله ذاتا لا تشبه ذوات المخلوقين وتنفي عنه الصفات خشية المشابهة؟ قل: انف عنه الذات أيضا خشية المشابهة، ما يستطيع؛ لأنه يؤدي إلى العدم، ما عنده رب أجل. هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة. وأمر آخر تقول للأشعري: -على سبيل التنزل معك- لا يلزم من إثبات الكلام أن يكون المتكلم له لسان وشفتان؛ إنما هذا في الآدمي، فالسنة جاءت وكذلك القرآن أيضا بأن هناك من يتكلم بدون أن يكون له شيء من ذلك كما في قصة الحجر الذي كان يسلم على النبي ﷺ وهو في مكة كما في مسلم فإنه قال: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ»(١)، فهل له لسان وشفتان كذلك أيضا أخبر الرب ﷻ في القرآن بقوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤]، والتسبيح أيضا قول، فهل لها شفتان

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: (ح: ٢٢٧٧) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه.

ولسان، يبطل حينئذ استدلاله أو تشبيهه[1].

الموضوع الثاني في الآية قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ فيه إثبات صفة العلو لله ﷻ وكما دلت الآية على إثبات العلو فنقول: له علو القدر، وعلو القهر، وعلو الذات، فالله أخبر أن له علو الذات وهو على عرشه بائن من خلقه ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠]، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني على السماء ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ﴾ [الملك: ١٧] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة، فأخبر القرآن بأن الله على عرشه ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] الجهمية والمعطلون يقولون استوى هنا بمعنى استولى ويستدلون ببيت مولَّد:

قد استوى بشر على العراق

بمعنى: استولى بشر على العراق. فالمراد عندهم استوى يعني ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ إلى غير ذلك. المراد به عندهم استولى قل له أنت: لا داعي إلى أن أذكر الأدلة فالأدلة واضحة، لكن أريد أن أقول لك وأخاصمك بما تقوله أنت، أتقول استوى بمعنى استولى، قال لك: نعم، قل: طيب أنت عربي واستولى لغة عربية فمعنى استولى -لفظة استولى- هل هناك من ينازع الرب على العرش ويقاتله، ثم إن الرب استولى عليه؟ لأن هذا ما تفيده مادة

---

(١) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١١/أ).

استولى كما يقال استولى فلان على البلد، استولى فلان على بيت فلان، استولى يعني لا يحصل الاستيلاء إلا بعد مقاهرة ومغالبة بينك وبين شخص آخر ثم تتغلب عليه، فنقول استولى فلان فإذا فسرتم ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ بمعنى استولى؛ يعني: كأن هناك من يغالب الرب ويقاهره على العرش وينازعه ثم استولى عليه، إذا يبطل قوله، لا يستطيع أن يقول نعم. فأنت تحتج عليه وتبطل كلامه من تفسيره هو سواء بسواء بدون أن تحتاج إلى أدلة، مع أن سلفنا الصالح كلهم قالوا في الاستواء نثبته كما أثبته القرآن استواء يليق بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل. ولا نقول استولى مثلا، أو استوى كاستوائي على الأرض، أو استواء فلان على الكرسي، لا بل نقول: آمنا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنا برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله، ونستريح من هذه الشقشقة وهذه الإلزامات وهذا الكلام الفاضي الذي يقولونه، ويتكلمون به، ويؤيدون به أباطيلهم، بدون أن يقيموا عليه دليلا لا من كتاب ولا من سنة ولا عقل سليم. ﴿قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾.

إن الله ﷻ أبطل ما يتطلب به المشركون بطلانا كاملا من أربعة أوجه، وهذه الآية هي التي قيل إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب، وهذه الأربعة ما دام أنها نفيت عن غير الله ولم تثبت إلا لله دل على أن الشفاعة لا تكون إلا لمن حصلت له هذه الأمور الأربعة، ومن انتفت عنه فلا شفاعة حينئذ لديه أولها قوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ما دام أنه لا يملك حتى ولا ذرة فكيف تطلب منه الشفاعة، وكيف يدعى

ويرجى ويستغاث به ويطلب منه المدد ويجعل مساويا لله ﷻ، فمثلا تقول لمن يعبد عبد القادر أو الدسوقي أو أحمد البدوي أو ما أشبههم، تقول لهم: أنهم قوم لا يضرون ولا ينفعون. قال: بل أنا أدعوهم وأسألهم وأستغيث بهم لمكانتهم عند الله، قل له: هل يملكون مثقال ذرة في السماوات أو في الأرض؟ لابد أن يقول لك لا، قل: إذًا إن عجز عن أن يملك مثقال ذرة في السماوات والأرض، فكيف تساويه بالدعاء والاستغاثة به وطلب المدد منه، تساويه بمن بيده الخلق والرزق والتدبير؟ هذا هو الكفر بعينه. هذا هو المرتبة الأولى. المرتبة الثانية: قال: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي: أن مدعويهم لا يملكون مثقال ذرة لا في السماوات ولا في الأرض. قل لهم: إذا هل لهم شركة في ملك ذرة في السماوات أو في الأرض، اتضح أنهم لا يملكون ولا مثقال ذرة ومع هذا تدعوهم وتسألهم وتذبح لهم وتساويهم برب العالمين، الذي أوجد هذه السماوات وأوجد هذه الأراضين وما فيها من جبال وبحار وأنهار وما عليها من حيوانات وآدميين، تساوي هذا الذي لا يملك ولا مثقال ذرة بالله الذي هذا شأنه تعالى الله. إذا قال لا يملك منها شيئا، قل له: هل يملك شركة في مثقال ذرة؟ لابد أن يقول لك لا. الثالث: قل له: اعترفت أنه لا يملك لا مثقال ذرة ولا أن له شركة ولا في مثقال ذرة، هل عبد القادر أو البدوي أو السيدة زينب أو ابن علوان أو ما أشبههم، هل هم شركاء لله يعني مشيرين لله معاونين له هل الله يستشيرهم أو أنهم يعينونه؟ كما أن الملك يستشير وزراءه أو أنه يطلب منهم الإعانة في تدبير الجيوش، يقول لك: لا، الرب غني عنهم، قل: إذا ما بقي إلا الشفاعة، فكيف تجعلهم في رتبة الله؟

قال: أنا أطلبهم ليشفعوا لي وإلا فأنا أعرف أنهم لا يملكون في السماوات ولا في الأرض مثقال ذرة، ولا أن لهم شركة ولا في مثقال ذرة، ولا أنهم معينون لله ولا مستشارون له، إلا أني أطلب منهم الشفاعة. قل: بطلت المراتب الأولى باعترافك، وأن الله هو المنفرد بها، إن قال لك نعم، فقل له: بقي الشفاعة. الشفاعة هل يشفعون بغير إذن الله أو لابد فيها من إذن الله؟ ضروري أن يقول لابد فيها من إذن الله؛ لأن الله يقول: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾، إن قال لك يشفعون بغير أن يأذن لهم قل له: هذا هو عين شرك المشركين الأولين سواء بسواء، فإن قال: ما يشفعون إلا بإذن الله وأن الشفاعة ملك لله قل له: إذًا اطلب الشفاعة من الله ما دام أنهم لا يملكون الشفاعة ولا يشفعون إلا بعد إذن الله لهم، فالمطلوب هو أن تسأل الله بأن يشفع فيك نبيه، أو فيك هذا الرجل الصالح، أو يشفع فيك هذا الذي يشفع من ولي ونحوه أو فرط ونحوه، لا أنك تطلب منه الشفاعة فإن كنت تطلب منه بدون إذن الله فهذا هو عين شرك المشركين الأولين، وهذه الشفاعة التي نفاها القرآن وأبطلها رسول الله ﷺ اعْتَرَفَ لك، قال نعم لا أحد يشفع عند الله إلا بعد إذن الله له، قل له: وهل الله يأذن للشافع أن يشفع لغير أهل التوحيد أنت لست بموحد هل أنت موحد أم لا؟ فإن قال لك: أنا موحد فقل له ما هو التوحيد؟ ألم يكن التوحيد: إفراد الله بالتعلق. أنت تعلقت بأحمد البدوي لم تكن موحدا؛ لأن التوحيد هو: إفراد الله بالعبادة. فأنت أفرد الله بالعبادة ثم اطلب منه أن يشفع فيك نبيه أو يشفع هذا الرجل الصالح؛ لأن الله يقول كما اعترفت: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦]، فإذا أذن الله ورضي قوله يشفع كما في الآية والله لا يرضى إلا التوحيد ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] فبعد ذلك يبطل قوله ويسلم لك؛ لأنك تحديته بالأدلة الشرعية والأدلة العقلية[1].

قال تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى﴾ [سبأ: ٢٤].

الواو: عاطفة. إنا: إن: حرف توكيد ونصب تنصب الاسم وترفع الخبر، نا: ضمير متصل مبني على السكون في محل نصب اسم إن. أو: حرف عطف. إياكم: إيا: ضمير منفصل مبني على الفتح محله نصب عطف على اسم إن، والكاف: حرف خطاب، والميم: حرف الجمع، لعلى هدى: اللام: لام الابتداء وتسمى لام التوكيد، على: حرف جر. هدى: اسم مجرور بعلى وعلامة جره الكسرة المقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر. أو في ضلال: أو: حرف عطف في ضلال: جار ومجرور. مبين: نعت لضلال[2].

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١١/ أ).

(٢) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (١١/ ب).

سورة فاطر

قال تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾ [فاطر: ١٣ - ١٤].

فمعنى الآية: هو أن الله ﷻ أبطل ما يتعلق به عباد القبور من أربعة أوجه:

أولا: قوله ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ أي: أن هذا الميت الذي أنت تدعوه، وتذبح له وتنذر له، وتستغيث به، وتطلب منه المدد ما يملك ولا قطميرا -وهي اللفافة الرقيقة التي تكون على نواة التمر-، فإذا كان لا يملكها فكيف يستطيع أن يجلب لك النفع أو يدفع عنك الضرر؟

ثانيا: قول: ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ﴾ أي: أن المدعوين من دون الله لا يسمعون دعاء من دعاهم؛ كدعاء عبد القادر الجيلاني ومعروف الكرخي في العراق وما أشبه ذلك، فإنك لو دعوتهم إنهم أولا: لا يملكون ولا قطميرا، ثانياً: لا يسمعون دعاء من دعاهم. هذا معنى ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ﴾.

الوجه الثالث: قوله: ﴿وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡ﴾ «ولو» على سبيل الفرض والتقدير أنهم يسمعون، فإنهم لا يستطيعون أن يجيبوكم بأن يجلبوا لكم نفعا أو يدفعوا عنكم ضررا.

الرابع: قوله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ أي أن الميت المدعو من دون الله يتبرأ من عابديه يوم القيامة، ويقول: يا رب ما شعرت بعبادتهم إياي كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ [البقرة: ١٦٦][1].

والآيات كلها تدل على إبطال ما يتعلق به هؤلاء من الصالحين والأولياء أو الأنبياء من هذه الأمور الأربعة. وآيات القرآن كثيرة في هذا المعنى. وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥-٦]، وكالآية الأخرى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١- ١٩٢][2].

الله يقول ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ يعني: ما يملك ولا اللفافة التي تكون على نواة التمر. ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ بل يتبرأ منك ويقول: يا رب ما شعرت بعبادته لي ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[3].

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

فالآية تدل على أن العباد كلهم فقراء إلى خالقهم وباريهم وهو الغني عن كل ما

(١) ينظر: فتاوى نور على الدرب: الحلقة: ١٤٧، د/ ١٣، ث/ ٤٩.
(٢) ينظر: الفتاوى والدروس: (٦٧).
(٣) ينظر: الفتاوى والدروس: (١٢٤).

سواه. فلا ينبغي أن تعلق طلبك المغفرة أو غيرها بالمشيئة بقولك: إن شئت[1].

قال تعالى: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٣].

إن: نافية، أنت: أن: ضمير منفصل مبني على السكون محله الرفع على الابتداء، والتاء: حرف خطاب[2]. إلا: حرف استثناء، نذير: خبر مرفوع بالضمة الظاهرة على آخره[3].

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢]، هؤلاء هم السابقون بالخيرات؛ وذلك أن المسلمين ثلاثة أقسام:

الأول: الظالم لنفسه، وهو: من عنده حسنات وسيئات، وقد حقق شهادة: أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، إلا أن عنده شيئا مما ظلم به نفسه.

الثاني: المقتصد: وهو العامل بالمأمورات، التارك للمنهيات، ولكن ليس عنده كمال وزيادة عمل.

الثالث: هم السابقون بالخيرات: الذين أدوا المأمورات والمستحبات، وابتعدوا عن المحرمات والمكروهات، بل وبعض المباحات، فهؤلاء هم السابقون[4].

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٣٠/ ب).
(٢) الصحيح: التقسيم في إعرابها بين "أن" و "التاء". قول لبعض محققي النحاة.
(٣) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٩/ ب).
(٤) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١/ ٣٨).

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ [فاطر: ٤١].

يعني: بمعنى أن تتحولا[١].

(١) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (١٠/أ).

سورة يس

قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [يس: ١٩].

معنى ذلك يعني: متى ذكرت بالله، وأمر العبد بتقوى الله وأمر العبد باتباع ما جاء به رسول الله؛ عدلوا وتركوا ونفروا فأصيبوا؛ بسبب إسرافهم وانحرافهم، وقالوا هذا متطيرين به فقال الله: ﴿ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ ﴾ يعني: بسبب ذنوبكم؛ حيث أمرتم ونهيتم فلم تقبلوا ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ يعني: مجرمين ظالمين(١).

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١٩/ ب).

سورة الصافات

قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٩].

كأن: حرف تشبيه ونصب من أخوات إن وأخواتها. الهاء: ضمير متصل مبني على الضم في محل نصب اسم كأن. والنون: نون النسوة. بيض: خبر كأن مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخرة. مكنون: صفة لبيض مرفوعة وعلامة رفعه الضمة الظاهرة في آخره(١).

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧].

دل على أنه لم يبق أحد من ذرية آدم إلا من كان من نسل نوح، وأما الصين وغيرهم قد عمهم الطوفان وهلكوا، هذا هو قول أهل السنة والجماعة وأشار إليه جمع من المحققين(٢).

قال تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٨- ٨٩].

معنى قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ﴾ يقول بعض المفسرين: هو أنه لما ناظر أباه وقومه قال: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾

---

(١) ينظر: تصويب أحد طلاب الشيخ لطالب آخر في شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (١٠/ ب).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١٣/ ب).

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦- ٧٩] هو من باب التدريج؛ ليعلمهم بأن المعبود هو الله ﷻ، وأن هذه الأفلاك مسخرة مربوبة مخلوقة لله -جل وعلا[١].

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ۝٨٨ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٨- ٨٩].

معنى الآية: هو أن إبراهيم ﵇ كان يأمر قومه بعبادة الله وحده لا شريك له، وينهاهم عن عبادة الأصنام، وكان ذلك اليوم هو يوم عيد لقومه يريدون أن يخرجوا إلى عيدهم غدا، فطلبوا أن يخرج معهم، فامتنع فنظر نظرة في النجوم تورية فقال: إني سقيم؛ أي: ضعيف، وبعض المفسرين يقولون أي: مطعون، وهم كانوا ينظرون في النجوم ويتشاءمون بالطاعون؛ لأنه يعدي، فعند ذلك تركوه، فخرجوا إلى عيدهم من الغد، لما خرجوا، خرج إبراهيم ﵇ إلى أصنامهم فجعل يقول لها: ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا. «ضربا»: مصدر، ضربا باليمين أي: جعل يكسرها صنما صنما ويسخر بها ما لكم لا تنطقون؟ أيها الأصنام ما لكم لا تنطقون؟ لما علم قوم إبراهيم بما فعل إبراهيم بآلهتهم أقبلوا إليه يزفون: يعني أقبلوا إليه مسرعين، قال لهم إبراهيم: أتعبدون ما تنحتون بأيديكم من الأصنام! هذا هو معنى الآية على ما قاله المفسرون، والله أعلم[٢].

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣].

---

(١) ينظر: نور على الدرب: الحلقة: ١٤٧، د/ ٦، ث/ ٥٤.
(٢) ينظر: نور على الدرب: الحلقة: ١٤٧، د/ ١، ث/ ١٢.

يعني أهوى إلى حلقه بالسكين[1].

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣] فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان[2].

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢/أ).

(٢) ينظر: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (ص٤٤-٤٥).

سورة ص

قال تعالى: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

يعني: لا يعبد إلا واحد ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾؛ لأن المشركين يرون أن الآلهة متعددة، فهذا إله، وهذا القبر إله، والشمس إله، والشجر إله، وهذا الجني عندهم إله، وهذا الحجر إله، فعندهم آلهات متعددة، لمَّا قال لهم الرسول ﷺ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَامُوا فَقَالُوا: أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا؟ قَالَ: وَنَزَلَتْ: ﴿ص ۚ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾»[(١)]، [(٢)].

قال تعالى: ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ [ص: ٦].

الواو: بحسب ما قبلها، انطلق: فعل ماض. الملأ: فاعل والفاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره. منهم: من: حرف جر، والضمير مبني على الضم في محل جر بمن، والميم: علامة الجمع. أن امشوا: أن: تفسيرية، امشوا: فعل أمر مبني على ما يجزم به مضارعه وهو حذف النون، والواو: فاعل. واصبروا: الواو: حرف عطف، اصبروا: فعل أمر مبني على ما يجزم به مضارعه وهو حذف النون، والواو: فاعل[(٣)].

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه: (ح: ٣٢٣٢) وأحمد في المسند (ح: ٢٠٠٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ينظر: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (ص٢٩).

(٣) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٣/أ).

﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ [ص: ٦].

وانطلق الملأ منهم قائلين أن امشوا واصبروا على آلهتكم[١].

قال تعالى: ﴿أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ [ص: ٨].

لما: حرف نفي وجزم وقلب، يذوقوا: فعل مضارع مجزوم بلما وعلامة جزمه حذف النون، والواو: فاعل. عذاب: مفعول به منصوب وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم؛ منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة. عذاب: مضاف، وياء المتكلم مضاف إليه مبني على السكون في محل جر بالمضاف[٢].

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ [ص: ٢٣].

نعجة تمييز؛ لوقوعه بعد الأعداد[٣].

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [ص: ٧٩- ٨١].

هذا اعتراف من إبليس أن له ربا. ما معنى الرب الذي قال فيه إبليس: رب فأنظرني؟ معناه: المالك المعبود المتصرف. هذا معنى الرب، وهذا الذي يعرفه

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٧/ أ).

(٢) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٨/ أ).

(٣) ينظر: شرح الشيخ المقدمة الأجرومية: (١٣/ أ).

إبليس. رب فأنظرني. ما معنى أنظرني؟ اعتراف من إبليس أن الله هو القادر على إنظاره. «إلى يوم يبعثون» اعتراف من إبليس أن الخليقة لابد وأن تبعث من قبورها، وتجازى؛ المسيء بإساءته والمحسن بإحسانه[1].

(١) ينظر: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (ص٣٧).

سورة الزمر

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣].أي: قائلين[(١)].

قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨].

﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين أرأيتم ما تدعون من دون الله من اللات والعزى ومناة التي اتخذتموها إلها تريدون أنها تجلب لكم نفعا، أو تدفع عنكم ضررا، أو تعتقدون أنها أسباب لإيصال النفع أو دفع الضرر، وكما سموها بهذه الأسماء سموها حتى بأسماء الإناث لما فيها من الليونة والرخاوة اللات، العزى، مناة، اللات اشتقوها من اسم الإله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان، مع أن مناة سميت مناة قالوا لكثرة ما يمنى؛ أي يهراق عندها من الدماء إلى غير ذلك مما هو معروف. ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ من هذه الأشياء من اللات والعزى ومناة، أو من هو فوقهم وأفضل منهم كالملائكة والأنبياء، أو الصالحين هؤلاء الذين تجعلونهم أسبابا ووسائط بينكم وبين الله؛ لإيجاد نفع، أو دفع ضر. ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ يعني: إذا أراد الله العبد بمرض، أو فقر، أو جدب، أو قحط، فهل هي تستطيع أن

(١) ينظر: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (ص٦٥).

تدفع هذا الضرر؟ تستطيع أن تأتي لك بالصحة؟ من جنس الحلقة المغناطيسية[1] التي يقال إنها وجدت فهل هي تستطيع؟ أبدا لا تستطيع وليس بها شيء. ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ بمرض، بفقر، ببلاء، بجدب، بقحط، هل ما تدعونه وتلتفتون إليه هل تستطيع دفع ذلك الضر وجلب الخير والنفع؟ أبدا لا تستطيع تعرفون هذا. ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ﴾ صحة، عافية، سعة رزق، أمن، هل تستطيع هذه الآلهة إمساك هذه الرحمة وبقاءها على أن لا تزول؟ إذا لما نزلت هذه الآية على الرسول وتلاها على المشركين لم يستطيعوا أن يجيبوا ثم قال: قل «حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون» معنى حسبي الله؛ أي كافيني الله؛ فالله هو الذي يكفيك من المرض، ومن البلاء، ومن الشر، وهو الذي يعطيك النفع، ويعطيك الصحة، والرزق، والعافية، فهو القادر على ذلك. ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢]. فالله إذا أعطانا صحة وعافية لا قدر لأحد على إزالتها إلا هو، وما يمسك من ذلك فلا قدرة لأحد على إيجادها وإيصالها إلى الناس بل الأمور بيد الله، فكيف مثل هذه تدعى وتسأل ويقال إنها من الأسباب الجالبة للنفع أو من الأسباب الدافعة للضرر؟ بل ذلك كله لله وحده. «قل حسبي الله»

---

(١) أسورة نحاسية لعلاج الروماتيزم، وقد قال الشيخ ابن باز: الأولى عدم استعمالها سدا لذريعة الشرك، ورغبة في توجه المسلم بقلبه إلى الله، وتعليقها يشبه ما تفعله الجاهلية في سابق الزمان، فهو إما من الأمور المحرمة الشركية، أو من وسائلها، وأقل ما يقال فيه: إنه من المشتبهات. ينظر الفتاوى المتعلقة بالطب وأحكام المرضى: (٢٠١).

معنى حسبي الله: بمعنى كافيني. ولهذا هذه الكلمة هي كلمة النبي ﷺ وكلمة إبراهيم الخليل عند الشدائد؛ فإن إبراهيم لما ألقي في النار لم يزد على قوله: «حسبنا الله ونعم الوكيل» والرسول ﷺ لما قيل له يوم أحد: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]؛ يعني كافينا الله ونعم الموكول إليه أمور عباده فهو الذي يدبرها، وهو المفوض إليه جميع كل شيء لا إلى ملك مقرب، ولا إلى نبي مرسل[(١)].

قال تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر: ٤٣- ٤٤].

الآية تدل على أنهم اتخذوا أولياء من دون الله يرجون بركتهم وشفاعتهم؛ لأجل قربهم من الله ودنوهم منه من أنهم أولياء صالحون أو أنبياء مرسلون أو ملائكة لله مطيعون، أو أشجار أو أحجار مطيعة لله ليست عاصية، هذا هو شرك المشركين بعينه كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٣- ٤] إلى آخر الآيات. كل هذا يدل على أن الإنسان يقطع العلائق من جميع الخلائق ويتصل بالله سبحانه وتعالى في طلب

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٥/أ).

المدد، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، وتطلب منه أن يشفع لك الرسول أو الملائكة أو غيرهم، أما أنك تطلبها من المخلوق فهذا لا يجوز بدليل هذه الآيات[(١)].

قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر: ٤٤].

الشفاعة ليست للرسول ﷺ بل لله وحده قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾ والرسول وغيره لا يشفع إلا بعد إذن الله له قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وأنهم لا يشفعون إلا لمن رضي الله قوله وعمله كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨][(٢)].

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾ [الزمر: ٤٤] فهي ملك لله، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا بإذنه، إلا لمن أذن الله له، فإذا أذن الله للشافع شفع، فأنت اسأل الله الشفاعة حتى يأذن لنبيه أن يشفع فيك لأنه أعطاه الشفاعة ونهاك أن تدعوه[(٣)].

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزُّمَر: ٥٣]، دلت الآية الكريمة على أن العبد إذا تاب ورجع إلى ربه فإن الله يتوب عليه ويقبل توبته. حتى المشرك إذا تاب وأسلم لله فالله يقبل توبته، فينبغي عليه أن يتوب عن ذنبه وألا يعود إليه ثانية

---

(١) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١٢/ أ).
(٢) **ينظر**: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (ص٨٥).
(٣) **ينظر**: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (ص٧٧).

وأن يفي بعهده مع الله ويتقيه فهو لا يعلم متى يأتيه الأجل وعندها لا ينفع الندم، والله أعلم(١).

قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤].

أي: ارجعوا إلى ربكم بالتوبة، والإنابة، والندم على ما حصل، والإقلاع عن الذنب، والعزم على أن لا يعود الإنسان إلى ما فعل من تلك الجريمة(٢).

﴿وَأَنِيبُوٓاْ﴾ أي: ارجعوا(٣).

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ يعني يا محمد ﴿وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ فعطف السابق على اللاحق(٤).

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: ما عظموا الله حق عظمته ولا عبدوه حق عبادته جل وعلا، إذ إنه قادر على كل شيء، إذ إنه القائم على كل شيء، كل

---

(١) ينظر: الفتاوى الخاصة: (١/ ١٨١).

(٢) ينظر: فتاوى نور على الدرب: الحلقة: ١٠٧، د/ ٢، ث/ ٤٠.

(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٣/أ).

(٤) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (١١/أ).

ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما [...][1] وتحت تصرفه وقهره، فإذا كانت هذه حالة الرب جل وعلا فكيف مع هذا نبطل عنه ما أثبته لنفسه ونثبته لما سواه، وكيف يعبد معه غيره، وأن يصرف ما هو حق لله -تعالى- لمخلوق ضعيف يذبح له وينذر ويطلب منه المدد؟[2].

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ أي: ما عظموه حق عظمته؛ فإنه القادر على كل شيء. ثم بين شيئا من عظمته ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ هذه المخلوقات العظيمة ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ هذه الأراضين بما فيها قبضته يوم القيامة. ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾، ثم قال بعد هذا ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

ما وجه مناسبة ختم الآية بقوله ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ مع قوله ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ بهذا تعرف أن من صرف شيئا من حق الله فإنه أشرك، وما قدره حق قدره، وأن من نفى عنه شيئا من الصفات لله -جل وعلا- فإن صفاته كلها صفات كمال، فإنه وصفه حقيقة بنقص وهو داخل في الشرك؛ لأن المشرك انتقص الله بصرف شيء من العبادة إلى غيره، وهذا الذي نفى الصفات انتقص الله بأن نفى عنه الكلام الذي هو صفة كمال، ونفى عنه أيضا السمع والبصر الذي هو صفة كمال، ونفى عنه أيضا استواءه على عرشه الذي هو صفة كمال،

---

(١) الصوت غير واضح.

(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٣٤/أ).

إلى غير ذلك فأصبح كأنه من المشركين قال ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ والله أعلم[1].

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٣٤/أ).

سورة غافر

قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

﴿ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ أي: أتباعه على دينه[(١)].

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾ يعني: عن دعائي، ﴿سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ يعني: صاغرين ذليلين حقيرين. فقد توعدهم سبحانه وتعالى إذا لم يدعوه أن يدخلهم جهنم صاغرين ذليلين حقيرين.

فالله يغضب إن تركت سؤاله ❁ وبني آدم حين يسأل يغضب[(٢)]

فأنت إذا سألت الآدمي فإنه يمل منك ويسأم منك ويغضب، أما الرب -سبحانه- فإنه يغضب إذا لم تسأله ولم تدعه تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦]؛ كل هذا يدل على مشروعية الدعاء، وكان عمر رضي الله عنه يقول: «إني والله لا أحمل هم الإجابة وإنما أحمل هم الدعاء، لعلمي أني إذا وفقت للدعاء

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب الصلاة من الروض المربع: (١٠/أ).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١/ب).

حصلت الإجابة»[1]،[2].

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ هذا دعاء ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ يعني: عن دعائي. فهو أولا أمر بقوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي﴾ ثم سمى الدعاء بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ أي: صاغرين ذليلين حقيرين؛ فهو عبادة[3].

﴿دَاخِرِينَ﴾ يعني: صاغرين ذليلين حقيرين[4].

---

(١) ينظر: الاقتضاء: (٢/ ٢٢٩)، وابن القيم في الداء والدواء: (ص ٢٩)، ولم يتم الوقوف عليه مسندا.

(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٠/ أ).

(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٦/ ب).

(٤) ينظر: شرح الشيخ لكتاب الشبهات: (٢/ أ).

سورة فصلت

قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

أي: السماوات والأرض قالتا أتينا طائعين(١).

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [فصلت:٢١]. هل لها لسان؟ وكذلك السماوات والأرض: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت:١١]. يعني السماوات والأرض، فهل لها لسان وشفتان؟ هذه في المخلوقات، مع أنه في حق الرب ما نقول له لسان، ونحن عندنا قاعدة نتمسك بها بأن هذه أمور لا نعرفها. نثبت لله ما أثبته لنفسه وما أثبته له أعلم الخلق، ننفي عن الله ما نفاه عن نفسه ما نفاه عنه أعلم الخلق به، نسكت حيث سكت القرآن والسنة(٢).

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

قال الحسن: هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب الخلق إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٣٢/ ب).
(٢) ينظر: الدروس والمحاضرات: (١/ ٢٠٤).

من دعوته، وعمل صالحا في إجابته، وقال: إنني من المسلمين، فهذا خليفة الله»[1]»[2].

فلا شيء أفضل من الدعوة إلى الله، وإلى تبصير الناس بشرعه ودينه.

فالداعية لابد أن يعرف ما يدعو إليه علماً وأدلة ذلك، ولابد أيضاً أن يتصف به، ثم يعالج هذا المريض مرتكب الجريمة والمعصية، يعالج بما يرى فيه المصلحة، وما يرى فيه إزالة هذا الداء الذي بهذا المريض. فربما لو قلت: في قلبك ضعف المحبة لله ورسوله، زاد عتوا ونفورا وعدم قبول، فإذا أخذته بالرفق: يا أخي هذا لا يجوز، أُحب لك الخير، والرسول يقول: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»[3]، ويعلم الله أني لا أحب لك إلا الخير، هذا لا يجوز، الشريعة تنهانا عن هذا، والأصلح والأوفق لك أن تعمل كذا وأن تترك كذا، لا خير فيه هذا يضر بالبدن يضر بالسمعة يضر بالعقيدة.

القرآن أرشد إلى مسألة الدعوة، فدعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم كلها تدل على استجلاب الناس بالرفق واللين والسهولة، كل نبي يقول: يا قومي يا قومي يا قومي، من باب الاستعطاف ومن باب اللين.

أخبر الله عن جميع الرسل من أولهم إلى آخرهم كيف يأمرون، وماذا

---

(١) **ينظر**: تفسير الطبري: (٢١/ ٤٦٩).

(٢) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٣/أ).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: (ح:١٣٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

ينبغي حينئذٍ، قال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد:٢٥]، ولم يقل إن الله غفور رحيم، فلابد من القوة عند من يستطيع القوة؛ إذا لم ينفع الرفق واللين.

فقوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ من جملتهم موسى وهارون الذَّين قال الله في حقهم: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه:٤٤]، ومن جملتهم محمد: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥]، وقال: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت:٤٦]، إذا نفع هذا طيب، فإذا لم ينفع ولم يؤثر في المدعوين، فقال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾؛ أي: بالدلائل الواضحات، ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ وهو العدل، ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾؛ لتنفيذ ذلك.

ويقول حسان:

دعا المصطفى دهراً بمكة لم يُجب ❁ وقد لان منه جانبٌ وخطابُ

فلما دعا والسيف صلْتٌ بكفه ❁ له أسلموا واستسلموا وأنابوا

لابد من قوة، ولهذا لماذا قال الرسول ﷺ: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ»[1]؟ يضربني ويأخذ مالي وأسمع

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: (ح:٤٨٢٥) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

وأطيع؟ على أي: أساس؟ هو لأجل أنه ينفذ الشرع، ولأجل أنه يحمي هذا الدين، ولأجل أنه -أيضًا- تأمن به السُبُل، وتقام به الحدود، وينتصر المظلوم وينقمع الظالم؛ هذا هو السبب، فما أمر المسلمين بالسمع والطاعة للسلطان إلا لما في ذلك من المصلحة.

فالسلطان أداة تنفيذ وأداة قوة لنشر هذا الدين، وقمع كل من يريد مخالفة هذا الدين، ولهذا قال: «**فَاسْمَعْ وَأَطِعْ**»؛ يعني: أنه «**لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ**»[1]، ونهى عن الظهور على السلطان قال: «**إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»[2]، فلو فرضنا أن السلطان عنده معصية عنده شيء فالسمع والطاعة واجب؛ لأن بالخروج عليه بذلك ينحل نظام الجماعة وتُسفك الدماء وتُنهب الأموال وتُنتهك الأعراض، فهو الذي تقوم به الدعوة ويقوم به الدين[3].

قال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فُصِّلَت:٣٤].

قيل للإمام العلامة ابن عقيل كما في الفنون: أسمع وصية الله ﷻ يقول: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فُصِّلَت:٣٤]. وأسمع الناس يعدون من يظهر خلاف ما يبطن منافقا فكيف لي

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: (ح:٣٨١) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: (ح: ٧٠٥٥) ومسلم في صحيحه: (ح: ١٧٠٩) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٣) **ينظر**: الدروس والمحاضرات: (١/ ٢٤).

بطاعة الله والتخلص من النفاق. فقال: النفاق هو إظهار الجميل وإبطان القبيح، وإضمار الشر وإظهار الخير لإيقاع الشر، والذي تضمنته الآية إظهار الحسن في مقابلة القبيح لاستدعاء الحسن.

قال في الآداب: فخرج من هذه الجملة أن النفاق إبطان الشر وإظهار الحسن لإيقاع الشر المضمر، ومن أظهر الجميل والحسن في مقابلة القبيح ليزول الشر فليس بمنافق، لكنه يستصلح، ألا تسمع إلى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]. فهذا اكتساب استمالة، ودفع عداوة، وإطفاء لنيران الحقائد، واستنماء الود وإصلاح العقائد، فهذا طلب المودات واكتساب الرجال[١].

قال تعالى: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ [فصلت: ٤٣].

ما: نافية، يقال: فعل مضارع مبني للمجهول. لك: اللام حرف جر، والكاف: ضمير متصل مبني على الفتح في محل جر باللام. إلا ما قد قيل: إلا أداة استثناء، ما: اسم موصول مبني على السكن محله الرفع؛ على نائب فاعل. قد: حرف تحقيق. قيل: فعل ماض[٢].

قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [فصلت: ٥٠].

---

(١) ينظر: الفتاوى الخاصة: (٣/ ٣٩٣).

(٢) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٩/ أ).

﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ يعني: أنا محقوق به. الله أنعم على عبد نعمة، قال: هذا بعملي هذا لي؛ يعني بعملي، وأنا جدير به؛ أو تقول هذا بفضل ذكائي وبفضل معرفتي بوجوه المكاسب[1].

المعنى: هو أن الإنسان متى أنعم الله عليه بنعمة من النعم، جحد المنعم ونسب ذلك إلى نفسه، ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ يزعم أنه مستحق لها وأنه جدير بها[2].

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٧/ ب).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٩/ ب).

سورة الشورى

قال تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ نفي مجمل، وقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ إثبات مفصل.

وقد قال المحققون: إن الله بعث رسله بنفي مجمل، وإثبات مفصل. فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فهذا نفي مجمل، وقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ إثبات مفصل، فطريق إثبات الصفات لله كلها جاءت على طريق التفصيل(١).

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ هذا مجمل، نفى أن يكون لله شبيه في أسمائه وصفاته، أو شبيه في ذاته وأفعاله وهذه الآية مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، وقوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، وكقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ٣- ٤] هذا نفي مجمل ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، ومثله قوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] كل هذا نفي مجمل، أما طريقة الإثبات فهي جاءت على طريقة التفصيل من أن الله سميع بصير، غفور رحيم، يغضب، ويرضى، ويحب، ويسمع، ويتكلم، وينادي إلى غير ذلك(٢).

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٣/ ب).

(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٣/ ب).

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ نفت المشابهة؛ مشابهته لخلقه[1].

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ كان: فعل الشرط. نزد له: هذا جواب الشرط، فصار الأول ماضيا، والمضارع جوابه[2].

من: اسم شرط يجزم فعلين الأول: فعل الشرط، والثاني: جوابه وجزاؤه. كان: فعل ماض مبني على الفتح محله جزم على أنه فعل الشرط. يريد: فعل مضارع مرفوع؛ لتجرده عن الناصب والجازم وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره. حرث الآخرة: حرث: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، حرث: مضاف، والآخرة: [....] في حرثه: جار ومجرور، في: حرف جر، وحرث: اسم مجرور وعلامة جره الكسرة، حرث: مضاف، والضمير: مضاف إليه مبني على الكسر في محل جر بالمضاف[3].

قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ﴾ [الشورى: ٤٥]. يعني بطرف خفي[4].

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤٦].

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٧/ أ).

(٢) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٨/ ب).

(٣) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٨/ ب).

(٤) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٢/ أ).

الواو: عاطفة. ما: نافية. كان: فعل ماض مبني على الفتح. لهم: جار ومجرور، اللام: حرف جر، والهاء: ضمير متصل مبني على الضم في محل جر باللام، والميم: علامة الجمع. من أولياء: جار ومجرور، من: حرف جر، أولياء: اسم مجرور بمن وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه اسم لا ينصرف، والمانع له من الصرف علة واحدة تقوم مقام علتين وهي: ألف التأنيث الممدودة[1].

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

الهداية تنقسم إلى قسمين: هداية إرشاد وبيان؛ هذه لا بأس بها وهي ثابتة للنبي ﷺ ولغيره من الدعاة إلى الله، فأنت إذا دعوت المسلم، أو دعوت غيره وأرشدته لما خلق له، فقد أبنت له الطريق وأرشدته إلى ما فيه صلاح دينه ودنياه؛ فتكون قد هديته؛ بمعنى أرشدته ودللته على الطريق؛ وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: إنك ترشد وتبين وتوضح الطريق إلى الصراط المستقيم؛ هذه ثابتة للنبي ﷺ ولغيره. أما القسم الثاني من الهداية: فهي لله وحده، وهي التي نفاها عن الرسول ﷺ في قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] وهي هداية القلوب؛ فإن هداية القلوب وتفريج

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٦/ أ).

الكروب لا تثبت إلا لله وحده، فالرسول وغيره لا يستطيعون هداية الناس؛ بمعنى هداية التوجيه وهداية القلوب وردها إلى الله ﷻ؛ فهذه بيد الله وحده، وهي منفية عن النبي ﷺ وعن غيره[1].

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢- ٥٣].

أي: أنك ترشد، وتبين، وتوضح الطريق إلى الصراط المستقيم[2].

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١٣/ ب).

(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١٣/ أ).

سورة الزخرف

قال تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨].

أومن ينشأ في الحلية؛ يعني النساء يستعملن الحلي تكميلا لجمالهن، وهن في الخصومة لا يستطعن الإبانة. المرأة لا تستطيع من الفصاحة والبلاغة مثل ما يستطيع الرجل. فكيف تساوى المرأة بالرجل؟ هذا هو المعنى[(١)].

﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ﴾ وهي المرأة تُنشأ؛ بمعنى تستعمل الحلية التي هي الذهب والفضة والجواهر والزمرد وما أشبه ذلك. وهي في الخصام غير مبين؛ لم يكن عندها من القدرة مثل ما عند الرجل من الفصاحة والبلاغة وتأدية....[(٢)] به نفسه بلسانه. ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ﴾ مما يدل على أنه لا بأس أن تستعملها ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ غير مستطيعة أن تبين وتفصح عما في نفسها[(٣)] مهما كانت حالة المرأة بخلاف الرجل[(٤)].

قال تعالى ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩] معترفون بأن الله هو الذي خلق الأرض ومن فيها، وخلق السموات ومن فيها، وأن الذي خلقها هو العزيز العليم، ومع هذا لم

---

(١) ينظر: الفتاوى والدروس: (٨٤٨).

(٢) الصوت غير واضح.

(٣) هذا الكلام ليس على إطلاقه؛ فهناك من تستطيع الإفصاح عن حجتها.

(٤) ينظر: شرح الشيخ لكتاب الزكاة: (٤/ب).

يصرفوا العبادة للعزيز العليم، بل جعلوا للعزيز العليم شريكا يرفع حوائجهم إلى العزيز العليم، يرجون خيره ويرجون بركته، ويقولون إنه واسطة بيننا وبين الله، فاعترافهم بأن الله هو الذي خلق السموات والأرض لا يدخلهم في الإسلام حتى ولو كانوا يدعون الله ليلا ونهارا، ما دام أنهم لم يصرفوا العبادة لله، وأنهم جعلوا بينه وبين الله وسائط، سواء كان ذلك الواسطة نبيا أو ملكا أو وليا أو جنيا أو شجرا أو صالحا، أو حجرا أو غير ذلك مهما كانت الحالة، فهم بهذا مشركون تستحل دماؤهم وأموالهم كما فعل رسول الله ﷺ مع مشركي العرب والله أعلم(١).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦].

إذ: ظرف مبني على السكن محله النصب على الظرفية قال: فعل ماض. إبراهيم: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، لأبيه: جار ومجرور، اللام: حرف جر، وأبي: اسم مجرور وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة، أبي: مضاف، والهاء: ضمير مضاف إليه مبني على الكسر محله جر بالمضاف. وقومه: معطوف على أبيه والمعطوف على مجرور مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، قوم: مضاف، والهاء: ضمير مضاف إليه مبني على الكسر محله جر بالمضاف).(٢)

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (ص٢٠).

(٢) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٥/ ب).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٧].

معنى الآية والله أعلم: هو أن الله يقول حاكيا عن إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ أي: أن إبراهيم تبرأ من جميع المعبودين، واستثنى من المعبودين ربه سبحانه؛ لأنه هو الذي فطره وأوجده فقوله: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ تضمنت معنى كلمة الإخلاص «لا إله إلا لله» فقوله: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ هذا فيه نفي وهو لا إله، ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ فيه الإثبات وهو إلا الله؛ أي: أنه يتبرأ من المعبودين كلهم ما عدا الله سبحانه وتعالى؛ فهو إلهه ومعبوده، وهذه الكلمة هي مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، ثم هذه الكلمة -أيضا- هي دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم كلهم على هذا المنوال، يتبرؤون من جميع ما يعبد من دون الله، ويستثنون من المعبودين ربهم الذي فطرهم وأوجدهم، قال تعالى حكاية عن إبراهيم: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤٨]، فالآية تدل على أنه اعتزلهم واعتزل معبوديهم من دون الله ودعا ربه وأفرده بالدعاء، -الدعاء معلوم أنه مخ العبادة- هذه دعوة إبراهيم، إمام الحنفاء ووالد الأنبياء، وخليل الرحمن عليه السلام وقال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ يسأل الله بأن تبقى هذه الكلمة باقية في ذريته، ولاشك أن التوحيد باق في ذريته، وإن كفر من كفر من مشركي العرب وغيرهم ممن كفر قبلهم وبعدهم. وكما في وقتنا هذا وقبله، ممن

يعبد القبور يذبحون لها، وينذرون، ويسألونها، تفريج الكربات وإغاثة اللهفات، هذا في الحقيقة جعلوهم معبودين لهم من دون الله. شاؤوا أم أبوا وإن زعموا أنهم وسائط بينهم وبين الله، فالحقيقة أنهم صرفوا لهم ما هو حق لله ﷻ، فلم يتبرؤوا من المعبودين من دون الله، بل صرفوا لهم شيئا من حق الله ﷻ، وليس المراد في قوله: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾. يعني أن المراد هو الذي خلقني وأوجدني، وأعترف بوجوده، وأن له كمال الرزق والإحياء والإماتة؛ هذا شيء أقرت به جميع بني آدم لم ينكره منهم منكر، إلا من شذ؛ وإنما المراد هو إفراد الله بالعبادة؛ هذا هو المعنى[1].

فالتوحيد: هو إفراد الله بالعبادة، وهو معنى كلمة الإخلاص لا إله إلا الله؛ فإن لا نافية للجنس، فقد نفت جنس الإله أن يكون أحد منهم يستحق التأله بحق، أو يصرف شيء من العبادات له، ثم أثبت بقوله إلا الله العبادة لله وحده لا شريك له في ألوهيته، كما أنه ليس له شريك في ربوبيته، وهذا هو معنى قول الخليل عليه السلام ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ فاستثنى من المعبودين ربه وتبرأ منهم[2].

قال تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧]. "ليقض" اللام هنا لام الدعاء[3].

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٤/ ب).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (٢٧).
(٣) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٨/ أ).

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٨٤]، وهو أنه حكيم بأفعاله عليم بما عليه خلقه، وهو الذي يُعبَد في السماء ويُعبَد في الأرض، وليس المراد أنه حالٌّ بذاته في الأرض.

سورة الجاثية

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤].

﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ هذا هو قول مشركي العرب، فإن مشركي العرب يرون أن هذا العالم لا ابتداء له ولا نهاية له؛ وهذا هو رأي بعض الفلاسفة، وممن رأى هذا الرأي: ابن سينا المشهور؛ فهو يرى قدم العالم، ويرى أن هذه الأجسام لا تعاد؛ فمعنى قدم العالم يعني: أن هذا العالم لا مبدأ له، بل هو قديم وليس له أول فينكر ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ﴾ [الحديد: ٣] وينكر «كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء»[(١)]، وينكر ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [غافر: ٦٧]؛ لأنه يرى قدم هذا العالم، وأن هذا العالم ليس محدثا ومن أجل هذا كفره العلماء -كفروا ابن سينا-.

﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ أي: كلما ذهب أقوام خلفهم آخرون إلى ما لا نهاية له، رد عليه سبحانه بقوله: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ من الله ولا من رسله ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ قولا غير متيقن؛ مجرد ظنون[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (ح: ٣١٩١) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٧/ ب).

سورة الأحقاف

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ [الأحقاف: ٥-٦].

ما معنى الآية؟ معناها أولا على طريقة الإجمال، قوله: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ ﴾ أي: لا أحد أضل؛ فإن الضلال أنواع كثيرة، هذا ضل في كذا وهذا ضل في كذا، ولكن أعظم الضلال وأشده وأكبره هو ما دلت عليه الآية ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ ﴾ يعني: لا أحد أضل، بل هو أعلى وأرقى ضلالا من غيره قوله: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ ﴾ يأتي إلى هذا القبر فيقول: أغثني أغثني، اكشف الشدة عني، أنا في حسبك، أنا في جوارك، وما أشبه ذلك. ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ ميت رميم، بل هو محتاج إليك أنت الذي تدعو له، عكست القضية فجعلت تدعوه وتسأله! ونبيك أمرك أن تدعو له؛ لأنك أنت الذي تشفع فيه بدعائك بأن تقول «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَلَاحِقُونَ، أَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ**»(١)، هؤلاء عكسوا القضية واستبدلوا هذا بطلبهم المدد والغوث من هذا الميت الرميم الذي لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا، فضلا عن أن ينفع أو يضر من دعاه. ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ هذه الآية من جنس الآية

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: (ح: ٩٧٥) من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه.

الأخرى في سورة الأعراف وفي سورة فاطر وفي غيرها من سور القرآن كثير.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣- ١٤] ومثل آية الأعراف ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١- ١٩٢] فآية الأحقاف هذه ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أبطلت ما يتعلق به عباد القبور من أربعة أوجه أولا: قوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ﴾ يعني: أن هذا الميت لا يستجيب دعاء من دعاه، فإذا كان لا يستطيع أن يجيبك فكيف تدعوه وتجعله شريكا لله وتصرف له ما هو حق لله وحده؟ الوجه الثاني: قوله: ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ فهو غافل عنك لا يعلم بدعائك، بل هو رميم ولا يدري عنك ووقوفك عند قبره، وطلبك المدد منه، لا يعلم عنك ولا علم له بك. الوجه الثالث: قوله: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً﴾ فهذا الذي أنت تدعوه يتبرأ منك يوم القيامة، وهو عدوك؛ لأنك جعلته شريكا لله فيتبرأ منك. الوجه الرابع: قوله: ﴿وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ بل هو يكفر بعبادتك ويقول يوم القيامة يا ربنا ما شهدنا بعبادتهم إيانا[(١)].

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٩/ ب).

نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٥].

الدليل على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ فقوله: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ﴾ معلوم أن الفصال؛ يعني الفطام سنتان كما قال تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، فإذا أرضعته حولين يبقى ستة أشهر وهي مدة الحمل كما قال الله: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾[1].

(١) ينظر: فتاوى نور على الدرب: (٧).

سورة محمد

قال تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [محمد: ٤].

الفاء: حسب ما قبلها، إما: حرف شرط وتفصيل. منا: مصدر منصوب على المصدرية. بعد: ظرف مبني على الضم محله النصب على الظرفية. الواو: عاطفة، إما: معطوفة على إما السابقة، وهي حرف شرط وتفصيل. فداء: مصدر[1].

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١].

إن أساس الروح العسكرية كما يقولون أمران: الطاعة والنظام، وقد جمع الله هذا الأساس في آيتين من كتابه؛ فأما الطاعة ففي قوله: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ وأما النظام ففي سورة الصف في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤][2].

---

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرح المقدمة الأجرومية: (١١/ ب).

(٢) ينظر: الدعوة إلى الجهاد في الكتاب والسنة: (٢٤).

سورة الفتح

قال تعالى: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۖ﴾ الآية [الفتح: ٦].

حسن الظن بالله واجب من واجبات التوحيد، فلا يجوز لك أن تسيء الظن بالله، بل أحسن الظن بالله؛ فإن الله بعباده غفور رحيم ودود، يغفر الذنوب ويستر العيوب، وهو الرزاق ذو القوة المتين، ولكن ليس معنى هذا أنك تغلب جانب الرجاء بأن ترتكب المعاصي وتترك المأمورات بناء على حسن الظن بالله، وبناء على أن الله غفور رحيم، بل تذكر أن الله قال: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩- ٥٠]، فجمع بين الترغيب والترهيب، فلا تأمن من مكر الله، بل ابتعد عن كل ما يغضبه ويؤسفه[١].

قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢاۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا﴾ [الفتح: ١١].

شغل: فعل ماض مبني على الفتح، والتاء: للتأنيث، ونا: ضمير مبني على السكن محله نصب على المفعولية. أموالنا: أموال: فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة على آخره وهو مضاف، ونا: مضاف إليه مبني على السكون محله جر بالمضاف.

---

(١) الأسف: شدة الغضب، كما في قوله -تعالى-: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥].

وأهلونا: الواو: عاطفة، وأهلون: معطوفة على أموال والمعطوف على مرفوع مرفوع وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضم؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم وهو مضاف، ونا: مضاف إليه مبني على السكون محله جر بالمضاف(١).

قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الفتح: ١٥].

يريدون: فعل مضارع مرفوع؛ لتجرده عن الناصب والجازم وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو: فاعل. أن يبدلوا: أن: حرف مصدري ونصب، يبدلوا: فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو: فاعل. كلام الله: كلام مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، كلام مضاف ولفظ الجلالة: مضاف إليه مجرور بالمضاف وعلامة جره كسر الهاء تأدبا.

قل: فعل أمر مبني على السكون، والفاعل: ضمير مستتر وجوبا تقديره أنت. لن: حرف نفي ونصب واستقبال. تتبعونا: تتبعوا: فعل مضارع منصوب بلن وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو: فاعل، ونا: ضمير متصل مبني على السكون محله النصب على المفعولية(٢).

---

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٣/ ب).
(٢) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٥/ أ).

قال تعالى: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الفتح: ١٦].

السين: للتنفيس، تدعون: فعل مضارع مرفوع؛ لتجرده عن الناصب والجازم وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو: نائب فاعل مبني على السكون في محل رفع، إلى قوم: جار ومجرور، إلى: حرف جر، قوم: اسم مجرور بـ «إلى» وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره. أولى: نعت لقوم ونعت المجرور مجرور وعلامة جره الياء المكسور ما قبلها المفتوح ما بعدها نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، أولي: مضاف، وبأس مضاف إليه مجرور بالمضاف وعلامة جره الكسرة الظاهرة(١).

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧].

ما قال محلقين بعض رؤوسكم ومقصرين البعض، بل لابد من الحلق كله فجعل التقصير مقابلا للحلق ومثيلا له؛ مما يدل على أنه لابد من التعميم؛ فالتعميم يدل على أنه يعم الرأس كله أو يقصر جميع الشعر(٢).

---

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٩/أ).

(٢) ينظر: كتاب الفتاوى والدروس: (٦٥٠).

سورة الحجرات

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ أي: تثبتوا.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ فلا فرق بين العربي، والهندي، والجاوي، والتكروني، ولم يقل: إنما العرب إخوة قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[١].

إنما: أداة حصر، المؤمنون: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الواو؛ لأنه جمع مذكر سالم. إخوة: خبر مرفوع بالضمة الظاهرة على آخره[٢].

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

عسى: فعل ماض من أفعال الترجي. أن يكونوا: أن: حرف مصدري ونصب، يكونوا: فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو: اسمها. يعني: عسى أن يكون المسخور بهم من المؤمنين خيرا منهم.

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١٠/ ب).
(٢) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٣/ ب).

ولا: الواو: عاطفة، لا: ناهية. تنابزوا: فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة. بالألقاب: الباء: حرف جر، الألقاب: اسم مجرور بالباء[1].

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

كما قال عتاب بن أسيد حين دخل النبي ﷺ فاتحا، لما رأى بلالا يؤذن على سطح الكعبة قال: الحمد لله الذي أمات أسيدا قبل أن يرى هذا الغراب الأسود على أبواب هذا البيت. - الغراب الأسود هو بلال؛ لأنه عبد حبشي- ومع هذا يقول لأصحابه ومن جملتهم أبو سفيان، قال: أما أنا فلا أقول شيئا. فأنزل الله هذه الآية ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣][2].

يا: حرف نداء، أي: منادى مبني على الضم محله نصب بياء النداء، والهاء: للتنبيه. الناس: مرفوعة بالضمة في محل نصب نعت لأي، يصلح أن يكون بدلا ما فيه مانع؛ فالتوابع كلها متقاربة؛ لكن الذي جرى عليه الإعراب يجعلونه وصفا لأي؛ كل ما يكون بعد أي يقع وصفا. إنا خلقناكم: إنا: حرف توكيد ونصب تنصب الاسم وترفع الخبر، نا: ضمير متصل مبني على السكون في محل نصب اسم إن. خلق: فعل ماض، ونا: فاعل، والكاف: ضمير متصل

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٥/أ).

(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٤/ب).

مبني على الضم في محل نصب مفعول به، والميم: علامة الجمع، والجملة خبر إن. من: حرف جر. ذكر: اسم مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخرة.

وأنثى: معطوف على ذكر والمعطوف على مجرور مجرور وعلامة جره الفتحة المقدرة على الألف نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف، المانع له من الصرف علة واحدة تقوم مقام علتين وهي ألف التأنيث المقصورة[(١)].

قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٤].

قالت: أصله (قَالَتْ) لكن كسرت التاء؛ لأجل التخلص من التقاء الساكنين، وكسرها هنا لا يخرجها عن كونها تاء التأنيث، بل هي تاء التأنيث[(٢)].

قال تعالى: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٦].

قال شيخ الإسلام بن تيمية[(٣)]: إن الآية تدل على عدم التلفظ بالنية؛ لأن الصلاة دين، والطواف دين؛ امتثالا لأمر الله وأمر رسوله، فإذا قلت نويت أن أصلي كأنك تعلم الله بأنك تصلي فكأن الله لا يعلم حتى تقول له نويت. وهذا

---

(١) **ينظر**: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٦/أ).

(٢) **ينظر**: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٢/ب).

(٣) **ينظر**: كلام الشيخ في مسألة النية في الطهارة والصلاة والصيام والحج وغير ذلك في مجموع الفتاوى: (٢٢/ ٢١٧).

معنى قوله: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1]. كل هذا يدل على أن التلفظ بها بدعة.

(١) ينظر: فتاوى نور على الدرب: (٥٩).

سورة الذاريات

قال تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ [الذاريات: ١].

أي: الرياح[١].

قال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧].

قال بعض المفسرين قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ الليل يبدأ من المغرب؛ فصلاة المغرب داخلة في الليل وصلاة بين العشاءين داخلة في مسمى قيام الليل وهي داخلة في هذه الآية: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾، قالوا: هي الصلاة بين العشاءين؛ وإن كان كثير من أهل العلم يقولون هي صلاة الليل، ومتعلقة بمسألة التهجد[٢].

قال تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١].

العقيم: التي لا ماء فيها، أي: لا مطر فيها[٣].

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

اللام هنا للتعليل لكن لا يلزم أنهم يعبدونه، بل ذكر الأول يعني الرب، ذكر الأول وهو خلقهم وإيجادهم لا ليفعل بهم كلهم، الثاني: وهي العبادة بل ليفعلوا هم الثاني[٤]. مثل قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤]

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٨/ أ).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب الصلاة: (٢/ أ).
(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٩٧/ ب).
(٤) ذكر الله أولا: أنه خلقهم وأوجدهم، ثم ذكر بعدها: سبب خلقهم وهو عبادته.

فهل كل رسول يطاع؟ بكل حال، منهم من يطاع ومنهم من يعصى. فاللام هنا لم تكن للعاقبة لو جعلناها للعاقبة كانت العاقبة العبادة بكل حال؛ يعني تكون هي العاقبة لكل حال، وهذا غلط إنما هي للتعليل لكن صدور العبادة منهم قد تصدر وقد لا تصدر؛ لأن العبادة خلقهم الله لأجلها، ففعل الأول وهو خلقهم ليفعلوا هم الثاني؛ وهي العبادة لا ليفعل بهم كلهم الثاني[1].

في الآية والآيتين بعدها: يخبر الله أنه لم يخلق الجن والإنس عبثا، ولا ليتركهم سدى مهملين لا مأمورين ولا منهيين ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] أتظن أن الله خلقك عبثا ولهوا ولعبا وأنك غير راجع إليه؟ لا، بل خلقك لعبادته، وأمرك بتوحيده وطاعته، وأخبر بأنك سترجع إليه، وأنه سيجازيك بعملك إن خيرا فخير وإن شرا فشر[2].

وبين سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة الحكمة من خلق الجن والإنس؛ وهي أن يعبدوا الله وحده لا شريك له[3].

---

(١) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب الصلاة: (٢/أ).

(٢) **ينظر**: الفتاوى والدروس: (٦٤).

(٣) **ينظر**: دعوة المرسلين: (٢٤).

سورة الطور

قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ [الطور: ٣٥].

يعني هل خلقنا من غير خالق؟ أم نحن الذين خلقنا أنفسنا؟ لم يكن شيء من ذلك؛ إذ يتعين أن لهذا الخلق خالقا خلقهم وموجدا أوجدهم[١].

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٨/أ).

سورة النجم

قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩- ٢٣].

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ يعني: أضرت أم نفعت؟ أما اللات فهي صخرة بني عليها بيت وعليها أشجار، وكانت بالطائف تعبدها ثقيف، ومن كان بقربها من قبائل العرب؛ يذبحون لها؛ وينذرون لها؛ ويرجون نفعها؛ ويرجون أنها تدفع الضر عنهم ظنا منهم أنها تجلب النفع، أو تدفع الضرر؛ وما هي إلا صخرة وأي: نفع عند تلك الصخرة؟ لكن سلب الله عقولهم، ومعنى اللات قيل: سميت اللات وهي مشتقة من اسم الإله كما قاله الأعمش، سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز. والقول الآخر: أن رجلا كان يلت السويق للحجاج وهو عند تلك الصخرة فإذا مروا به أطعمهم سويقا، ثم لما مات أسفوا عليه وتذكروا ما كان عليه من الخير، فعظموا تلك الصخرة التي كان يلت السويق عليها، وبنوا عليها البناية، ووضعوا عليها الأشجار، فكانوا يعبدونها من دون الله، هذه هي اللات. ولما جاء وفد ثقيف إلى رسول الله ﷺ ليسلموا اشترط عليهم الصلوات، واشترط عليهم هدم اللات فأبوا فكف يده ثم وافقوا وخاصة على هدم اللات، وطلبوا منه أن يمهلهم شهرا فقال: ولا ساعة واحدة، مما يدل على أن أمكنة الشرك إذا قدر عليها لا يجوز

إقرارها ولا ساعة واحدة، وهم لم يطلبوا إلا مدة شهر، قالوا: مخافة أن تفتتن النساء والسفهاء والصبيان، نريد أن نهدئهم وأن نبين لهم، فقال رسول الله ﷺ «ولا ساعة واحدة» فعند ذلك بعث إليها المغيرة بن شعبة لهدمها، وكان المغيرة عنده شيء من المرح لما جاء لهدمها اجتمعوا لينظروا ماذا يُعمل بالمغيرة، ظنوا أنها تفتدي بنفسها، وأنها ستؤثر على المغيرة بحيث لا يستطيع هدمها، لما أخذ المعول فضربها اندفع على قفاه ففرحوا وضحكوا ظنوا أنها دفعته. ثم بادر فهدمها ولم يصبه شيء. فهذا يدل على أن أمكنة الكفر متى قدر عليها لا يجوز إبقاؤها ولا ساعة واحدة؛ كما فعل النبي ﷺ. الثاني قوله العزى: شجرة من سمر وقيل ثلاث سمرات يعلقون عليها الستور، ويتبركون بها، وكانت لقريش في مكة ومن التحق بهم من قبائل العرب، فلما فتح النبي ﷺ مكة أول شيء بدأ به أن بعث خالد بن الوليد لهدمها فذهب خالد فقطعها وهدم ما عليها، ثم رجع إلى الرسول ﷺ فأخبره، قال: «لم تصنع شيئا، ارجع فاهدمها، فرجع لما أقبل رأى امرأة ناشرة شعرها وهي تولول، والسدنة ذهبوا إلى الجبال، فشملها بالسيف فقتلها، ثم جاء فأخبر النبي ﷺ فقال: نعم تلك العزى ولا عزى بعد اليوم»[(١)].

فهي العزى. ومعنى العزى: اشتقوا هذا الاسم من العزيز تعظيما لها، كانوا ينذرون لها، ويذبحون عندها، ويتبركون بها، ويعلقون عليها، رجاء خيرها وبركاتها. والوثن الثالث هو: مناة، وكان بالمشلل عند هذيل فبعث إليه فهدمه. وسميت مناة؛ قالوا لكثرة ما يمنى عندها من الدماء أي: يهراق، وسموا المناة

(١) ينظر: أخبار مكة للأزرقي بتصرف: (١/ ٨٩).

من المنان وهي لبني هلال، وبني كنانة، والأوس، والخزرج يعبدونها ويذبحون لها وهذه الثلاثة هي أعظم الأوثان المعبودة إذ ذاك في الحجاز وهي التي ذكرها الله في هذه الآية: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ يعني أن هذه الثلاثة كلها أسماء إناث اللات والعزى ومناة ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ أي: جائرة عادلة عن الحق، يعني بعيدة عن الحق[1].

اشتقوا اللات من الإله، كما قاله الأعمش: سمو اللات من الإله والعزى من العزيز وأدخلوا فيه ما ليس منها[2].

كانت العزى لأهل مكة ولغيرهم من قبائل قريش ومن التحق بهم من قبائل العرب، والعزى شجرة سمر كانوا يعظمونها ويقولون إنها لها مكانة عند الله تنفعهم، وتضرهم، وتجلب الخير لهم، وتكشف الضرر عنهم، وقد بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد لقطعها لما فتح مكة، ذهب خالد وقطع الشجرة فجاء قال الرسول: هل رأيت شيئا؟ قال: لا، قال: ارجع؛ فإنك لم تصنع شيئا، فذهب فهدم البيت الذي بني، فخرجت منه امرأة ناشرة شعرها تولول، فاشتملها خالد بالسيف فقتلها، ثم رجع إلى الرسول قال: هل رأيت شيئا؟ قال: نعم رأيت امرأة ناشرة شعرها تولول فاشتملتها بالسيف وقتلتها، قال: تلك العزى ولا عزى بعد اليوم. كذلك مناة أيضا؛ هي لبني كنانة، وبني هلال، وغيرهم من قائل العرب. سميت مناة؛ لكثرة ما يمنى أي: يهراق عندها من الدماء، وكذلك اللات أيضا؛

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٦/أ).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٣٢/ب).

قيل: إنها صخرة بيضاء في الطائف، وقيل: إنه قبر رجل صالح كان يلت السويق للحجاج، مات فعكفوا على قبره، يعبدونه من دون الله، بعث النبي ﷺ إليه المغيرة بن شعبة فهدمه وأزاله، وهكذا كل قبائل العرب على هذا المنوال[1].

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ يعني أضرت أم نفعت ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ يعني جائرة[2].

قال الله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾؛ لأن العزى شجرة سمر كانت بوادي نخلة....[3] قرب مكة كانوا يلتجئون إليها، ويسألونها تفريج الكربات؛ لزعمهم أنها ترفع حوائجهم إلى الله؛ لزعمهم أن الأشجار مطيعة لله ليست عاصية ومع هذا كفرهم الله سبحانه وتعالى في القرآن وقاتلهم النبي ﷺ من أجل ألا يعبد إلا الله وحده لا شريك له[4].

قال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦].

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ﴾ هذه خبرية يعني تنبيها على أن الملائكة كثيرون ومع هذا لا يشفعون لأحد إلا بعد إذن الله لهم، وهم لا يغنون لأحد نفعا ولا ضرا وليس بأيديهم شيء يملكون به نفعا لأحد أو دفع الضر عن أحد إلا بإذن الله، ثم إن الله

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٣٢/ ب).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (١/ ب).
(٣) الصوت غير واضح.
(٤) ينظر: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (٢/ أ).

لا يأذن إلا لمن رضي الله قوله وعمله كما في الآية.

وكم خبرية والخبرية تجر الاسم بعدها، بخلاف كم الاستفهامية؛ فإنها تنصب ما بعدها على التمييز، وأما الخبرية فهي تجر[(١)].

﴿لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ دل على أن الشفاعة لا تحصل إلا بشرطين كما في هذه الآية وغيرها من الآيات. ما هما الشرطان؟ الشرط الأول: أن يأذن الرب ﷻ للشافع، الشرط الثاني: أن يرضى الله قول المشفوع له وعمله، فإذا كان الله قد رضي عن المشفوع له قولا وعملا، والشافع أيضا لا يشفع إلا بعد إذن الله له؛ إذًا حصلت الشفاعة[(٢)].

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١٢/أ).

(٢) المرجع السابق.

سورة القمر

قال تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

اقترب: فعل ماض والتاء: علامة التأنيث، والساعة: فاعل والفاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وانشق: فعل ماض، القمر: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة[١].

قال تعالى: ﴿وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ﴾ [القمر: ١٢].

عيونا تمييز. فجرنا: فعل وفاعل، الأرض: مفعول به منصوب. عيونا: تمييز؛ عيونا محول من المفعول؛ لأن المعنى وفجرنا عيون الأرض[٢].

فجر: فعل ماض مبني على الفتح، ونا: ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل، الأرض: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة. عيونا: تمييز منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة[٣].

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ﴾ [القمر: ١٩- ٢٠].

هذا في قصة هود لما أرسله الله إلى قومه جعل يقول لهم: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥]، ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ﴾ [هود: ٥٠- ٥١] إلى آخره.

---

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٨/ ب).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (١٣/ أ).
(٣) ينظر: إعراب أحد تلاميذ الشيخ: (١٣/ أ).

أبو ولم يقبلوا، بل قالوا ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ [هود: ٥٤] أي: بجنون، أنت مجنون، وأن ما نعبده من دون الله أصابك بجنون ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٣- ٥٦] لما عتوا وطغوا وتجبروا عند ذلك أرسل الله عليهم الريح فدمرت جميع ما مرت عليه من حروثهم، وزروعهم، وصاروا كأعجاز نخل خاوية كما دل عليه القرآن؛ بسبب عصيانهم لنبيهم، وعدم قبولهم ما جاء به رسولهم[(١)].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ [القمر: ٣٨].

ولقد: الواو: موطئه للقسم[(٢)]، اللام: موطئه للقسم، قد: حرف تحقيق مبني على السكون. صبحهم: صبح: فعل ماض مبني على الفتح. بكرة: ظرف زمان مبني على الفتح. عذاب: فاعل لصبح. مستقر: نعت لعذاب[(٣)].

قال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٤٢].

فأخذناهم: الفاء: حسب ما قبلها، أخذناهم: أخذنا: فعل ماض، ونا: ضمير متصل في محل رفع فاعل، والهاء: ضمير متصل في محل نصب مفعول

---

(١) ينظر: فتاوى نور على الدرب: الحلقة: ١٤٠، (د/ ٨، ث/ ١٠).

(٢) تعرب استئنافية أو عاطفة، أما قول صاحب الإعراب: أنها موطئة للقسم فلا يصح.

(٣) ينظر: إعراب أحد تلاميذ الشيخ في شرحه لمقدمة الآجرومية: (١٢/ ب).

به، والميم: علامة الجمع. أخذ: مصدر مبين للنوع، وأخذ: مضاف، عزيز: مضاف إليه، مقتدر: صفة لعزيز[١].

قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، ومعنى هذا: أنك تعتقد أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ما شاء الله وقوعه لابد أن يكون شاء الناس أم لا، وما لم يشأ وقوعه ولم يقدره لا يقع، شاء الناس أم لا[٢].

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (١٢/ب).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٣١٢/ب).

سورة الرحمن

قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣].

تكذبان: فعل مضارع وجاءت الألف والنون؛ تنقل إعرابه من الضمة الظاهرة إلى أن تكون علامة رفعه ثبوت النون والألف فاعل[(١)].

قال تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩].

مرج: فعل ماض فاعله مستتر جوازا. البحرين: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الياء المفتوح ما قبلها المكسور ما بعدها نيابة عن الفتحة؛ لأنه مثنى. يلتقيان: فعل مضارع، والألف فاعل والنون علامة الرفع[(٢)]،[(٣)].

قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦].

الواو: عاطفة، لمن: جار ومجرور، اللام: حرف جر، من: اسم موصول مبني على السكون محله جر باللام. خاف: فعل ماض. مقام: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة. مقام ربه: مقام: مضاف، وربه: مضاف إليه مجرور بالمضاف علامة جره الكسرة الظاهرة، رب: مضاف، والهاء: ضمير مبني على الكسر في محل جر بالمضاف. والفاعل مستتر جوازا تقديره هو. جنتان: مبتدأ، خبره: لمن خاف. مبتدأ مرفوع بالابتداء وعلامة رفعه الألف نيابة

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٣/ أ).

(٢) الباقي سقط من التسجيل.

(٣) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٥/ أ).

عن الضمة؛ لأنه مثنى والنون عوض عن التنوين[1].

قال تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن: ٥٠].

فيهما: جار ومجرور. في: حرف جر، والهاء: ضمير متصل مبني على الكسر محله الجر، والميم والألف: حرفان دالان على التثنية. عينان: مبتدأ مرفوع بالابتداء وعلامة رفعه الألف نيابة عن الضمة؛ لأنه مثنى والنون عوض عن التنوين. تجريان: فعل مضارع مرفوع؛ لتجرده عن الناصب والجازم وعلامة رفعه ثبوت النون والألف فاعل[2]. تجريان: فعل مضارع مرفوع؛ لتجرده من الناصب والجازم وعلامة رفعه ثبوت النون. والألف: فاعل. اهـ.[3]

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٤/أ).

(٢) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٤/أ).

(٣) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٣/أ).

سورة الواقعة

قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾ [الواقعة: ٧].

أي: وصرتم أزواجا ثلاثة والله أعلم[١].

قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤].

لما نزلت هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ قال «اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ»[٢].

قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٥- ٧٦].

أما معنى قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ اللام هنا ليست للنفي؛ هي للإثبات، وهي صلة، وهي تثبت القسم؛ والمعنى: أن الله أقسم بمواقع النجوم إنه لقرآن كريم. أقسم الرب ﷻ بمواقع النجوم وهي: طلوعها وغروبها، وهي آية من آيات الله؛ حيث يطلع هذا النجم من جهة ويغيب رقيبه من الجهة الأخرى؛ فإذا طلعت من جهة المشرق غاب رقيبه من جهة المغرب وبالعكس، وهي آية من آيات الله كما في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ أي: سريعا، ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (١٠/ أ).

(٢) أخرجه أبوداود في سننه: (ح: ٨٦٩)، وابن ماجه في سننه: (ح: ٨٨٧)، وأحمد في المسند (ح: ١٧٤١٤) من حديث عقبة ابن عامر رضي الله عنه.

فالرب هو الذي أوجد هذه النجوم وجعلها آية ودلالة على كمال قدرته، وعلى وحدانيته وربوبيته كغيرها من سائر المخلوقات لكن السؤال هنا: ما وجه العلاقة بين النجوم وبين القرآن، فالله جل وعلا أقسم بمواقع النجوم: إنه لقرآن كريم. هل هنا علاقة بين المقسم به وبين المقسم عليه أم لا؟ نقول نعم، هناك علاقة قوية بين النجوم وبين القرآن؛ لهذا أقسم الله بمواقع النجوم ما هي هذه العلاقة؟ وما هذا التشبيه؟ وما هي الحكمة في كون الله أقسم بمواقع النجوم على أن هذا القرآن قرآن كريم في كتاب مكنون؟ مما يشعر بأن هناك مشابهة أو علاقة بين المقسم عليه وهو القرآن وبين المقسم به وهي مواقع النجوم. ما هي تلك العلاقة؟ نقول نعم هناك علاقة. أولا: نعرف أن الله سبحانه وتعالى له القدرة الكاملة، وهو يقسم بما شاء من خلقه، أما أنت لا فلا يجوز لك أن تقسم بأي مخلوق؛ إنما تقسم بالله. أما الرب لا حجر عليه ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ [الذاريات: ١]، ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات: ١]، ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ [الشمس: ١]، ﴿وَالضُّحَى﴾ [الضحى: ١]، ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ [التين: ١]، ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ [الطارق: ١]، ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١]، ﴿وَالْفَجْرِ﴾ [الفجر: ١] إلى غير ذلك، فالله يقسم بما شاء من خلقه، وكذلك هنا قوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ اللام هنا صلة، لكنها تفيد التأكيد والإثبات بأن الله أقسم بمواقع النجوم على أن هذا القرآن كريم، وأنه في كتاب مكنون. قلنا العلاقة بين المقسم به وهي النجوم وبين المقسم عليه وهو القرآن: المشابهة. ما هي؟ هي أن النجوم آية من آيات الله، والقرآن كذلك، النجوم خلقها الله سبحانه وتعالى وجعلها دلالة وهداية للمسافرين في البر والبحر يعرفون بها جهة سيرهم وجهة قصدهم، والقرآن جعله الله هداية للقلوب من الجهل والغي،

فهذه هداية حسية وهي النجوم، وهذه هداية معنوية باطنية وهي القرآن، فالله جعله هداية للقلب، وهو أنه يدلك ويخرجك من الجهل ويخرجك من الغي إلى نور العلم وإلى الرشد. كما في قوله تعالى: ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ ﴾ يعني: بالقرآن ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴾ [المائدة: ١٦] أي: طرق السلام. فكما أن القرآن هداية للقلوب هداية باطنية؛ هداية له عن الغي؛ هداية للقلوب عن الجهل فكذلك النجوم هداية للمسافرين يعرفون بها جهة سيرهم وجهة قصدهم. ثانيا: النجوم جعلها الله رجوما للشياطين، القرآن جعله الله رجوما للكفرة والحائرين الجهلة فالله ﷻ يقول: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف: ٩]، فلا يأتي صاحب باطل إلا وفي القرآن ما يبطل حجته ويبين فسادها، كما أن الرسل أيضا جعل الله لهم أعداء، ولكن القرآن يؤيد الرسل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ﴾ [الأنعام: ١١٢- ١١٤] فلاحظ أن هؤلاء هم شياطين الجن والإنس أعداء للأنبياء، والله أنزل هذا القرآن رجما لهم، وردا لشبههم. لا يأتي صاحب باطل إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها، كما أن النجوم جعلها الله رجوما للشياطين. النجوم جعلها الله زينة للسماء وآية حسية، والقرآن زينة للقلوب وبهاء للقلوب وآية باطنية، بل وآية لمن تأمله وتدبره وعرف هدايته، آية عظيمة فصحاء العرب الذين يقولون: إنه سحر، إنه كهانه، إنه شعر، هم في قرارة

أنفسهم بما أعطوا من الفصاحة والبلاغة يعرفون أنه ليس بسحر، وليس بكهانة، وليس بشعر، وأنهم لا يستطيعون أن يأتوا ولا بآية بالكلية ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]، بل تحداهم في قوله: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣] فما استطاعوا أن يأتوا ولا بآية[(١)].

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾ [الواقعة: ٧٧].

﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾ معنى كريم يعني: عظيما؛ ومعنى الكريم هو بلوغ النهاية في الحسن والكمال، فإن الله -تعالى- سمى نفسه كريما، وعرشه أيضا سماه كريماً ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، وكذلك النبات إذا زان وازدهر سمي كريما ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٧] إلى غير ذلك[(٢)].

قال تعالى: ﴿ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الواقعة: ٧٨- ٨٠].

اختلف الناس في قوله: ﴿ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾ قيل: هو اللوح المحفوظ، وقيل: هو القرآن حينما كان في أيدي الملائكة ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٣- ١٦].

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢١/ ب).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢١/ ب).

قال تعالى ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ قيل: هم الملائكة؛ لأن القرآن يمسه المجوسي، ويمسه غير المجوسي.

قال تعالى ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فيه دليل على أن القرآن منزل غير مخلوق، وأن الله تكلم به -كما هو معروف في مذهب السلف- حقيقة، وأن هذا القرآن الموجود في مصاحفنا والمتلو بألسنتنا والمحفوظ في صدورنا، هو كلام الله حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف، بل هذا هو كلام الله، فلو قلت مثلا: هذا المسموع الذي نسمعه هل هو كلام الله؟ قلنا لك نعم، لو قلت ما الدليل على أن هذا الذي طرق أذني أنه كلام الله؟ قلنا لك: الدليل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٥]؛ دل على أن المسموع بآذاننا هو كلام الله. ثم لو انتقلت إلى سؤال آخر قلت: طيب هذا المتلو بألسنتنا هل هو كلام الله؟ قلنا لك: نعم، قلت: ما الدليل على أن هذا المتلو؟ قلنا لك: الدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ [فاطر: ٢٩]؛ فسمى هذا المتلو هو كتاب الله. قلت: طيب ما الدليل على أن المحفوظ في صدورنا هو كلام الله؟ قلنا لك: نعم المحفوظ في صدورنا هو كلام الله، ما الدليل؟ الدليل قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩] بل هو؛ أي القرآن، آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم؛ دل على أن هذا الذي في الصدر، والمتلو باللسان، والمسموع بالأذن هو كلام الله؛ بدليل هذه الآيات، وهذا هو مذهب

السلف وهو عقيدة أهل السنة والجماعة[1].

قال تعالى: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ [الواقعة: ٨١]. يعني: تخادعون وتظهرون خلاف ما تبطنون مثل قوله: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩][2].

قال تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢].

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ أي: وتجعلون شكركم وحظكم ونصيبكم من هذه الأمطار إلى أنكم تكذبون بذلك؛ بإضافتها إلى غير الله، هذا هو معنى الآية. وقيل: إن معناها وتجعلون رزقكم؛ أي: حظكم من القرآن ونصيبكم من القرآن بتكذيبكم له بما جاء فيه. لكن الآية تعم هذا وهذا؛ فالله سبحانه وتعالى إذا أنعم على عباده نعما لا يجوز لهم أن يضيفوها إلى غير الله؛ فالله هو المنعم فكيف تضيف النعمة إلى غيره؟[3].

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾: أي: شكركم وحظكم ونصيبكم من هذا القرآن أنكم تكذبون به، بأن تقولوا هو كهانة، أو هو سحر، أو هو شعر، وهذا حظكم من القرآن الذي هو تنزيل من رب العالمين. وقيل: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ أي: شكركم وحظكم ونصيبكم مما أنزل من الأمطار. لكن الآية عامة في هذا وهذا؛ فكل من أضاف نعمة من نعم الله إلى غير الله وهو يعرف أن الله هو المنعم المتفضل يكون مكذبا بها؛ لأنه أضافها إلى غير المنعم المتفضل، والله أعلم[4].

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢١/ ب).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢/ ب).
(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢١/ أ).
(٤) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢١/ ب).

قال تعالى: ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٤].

وأنتم حينئذ بلغت الروح الحلقوم تنظرون.

بلغت الروح الحلقوم: حذفت الجملة: الفعل، والفاعل، والمفعول، وعوض عنها التنوين، وأنتم حينئذ؛ لدلالة الكلام عليه[1].

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (١/ ب).

سورة الحديد

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أن تخشع: أن: حرف مصدري ونصب، تخشع: فعل مضارع منصوب بأن المصدرية، وأن وما دخلت عليه: في تأويل المصدر، في محل رفع على الفاعلية؛ فالمعنى ألم يأن للذين آمنوا خشوع قلوبهم[(١)].

يعني خشوع قلوبهم لذكر الله[(٢)].

فأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر، في محل رفع على الفاعلية[(٣)].

قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ أي: من قبل أن نخلقها ونوجدها[(٤)].

قال تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣].

---

(١) **ينظر**: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٨/ ب).
(٢) **ينظر**: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٧/ أ).
(٣) **ينظر**: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٩/ أ).
(٤) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٣٢/ أ).

كي: مصدرية، وتأسوا: فعل مضارع منصوب بكي المصدرية[1].

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الذين من جملتهم الرسول محمد، ومن جملتهم موسى وهارون، وغيرهم ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ولم يقل إن الله غفور رحيم؛ لأن المقام مقام قوة، فلابد من أطره على الحق أطرا، ولابد من الضرب على يده إذا لم تنفع فيه الموعظة ولم تنفع فيه الدعوة، لابد من إجباره ومنعه من تعاطي هذا الإجرام هذا هو معنى الآية: وهذا يكون عند السلطة[2].

(١) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٧/ ب).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٣/ أ).

سورة المجادلة

قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

فإن المرأة حينما شكت إلى النبي ﷺ تتيقن أن الله يسمع كلامها وهو أيضا[١].

قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ﴾ [المجادلة: ٢٢].

أي: يجب عليك أن تبغض أباك، وأن تبغض ابنك، وأن تبغض أخاك؛ إذا لم يكن على المنهج القويم، بل انحرف وترك الدين الإسلامي؛ لا خير فيه ولا في قرابته ولا في أبوته كما هو معلوم[٢].

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٢/ب).
(٢) ينظر: الفتاوى والدروس: (٨١٨).

سورة الحشر

قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦].

كمثل: جار ومجرور، الكاف: حرف تشبيه وجر، مثل: اسم مجرور بالكاف وعلامة جره الكسرة الظاهرة، مثل: مضاف، والشيطان: مضاف إليه مجرور بالمضاف وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره. إذ: ظرف مبني على السكون محله النصب على الظرفية. قال: فعل ماض. للإنسان: اللام حرف جر، والإنسان مجرور باللام وعلامة جره الكسرة الظاهرة. اكفر: فعل أمر مبني على السكون والفاعل مستتر وجوبا تقديره أنت. وفاعل قال: «هو» مستتر جوازا[1].

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه المقدمة الأجرومية: (٢/ أ).

سورة الممتحنة

قال تعالى: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

وهذه الملة هي التي أمر النبي باتباعها في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣][1].

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٧/أ).

سورة الصف

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠- ١٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ فتشوقت النفوس إلى هذه التجارة الرابحة الدال عليها رب العالمين الحكيم. فقال: ﴿تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ﴾ فكأن النفوس ضنت بحياتها وبقائها فقال: ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ يعني: أن الجهاد خير لكم من قعودكم، فقال: ﴿يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾ ومع المغفرة ﴿وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ فكأنها قالت: هذا في الآخرة، فما لنا في الدنيا؟ فقال: ﴿وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ فلله ما أحلى هذه الألفاظ! وما ألصقها بالقلوب! وما أعظمها جذبا لها! وتسييرا إلى ربها![(١)].

---

(١) ينظر: الدعوة إلى الجهاد في القرآن والسنة: (٩).

سورة الجمعة

قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الجمعة: ١].

في: حرف جر، السماوات: اسم مجرور بفي وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، والأرض: معطوفة على اسم مجرور والمعطوف على مجرور مجرور، الملك: نعت للجلالة، القدوس: نعت آخر، العزيز، كذلك الحكيم، كذلك ونعت المجرور مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره(١).

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ﴾ [الجمعة: ٢].

﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ أي: بشرا مثلهم من نسبتهم ومن صميم العرب يعرفون نسبه يعرفون أمانته يعرفون مدخله ومخرجه يعرفون صدقه في قوله ومعاملاته(٢).

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩].

والمراد بذكر الله هنا هي الخطبة(٣).

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

---

(١) **ينظر**: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (١٠/ب).
(٢) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١٦/أ).
(٣) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب الصلاة من الروض المربع: (٢٣/ب).

يعني: أتمت وأكملت[1].

فإذا أُتمت الصلاة وأُكملت، فليس المراد أن شيئا فاتك فتقضيه. وقال: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا﴾ [البقرة: ٢٠٠]، يعني: إذا أتممتم مناسككم فاذكروا الله. فالقضاء يطلق ويراد به الإتمام.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١].

في صحيح مسلم: حين جاءت عير من الشام انجفل الناس إليها حتى لم يبق مع رسول الله إلا نحو اثني عشر رجلا فصلى بهم وأنزل الله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[2]،[3].

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب الصلاة من الروض المربع: (١٨/ أ).

(٢) أخرجه في صحيحه (ح: ٨٦٣) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب الصلاة من الروض المربع: (٢٣/ أ).

سورة المنافقون

قال تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [المنافقون: ٦].

سواء: خبر مقدم، استغفرت: فعل وفاعل، لكنه في محل مبتدأ، يعني: سواء استغفارك لهم من عدمه[(١)].

قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

لما انصرف النبي ﷺ من تبوك قال عبد الله بن أبي بن سلول: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ يريد أنه هو الأعز والرسول ﷺ وأصحابه هم الأذلون على أنه سيخرجهم من المدينة فأنزل الله على رسوله: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾. دعا الرسول الولد عبد الله بن عبد الله بن أبي، قال: سمعت ما يقول أبوك. قال: ما يقول أبي يا رسول الله. قال: يقول: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ قال: الولد صدق أبي يا رسول الله أنت والله الأعز وهو الأذل أنت والله الأعز وهو الأذل[(٢)].

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٩/ ب).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٢/ أ).

قال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [المنافقون: ١٠]. يعني: هلا أخرتني إلى أجل قريب[١].

---

(١) ينظر: تعليق الشيخ على الروض بكتاب الطهارة: (١/ ب).

سورة التغابن

قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١].

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ﴾ أي: ما وقع عليك من واقعة وحصل عليك من مصيبة اعلم أنها بإذن الله؛ أي: بقضائه وتقديره[(١)].

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ مستسلما لقضاء الله، مستسلما لقدر الله، يهدي قلبه؛ لأن القلب هو المركز الأساسي للآدمي، فإن القلب هو الملك للأعضاء كما قال النبي ﷺ: «أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ»[(٢)]؛ لأن القلب إذا هدي وامتلأ إيمانا ظهرت آثاره على الجوارح، وظهر آثار الخير على الوجه واللسان والبصر واليد والرجل، كلها لا تعمل إلا بطاعة الله. ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ تأمل ختمه للآية في قوله: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ ولم يقل: والله على كل شيء قدير، ولا والله غفور رحيم؛ لأن المقام مقام علم؛ فالله يعلم ما في قلبك هل أنت راض ومسلِّم لما حصل لك من المصيبة؟ فالله يعلم، فيجازيك ويثيبك ويعوضك

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٤/أ).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: (ح: ٥٢) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

خيرا مما حصل عليك. فهل أنت جازع وساخط على ما قدر الله؟ فالله عالم بذلك؛ بما في قلبك وإن لم تظهر آثاره على جوارحك فيجازيك[1].

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٤/ أ).

سورة الطلاق

قال تعالى: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣].

المعنى: ومن يتوكل على الله: أي: يعتمد على الله ويفوض أمره إلى الله، فالله حسبه: أي: كافيه وواقيه وحافظه من أن يصل إليه كيد عدو، أو يصل إليه سوء من أي شخص. هذا معنى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾، ثم تأمل مسألة أخرى في هذا المقام ما هي؟ وهو أن الله سبحانه وتعالى رتب الجزاء في هذه الآية على نفس التوكل قال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ يعني: توكلت على الله فالله حسبك؛ أي: كافيك، بخلاف غير التوكل من الأعمال فإنه يجعل الجزاء من غير نفس العمل، من عمل كذا فله أجر كذا، مثلا: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦] والآية الأخرى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، فجعل الجزاء ليس من نفس العمل، بل أمر خارجي عن نفس العمل ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧] جعل جزاءه أن يحييه حياة طيبة، يكتسب فيها عملا صالحا. أما التوكل قال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ لم يجعل جزاء التوكل أمرا خارجيا عن معنى التوكل، بل أنت توكلت على الله فالله حسبك؛ أي: كافيك وواقيك، ولم يقل: ومن يتوكل على الله فله الأجر، أو له الثواب، أو فله الجنة، أو قال: ومن يتوكل على الله فلنحيينه

حياة طيبة، بل قال هو حسبه، فإذا كان الله حسبك؛ أي: كافيك وواقيك؛ حصل لك الحياة الطيبة، وحصل الخير كله، وامتنع الشر كله؛ ما دام أن الله هو الذي يقيك ويحفظك. فليس مقابل التوكل جزاء معين خارج عن موضوع التوكل، بل الذي توكلت عليه هو الذي يكفيك ويؤيدك ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾. أي: فهو كافيه[(١)].

ثم أيضا التوكل مع تأخره عن الأسباب لا شك أنه عجز فأنت مأمور بالتوكل والاعتماد على الله، ومأمور بتعاطي الأسباب التي بها يحصل التوكل؛ فالله ﷻ خلق هذا العالم بحكمة عظيمة وإرادة كاملة وصرف الأمور، وخلق الأسباب، وربط الأسباب بمسبباتها، ورتب عليها الجزاء، فمتى قلت أنا متوكل على الله مع عدم تعاطي الأسباب هذا عجز؛ ليس هذا بتوكل، بل اعقل ناقتك وتوكل على الله في حفظها[(٢)].

قال تعالى: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣].

من: اسم شرط جازم. يتوكل: فعل مضارع مجزوم على أنه فعل الشرط وعلامة جزمه السكون. على الله: جار ومجرور، على: حرف جر، والاسم الشريف: مجرور بعلى وعلامة جره كسر الهاء تأدبا. فهو حسبه: الفاء: رابطة، هو: ضمير منفصل مبني على الفتح محله رفع على الابتداء. حسب: خبر مبتدأ،

---

(١) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٦/ أ).

(٢) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٣/ أ).

حسب: مضاف، والهاء: مضاف إليه مبني على الضم محله جر بالمضاف[(١)].

قال تعالى: ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ﴾ [الطلاق: ٦].

الواو: عاطفة. إن: حرف شرط يجزم فعلين. كن: فعل ماض، والنون: ضمير متصل مبني على الفتح محله رفع اسم كان. أولات: خبر كان منصوب وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم. أولات: مضاف. وحمل: مضاف إليه مجرور بالمضاف وعلامة جره الكسرة. فأنفقوا عليهن: الفاء: رابطة. أنفقوا: فعل أمر واقع في جواب الشرط مبني على ما يجزم به مضارعه وهو حذف النون، والواو: فاعل. عليهن: جار ومجرور، على: حرف جر، والهاء: ضمير مبني على الكسر في محل الجر، والنون: علامة جمع النسوة[(٢)].

الواو: عاطفة. إن: حرف شرط. كن: كان: فعل ماض، والنون: نون النسوة: اسم كان، وفعل الشرط في محل جزم. أولات: خبر كان منصوب وعلامة نصبه الكسرة الظاهرة على آخره نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم. لأنه لا مفرد له[(٣)]. أولات: مضاف. وحمل: مضاف إليه مجرور بالمضاف وعلامة جره الكسرة[(٤)].

---

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٨/ ب).

(٢) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٧/ أ).

(٣) وأولو: ليس لها مفرد من لفظها، ومفردها من معناها هو: ذو؛ بمعنى صاحب، فلفظة أولو على هذا تعني أصحاب، فهي بهذا المعنى ليس لها مفرد من لفظها، ومثلها لفظة: أولات. ألفاظ الجموع التي لا مفرد لها من لفظها في القرآن الكريم، لمجيب سعد أبو كطيفة: (٣٤).

(٤) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٤/ ب).

قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطلاق: ٧].

اللام: لام أمر. ينفق: فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه السكون في آخره. ذو: فاعل مرفوع، وذو: مضاف. وسعة: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة في آخره. من سعته: من: حرف جر. سعة: مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهر في آخره، وهو مضاف، الهاء: ضمير متصل مبني على الكسر في محل جر بالمضاف(١).

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٨/ أ).

سورة التحريم

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [التحريم: ١-٢].

هذا يدل على أن الإنسان إذا حرم على نفسه ما أباح الله له ثم تناوله فليس عليه إلا كفارة يمين. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا حرم الرجل امرأته فليس بشيء وعليه كفارة يمين، ثم قرأ ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ [الأحزاب: ٢١] وهذا قول ستة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم أبو بكر وعلي وغيرهما، وهو اختيار البخاري في صحيحه واختاره ابن تيمية وابن القيم[(١)].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

معنى الآية: أن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ قال بعض السلف: إذا سمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فأرع لها سمعك؛ فإنه خير تؤمر به أو شر تنه عنه. فقوله: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾، معنى ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ أي: اجعل لنفسك وقاية تقيك من النار ﴿وَأَهۡلِيكُمۡ﴾ أي: اجعل وقاية تقي أهلك من النار. أما وقاية نفسك من النار؛ فهي لا تحصل إلا بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، فهذا هو الذي يقيك من النار. هذا معنى ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ أي: بامتثال أوامر الله من تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله؛ لئلا تعبد إلا الله وحده لا شريك له، وأن تعرف

---

(١) ينظر: الفتاوى والدروس: (٧٦٤).

توحيدك الذي خلقت لأجله؛ بأن تكون شهادتك أن لا إله إلا الله نقية صافية مما ينافيها أو ينافي كمالها الواجب. وقوله: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ معلوم أن الأولاد هم صفوة الأهل فلابد أن تجعل وقاية لأولادك ومن تحت يدك تقيهم من النار. ما هي هذه الوقاية؟ هي نصيحتهم وإرشادهم إلى ما ينفعهم وتعليمهم التعليم النافع الصحيح(١).

معنى ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ يعني اجعل وقاية لنفسك تقيك من النار. ما الوقاية؟ هي الائتمار بأوامر الله والاجتناب عن نواهيه وقوله: ﴿وَأَهۡلِيكُمۡ﴾ الأولاد هم صفوة الأهل لابد أن تتخذ وقاية لأولادك تقيهم من النار. ما الوقاية؟ هي نصيحتهم وتأديبهم وتعليمهم ما ينفعهم وإبعادهم عن قرناء السوء ومن لا خير فيه(٢).

---

(١) ينظر: الفتاوى والدروس: (٩٣٨).
(٢) ينظر: الفتاوى والدروس: (٢٠٧).

سورة الملك

هذا توحيد الربوبية: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١]، فالعبد يرى أنه لا نفع ولا ضر ولا حركة ولا سكون، إلا والله فاعله، وهو القادر الباسط والمتصرف في هذا العالم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهذا هو سر الربوبية؛ يعني: تعتقد أن الأمر والنفع والضر والخلق والرزق والحركة والسكون كلها له، هذا هو سر الربوبية. فهذا السر هو شهود الكلمات الكونيات. معنى الكونيات: هي توحيد الربوبية؛ يعني: الذي كون بها الخلق وأوجدهم، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كون هذا الخلق بقول: كن، وأوجدهم، فالحركة والسكون والنفع والضر والإرادة والخفض والرفع؛ كل ذلك هو سر الكون؛ يعني: هو الذي كونه بمعنى أوجده من العدم وقدر هذا التقدير وسيره بكمال قدرته، فتوحيد الربوبية بمعنى الخلق والإيجاد.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ ما هو أحسن عملا؟ سئل الفضيل بن عياض فقيل له: ما معنى قوله تعالى: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ قال: أخلصه وأصوبه. هذا هو أحسن الأعمال؛ فمعنى أخلصه أن يكون لله، وأصوبه أن يكون على سنة رسول الله[(١)].

قال الفضيل بن عياض: أخلصه وأصوبه. قيل يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٤/ب).

صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا. والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة[1].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥].

اللام: موطئه للقسم، قد: حرف تحقيق. زينا: فعل وفاعل، زين: فعل ماض، ونا: ضمير متصل مبني على السكون محله رفع فاعل. السماء: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة. الدنيا: نعت للسماء ونعت المنصوب منصوب وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر؛ لأنه مقصور معتل الآخر بالألف. بمصابيح: جار ومجرور، الباء: حرف جر، ومصابيح: اسم مجرور بالباء وعلامة جره..[2]،[3].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥].

استدل طائفة من أهل العلم على أن النجوم هي في السماء الدنيا؛ وأنت تعرف أن السماوات سبع كالأراضين كما في الآية القرآنية: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] وهذه الآية: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ تدل على أن النجوم في السماء الدنيا، وهذا لا ينافي أن غيرها من السماوات

---

(١) ينظر: هداية الناسك إلى أهم المناسك: (١٥٢).

(٢) سقط من التسجيل.

(٣) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٦/ أ).

-التي غير الدنيا- لا نجوم فيها، وإنما ذكر النجوم التي في السماء الدنيا؛ لأنها هي التي ينتفع بها الناس في أسفارهم، وجعلها رجوما للشياطين، وجعلها حمية للسماء. وقد اختلف الناس في النجوم هل هي في السماء الدنيا أم لا؟ روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها معلقة في السماء كالقمر، فإنه أيضا موضوع في السماء، وهو مع المسافر وغير المسافر[1].

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

فلم يأمر الله بالأكل من الرزق إلا بعد تعاطي الأسباب؛ وهو المشي في مناكبها أي: في طرقها وطلب الرزق[2].

قال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦].

أي: ءأمنتم من على السماء، والآيات في هذا كثيرة كلها تدل على إثبات العلو لله سبحانه. والمعطلون يقولون ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ المراد به: علو القدر، وعلو القهر فقط، فكل ما جاء في القرآن مما يدل على الفوقية فهو فوقية القدر، وفوقية القهر؛ أنه فوق جميع عباده، قادر عليهم، قاهر لهم؛ هذه هي الفوقية. كما يقال: فلان فوق فلان في العلوم والمرتبة، فلان فوق

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٠/ب).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢/أ).

فلان في العلم، أو فلان فوق فلان في القدر والمرتبة والجاه. وما أشبه ذلك. قالوا: هذه فوقية الله مثل هذا المعنى. لا أنه فوق بالذات، أن ذاته فوق المخلوقين، يقولون: لا، هذا لا تدل عليه نصوص الكتاب ولا السنة. ماذا ترد عليهم أنت؟ إذا قال لك المشبه المعطِّل أنا أسلم بهذه الآيات التي ذكرتها وهي قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [طه: ٥]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقوله: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر: ١٠]، وقوله: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] وما أشبه ذلك مما هذا معناه. قال الرفع هنا هو: علو المكانة، وعلو المرتبة لهذا رفعه الذي رفعه الله، وأما من جهة الله أنه فوق عباده؛ فالمراد: هو فوقهم قدرا وقهرا، وإلا فذاته حالة في جميع المخلوقين. كما في قوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام: ٣] هذا يدل على أنه حال في كل مكان، وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ﴾ [الحديد: ٤] قالوا: وإن قلتم إنه معنا بعلمه! فهذا غير مسلم لكم؛ فإن علمه محيط بكل شيء، وليس المراد أنه معنا بعلمه، بل معنا بذاته، فيكون حالا في كل مكان. فهذه الآيات كلها مجاز؛ لأن معناها علو قدر وعلو القهر. ماذا ترد عليهم؟ وتبطل شبههم هذه وتأويلهم القرآن؟ تقول لهم أخطأتم في هذا التأويل، فإن القرآن صرح في أنه فوق عباده، فله علو القدر، وعلو القهر، وعلو الذات، وقولكم: هذا يحتاج إلى دليل على أنه حال في كل مكان، وأنه ليس على العرش؟ فإذا قالوا لك الدليل؛ فقل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣] فالآية دلت على أن المراد

العلم، فإنه قال: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ ثم بعدها ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ فهو معنا بعلمه كما في الآية الأخرى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤] بدأها بالعلم وختمها بالعلم، ثم أيضا قولكم المراد بالفوقية: هي فوقية القدر والقهر. قل: ماذا تقولون في قوله تعالى ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠] جاءت الفوقية مجرورة بمن فلا تستطيعون بهذا أن تقولوا فوقية القدر وفوقية القهر، بل فوقية الذات؛ لأنه قال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠] فإدخال «من» دل على أنه فوقهم بذاته جل وعلا.

وهذا هو الذي تدل عليه نصوص الكتاب والسنة، والذي عليه أئمة السلف رضي الله عنهم لا كما يقولون. وحتى جاهلية العرب تعرف هذا: أن الله على عرشه كما هو موجود في أشعارهم قال أمية بن أبي الصلت:

مجدوا الله فهو للمجد أهل ❁ ربنا في السماء أمسى كبيرا

هذا قول أمية الجاهلي. وكذلك أيضا أشعار الصحابة كقول عبد الله بن رواحة:

شهدت بأن وعد الله حق ❁ وأن النار مثوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء طاف ❁ وفوق العرش رب العالمينا

أنشد هذه الأبيات بين يدي رسول الله ﷺ ولم يقل له الرسول أخطأت، بل أقره. ثم أيضا البهائم العجم عندما تقع كربة، أو يحز بها أمر فإنك تراها ترفع أبصارها إلى السماء؛ لعلمها أن خالقها وفاطرها ومفرج كربتها في السماء. هذا

أمر مفطورة عليه القلوب، وكل يعرف هذا، فالإنسان عندما يقع في كربة يرفع بصره إلى السماء، حتى البهيمة عند الولادة، أو عند غيرها عندما تنظر إليها إذا هي تشخص ببصرها إلى السماء، فهذا كله به تعرف أن الله سبحانه وتعالى فوق عرشه؛ وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة(١).

ولا يجوز أن تقول في السماء أيضا للظرف؛ يعني بأن تكون السماء حاوية له؛ لأن المعاني مأخوذة من هذا، وربما يزل الإنسان بسبب الإعراب، فلا يجوز لك أن تقول: ءأمنتم من في السماء أنها تفيد الظرفية. لا، تفيد الاستعلاء؛ لأن الله على عرشه(٢).

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٣٤/ أ).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (١/ ب).

سورة القلم

قال تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ [القلم: ٣٢].

يعني: عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى الله راغبون، أي: يعوضنا[١].

قال تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم: ٥١].

أي: يصيبونك بأبصارهم، وذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره على هذه الآية أحاديث تتعلق بالعين، وكذلك أيضا في قصة يعقوب مع بنيه[٢].

أي: يعاينونك، بمعنى: تخرج من أنفسهم عين شريرة فتؤثر في جسم النبي ﷺ هذا هو معنى الآية، ولهذا ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره على هذه الآية الأحاديث المتعلقة بالعين وأنها حق[٣].

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (١١/ب).

(٢) ينظر: الفتاوى والدروس: (١٢٧).

(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢/أ).

سورة الحاقة

قال تعالى: ﴿ٱلْحَاقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ١-٢].

الحاقة: مبتدأ، وما: مبتدأ، والحاقة الثانية: خبر مبتدأ، والجملة من المبتدأ الثاني والخبر جملة اسمية محلها رفع خبر المبتدأ الأول. أين الرابط؟ تقول إعادة اللفظ بلفظه ﴿ٱلْحَاقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَاقَّةُ﴾[١].

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾ [الحاقة: ٤٤].

بعض نائبة مناب الصدر؛ قولا بعض الأقاويل[٢].

(١) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٩/أ).

(٢) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (١٢/ب).

سورة المعارج

قال تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾ [المعارج: ١].

يعني عن عذاب واقع[١].

(١) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٢/أ).

سورة نوح

قال تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ [نوح: ٢٥].

مما خطيئاتهم: من حرف جر. وما: صلة لا محل لها من الإعراب. خطيئاتهم: اسم مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، خطيئات: مضاف، والهاء: مضاف إليه مبني على الكسر محله الجر بالمضاف، والميم: علامة الجمع. أغرقوا: فعل ونائب فاعل، أغرق: فعل ماض، والواو: ضمير متصل مبني على السكون محله رفع نائب فاعل، ماذا أفادتنا "من"؟ ثلاثة أشياء: اسمية مدخولها، والحكم عليه بالجر، وأمرا معنويا وهو التعليل(١).

مما خطيئاتهم: جار ومجرور وإعرابه ظاهر، أفادتنا «من» ثلاثة أشياء: اسمية مدخولها، والحكم عليه بالجر، وأمرا معنويا وهو التعليل؛ يعني من أجل خطيئاتهم أغرقوا، فمن استفدت أنها للتعليل؛ يعني أن العلة من إغراقهم هو ما ارتكبوه من الخطأ(٢).

---

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٢/ أ).

(٢) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (١/ ب).

سورة الجن

قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١].

أوحي: فعل ماض مبني للمجهول. أنه استمع: أن حرف توكيد ونصب، تنصب الاسم وترفع الخبر، والضمير: مبني على الضم في محل نصب اسم أن، استمع: فعل ماض. نفر: فاعل استمع. من الجن: جار ومجرور. الجملة من الفعل والفاعل في محل خبر أن، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر في محل رفع نائب فاعل. فيكون التقدير قل أوحي إلي استماع نفر من الجن. أوحي إلي استماع، صار نائب فاعل(١).

قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

هذه الآية نزلت في مشركي العرب، وذلك أن مشركي العرب كانوا إذا نزلوا واديا مقفرا أو مكانا موحشا قالوا: نعوذ بعزيز هذا الوادي من سفهاء قومه، وذلك أنهم يظنون أن الجن عندما ينزلون هذا الوادي تنفر إبلهم، وأنها تلعب بأمتعتهم وتسخر بهم فهم يستعيذون؛ بمعنى يلتجئون ويعتصمون بعزيز هذا الوادي، أي: عظيم هذا الجن من سفهائهم، بأن يمنع عنهم سفهاءهم بحفظ إبلهم، وأن لا يمسهم سوء من هؤلاء السفهاء من الجن. فمتى قال ذلك مشركو العرب بأن استعاذوا بعزيز هذا الوادي ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي: تعاظما وتكبرا،

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٩/ أ).

وقيل: زادوهم خوفا وشرا؛ لأنهم استعاذوا بغير الله. فالمعنى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾، وهم مشركو العرب يستعيذون برجال من الجن يقولون: نعوذ بعزيز هذا الوادي من سفهاء قومه ﴿فَزَادُوهُمْ﴾ أي: أن الضمير هنا يعود على الإنس، وأن الزيادة هذه حاصلة من الجن ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ بمعنى تعاظما وتكبرا، أي: أن الجن تعاظموا وتكبروا أو زادوهم خوفا وإرهاقا. فعلى كلا التقديرين لا تجوز الاستعاذة بالجن فأرشدهم النبي ﷺ إلى أن يقولوا بدلا من قولهم: نعوذ بعزيز هذا الوادي من سفهاء قومه؛ بأن يقولوا: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ [الفلق: ١-٤] إلى آخر السورة والتي بعدها.

في الآية دليل على إثبات الجن، فإن الجن خلق من خلق الله موجودون كما دل عليه القرآن العزيز ودلت عليه السنة النبوية، خلافا لجهلة النصارى وبعض من الأطباء؛ فإنهم ينكرون وجود الجن، وقد حكى ابن حزم إجماع أهل العلم من اليهود والنصارى والكفار والصابئين والمسلمين على وجود الجن ولم ينكر وجودهم إلا شذاذ قلائل من جهلة الفلاسفة والأطباء، وإلا فحتى عقلاء النصارى يعترفون بوجود الجن. أما الآن فكثير من الأطباء ينكرون وجود الجن، كما دل عليه جهلة الفلاسفة، لكن القرآن يرد عليهم، والسنة ترد عليهم، والمُشاهد أيضا يرد عليهم؛ فإنهم يبرزون لكثير من الإنس ويتحدثون معهم ويعرفونهم(١).

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٨/ ب).

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، نكرة في سياق النهي فتعم أي أحد: نبي أو ولي أو غيرهما، لا يجوز أن ندعو مع الله أحدا، فالدعاء عبادة، كذلك لا يجوز أن ننذر لأحد غير الله، فالنذر عبادة، والذبح عبادة(١).

قال تعالى: ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣].

ما عندي إلا البلاغ وتأدية الرسالة(٢).

قال تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨].

ليعلم: اللام: لام كي، يعلم: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازا بعد لام كي وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة. أن: مخففة من الثقيلة. قد: حرف تحقيق. أبلغوا: أبلغ: فعل ماض مبني على الفتحة المقدرة، والواو: ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل. رسالات: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم، رسالات: مضاف، وربهم: مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة، ورب: مضاف، والضمير: مضاف إليه مبني على الكسر محله الجر، والميم: للجمع(٣).

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٠٣/أ).

(٢) ينظر: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (٣/أ).

(٣) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٨/أ).

سورة المزمل

قال تعالى: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [المزمل: ٢].

هذا أمر والأمر يقتضي الوجوب. قال أهل العلم مستدلين بهذه الآية: أن قيام الليل واجب على النبي ﷺ[(١)].

أما أمته فلم يوجب الله عليها غير الفرائض فقط، ولكن الرواتب مكملة لما يحصل من النقص، والسنن المطلقة غير الرواتب فهي فضيلة، والله أعلم[(٢)].

قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦].

الناشئة: هي الصلاة التي تكون بعد نوم[(٣)].

---

(١) ينظر: فتاوى نور على الدرب: الحلقة: ١٢٣. د/ ١٣، ث: ٢٨.

(٢) ينظر: الفتاوى الخاصة: (٢/ ٥٥).

(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب الصلاة من الروض المربع: (٢/ أ).

سورة المدثر

قال تعالى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ٢].

أي: أنذر عن الشرك في عبادة الله وحده لا شريك له، وهذا قبل الإنذار عن الزنا والسرقة والربا وظلم الناس وغير ذلك من الذنوب الكبائر[١].

قال تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر: ٣].

أي: عظم ربك بالتوحيد، وإخلاص العبادة له وحده[٢].

قال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر: ٤٢].

في سقر جار ومجرور، وهذا التأنيث المعنوي[٣].

قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ [المدثر: ٥٠].

كأن: حرف تشبيه ونصب من أخوات «إن»، تنصب الاسم وترفع الخبر، والهاء: ضمير مبني على الضم في محل نصب اسم كأن، والميم: علامة الجمع. حمر: خبر كأن مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخرة. مستنفرة: صفة مرفوعة[٤].

قال تعالى: ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٥١].

القسورة هي الأسود، وهذه لغة أجنبية[٥].

---

(١) ينظر: رسالة في التوحيد: (٩).

(٢) ينظر: رسالة في التوحيد: (٨).

(٣) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٦/أ).

(٤) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (١٠/ب).

(٥) ينظر: الفتاوى والدروس: (٨٩٦).

سورة الإنسان

قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١].

يعني: قبل أن يخلق(١).

قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

أي: طويلا، فالله مدح الموفين بالنذر. قد تقول أنت: هذا مدح من الله للموفين لنذورهم لكن ما الدليل على أنه عبادة؟ فهل في الآية ما يدل على أن النذر عبادة؟ غاية ما في الآية ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ فقوله: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ هذا خرج مخرج المدح لهم، لكن هل هو عبادة؟ نقول لك نعم، ما وجه الدلالة أنه عبادة؟ وجه الدلالة من الآية أنه عبادة: هو أن الله مدحهم على الوفاء بنذورهم؛ إذ لو كان مباحا لم يمدحهم الله، إنما مدحهم لأداء واجب، أو لفعل مستحب، أو لترك محرم، فهو مدحهم لفعل الواجب، أو لفعل المستحب، أو لترك محرم، فإذاً دل على أنه عبادة. المستحب عبادة، والواجب عبادة، وترك المحرم لأجل الله عبادة. فهذا وجه الدلالة من الآية؛ فإن الله لا يمدحهم لو كان النذر مباحا، لكن إنما مدحهم بما التزموه في ذممهم من تلك النذور؛ دل على أنه عبادة، وأن الله مدحهم لأجل وفائهم بالنذر، وكما تدل عليه آخر الآية.

﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ أي: مستطيلا(٢).

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (١٠/أ).

(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٨/أ).

والخوف من ذلك اليوم أيضا عبادة؛ لأن المؤمن مطلوب منه أن يخاف الله ﷻ، وأن يخاف مما سيؤول إليه أمره، وكذلك أيضا قوله: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٧٠] دل على أنه عبادة؛ لأن الإنسان إذا أنفق نفقة يريد بها وجه الله فهي عبادة، حتى إن سعدا سأل النبي ﷺ عما ينفقه على أهله قال: «حَتَّى اللُّقْمَةَ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ»[1]، يعني: أن لك بذلك أجرا، فهذا يدل على أنه أيضا عبادة، ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٧٠]، لو كان مباحا لا لك أجر، ولا عليك إثم، ما فيه أي شيء؛ فإن المباح هو مستوي الطرفين؛ إن فعلته ما لك أجر، وإن تركته ليس عليك إثم. هو ما لا يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه. فإذا كان يثاب على فعله صار عبادة أو كان يعاقب على تركه أيضا كذلك[2].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (ح: ٥٣٥٤) من حديث سعد رضي الله عنه.
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٨/ أ).

سورة النبأ

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا﴾ [النبأ: ٤٠].

يقول: فعل مضارع مرفوع؛ لتجرده عن الناصب والجازم. والكافر: فاعل وعلامة رفعه الضمة الظاهرة. يا ليتني: يا: حرف نداء، ليت: منادى[(١)]، من أخوات إن، تنصب الاسم وترفع الخبر، والنون: للوقاية، والياء: ضمير متصل مبني على السكون في محل نصب اسم ليت. كنت: كان: فعل ماض، والتاء: ضمير متصل مبني على الضم في محل رفع اسم كان. ترابا: خبر كان منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة. أين خبر ليت؟ جملة كان واسمها وخبرها في محل رفع خبر ليت[(٢)].

---

(١) لا يصح لأن تكون منادى، فالمنادى لاسم ظاهر أو ضمير يدل عليه، فالمنادى هنا محذوف.

(٢) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (١٠/ ب).

سورة عبس

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢١].

أي: أكرمه بدفنه[١].

قال تعالى: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢٣].

كلا: حرف ردع وزجر. لما: حرف نفي وجزم وقلب. يقض: فعل مضارع مجزوم بلما وعلامة جزمه حذف الياء والكسرة قبلها دليل عليها. ما أمره: ما: اسم موصول مبني على السكون محله النصب على المفعولية، أمره: فعل ماض، والهاء: ضمير مبني على الضم محله نصب[٢].

(١) ينظر: شرح كتاب الجنائز من الروض المربع: (١/ب).

(٢) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الأجرومية: (٧/أ).

سورة التكوير

قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ [التكوير: ١].

إذا: ظرف لما يستقبل من الزمان. الشمس: نائب فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة لفعل يفسره ما بعده تقديره: إذا كورت الشمس. كورت: فعل مبني للمجهول، والتاء: للتأنيث[١].

قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ﴾ [التكوير: ٣].

الواو: عاطفة، إذا: ظرف لما يستقبل من الزمان. الجبال: نائب فاعل لفعل محذوف يفسره ما بعده. سيرت: سير: فعل مبني للمجهول، والتاء: للتأنيث[٢].

قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ﴾ [التكوير:٨]، الوأد وهو أن المرأة تسقط جنينها بعد ما تخلق، فهذا لا يجوز وحرام، فالله هو الذي يتكفل برزقه، أما لو ألقت النطفة قبل الأربعين، فهذا يجيزه طائفة من أهل العلم، ويقولون يباح إلقاء النطفة قبل أربعين يوما بدواء مباح، إذا كان قبل الأربعين يوما وأسقطته بدواء مباح فلا مانع، أما بعدما تخلق فهذا لا ينبغي[٣].

قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ﴾ [التكوير: ٢٤].

أي: متهم[٤].

---

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٩/ أ).

(٢) ينظر: تصويب أحد طلاب الشيخ لطالب آخر في شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٩/ أ).

(٣) ينظر: الفتاوى الخاصة: (١/ ٣٠٠).

(٤) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (١٠/ ب).

قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨- ٢٩].

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ فأسند المشيئة إليك، فدل على أن لك مشيئة[(١)].

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: أن لك مشيئة تفعلها باختيارك، غير أن مشيئتك تابعة لمشيئة الله[(٢)].

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١٣/ أ).

(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٨/ أ).

سورة الانفطار

قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ [الانفطار: ١].

إذا: ظرف لما يستقبل من الزمان مبني على السكون محله نصب على الظرفية. السماء: فاعل. فاعل لماذا؟ لفعل محذوف يفسره ما بعده: إذا انفطرت السماء انفطرت[1].

قال تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩].

لاحظ قوله: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ﴾ نكرة، ﴿لِّنَفۡسٖ﴾ نكرة، ﴿شَيۡـٔٗاۖ﴾ نكرة في سياق النفي، ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ﴾: نكرة في سياق النفي فهي تعم؛ لا أحد يملك لأحد ضرا ولا نفعا أبدا، بل الملك لله هو الذي يملك ذلك. لا يملك أحد شيئا بالكلية، ﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾[2]،[3].

(١) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٩/أ).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٣٤/أ).
(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٩/ب).

سورة الانشقاق

قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٦-١٩].

فإن قلت ما حقيقة ما أشيع وتناقلته الناس وتلقوه بالقبول من أنهم وصلوا إلى القمر؟ وهل في القرآن ما يدل على هذا؟ وهل جرت محاولة في الأمم السالفة، أو في هذه الأمة على السعي إلى وصول القمر؟ أم هذا شيء مخترع جديد من الأمم الموجودة في وقتنا هذا! وهل له أصل؟ نقول لك: ليس ببعيد من أنهم يصلون، وقد ذكر الآلوسي في تفسيره: أن الفلاسفة صنعوا سفنا من زئبق لمحاولة الوصول إلى سطح القمر. قال: فلما تكامل بناؤها ركبوها واتجهوا صوب القمر. قال: ثم انتفخت أجسامهم وعادوا خاسرين[1]؛ يعني لما ارتفعوا فوق الجاذبية ما كان عندهم ما يساعدهم على الأكسجين فرجعوا. بهذا تعرف أن المحاولة قديمة وليست جديدة. والآلوسي ذكر هذا في تفسيره على قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةً لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلًا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ﴾ [الإسراء: ١٢]. فقال: إنهم صنعوا سفنا من زئبق متوجهين لاكتشاف القمر إلا أنهم لم يتمكنوا؛ لأنهم لما ارتفعوا انتفخت أجسامهم. قال: فرجعوا خاسئين خاسرين.

قد تقول: هل في القرآن ما يدل على إمكان وصولهم القمر؟ نقول:

---

(١) ينظر: تفسير الآلوسي: (٨/ ٢٨).

ممكن. يعني الواقع، وإن كان بعض الناس يقول: لا يمكن. ومن جملة الذين يقولون لا يمكن هو مدير الأرصاد الفلكية في أمريكا، أذكر أني قرأت له مقالا في وقته حاصله يقول: إن الذين زعموا أنهم وصلوا إلى سطح القمر ليسوا على شيء، وإنما وصلوا إلى سطح جبل خارج عن الأرض المعمورة، بل هو بعيد وكان مرتفعا ولم يكن بقربه سكان ولم يصل إليه أحد، لما هبطوا إلى سطحه -سطح ذلك الجبل- ظنوا أنهم على سطح القمر، فجعلوا ينظرون إلى الأرض بصفة غير عادية، فاستغربوا وظنوا أنهم على سطح القمر، وإنما كانوا على جبل متصل بالأرض إلا أنه مرتفع، وهذا الجبل لم يصل إليه السكان ولم يأت إليه أحد من بني آدم، هذا قوله والله أعلم بحقيقة الحال(١).

لكن هل يمكن؟ نقول لك ممكن، فالله تبارك وتعالى يقول: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ أي: والقمر إذا أدبر. ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ يقول بعض المفسرين: والقمر إذا أدبر لتصعدن طبقا فوق طبق. وإن كان جمهور المفسرين يقولون: معنى ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا﴾ يعني: حالا بعد حال. يعني: تتقلب بكم الأحوال. ليس المراد الصعود إلا أن هذا قول بعض المفسرين: أن المراد ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ أي: لتصعدن طبقا فوق طبق(٢).

قال تعالى: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩].

اللام: موطئه للقسم. تركبن: فعل مضارع مرفوع؛ لتجرده من الناصب

(١) لم أقف على مقاله.
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٠/ ب).

والجازم وعلامة رفعه ثبوت النون المحذوفة؛ لتوالي الأمثال، والواو: فاعل، أصله: لتركبونن. طبقا: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة. عن طبق: جار ومجرور، عن: حرف جر، وطبق: اسم مجرور بعن وعلامة جره الكسرة الظاهرة. ماذا أفادتنا عن؟ ثلاثة أشياء: اسمية مدخولها، والحكم عليه بالجر، وأمراً معنوياً وهو البعدية، يعني: لتركبن طبقا عن طبق(١).

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٢/أ).

سورة البروج

قال تعالى: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾ [البروج: ٤].

قتل: فعل ماض مبني للمجهول. أصحاب: نائب فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، أصحاب: مضاف والأخدود: مضاف إليه مجرور بالمضاف وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره[١].

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٩/ أ).

سورة الطارق

قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ [الطارق: ١١].

الواو: حرف قسم وجر، السماء: مقسم به مجرور بالواو وعلامة جره الكسرة الظاهرة. ذات: مضاف، الرجع: مضاف إليه مجرور بالمضاف وعلامة جره الكسرة الظاهرة[١].

قال تعالى: ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٦].

يعني: أقابل ما صنعوه من الكيد بأن أجعل لهذا المكيد فرجا ومخرجا، لا أنه يقابلهم بنظير ما صنعوه[٢].

(١) ينظر: إجابة أحد طلاب الشيخ في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٢/ب).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٣٠/أ).

سورة الأعلى

قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [الأعلى: ١]. قال رسول الله ﷺ: «اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ»[(١)]،[(٢)].

قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤- ١٥]. قيل هي صلاة العيد على قول بعض المفسرين. يقول بعض العلماء في تفسير الآية: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ يعني: تزكى من الشرك إلى التوحيد، وقيل: أخرج زكاة الفطر؛ بدليل الآية بعدها، وهو كثرة التكبير المطلق وتكبير صلاة العيد، وصلى، أي: صلى صلاة عيد على قول بعضهم[(٣)].

يقول بعض المفسرين على هذه الآية: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ قيل: إنها هي صدقة الفطر، بمعنى إخراجها. ﴿وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ قيل: إنها هي صلاة العيد؛ لأنها مشتملة على التكبير؛ الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله... إلخ[(٤)].

---

(١) أخرجه أبوداود في سننه: (ح: ٨٦٩) وابن ماجه في سننه: (ح: ٨٨٧) وأحمد في المسند: (ح: ١٧٤١٤) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٢) ينظر: الفتاوى والدروس: (٢٧٠).

(٣) ينظر: شرح الشيخ لكتاب الصلاة من الروض المربع: (٥/ ب).

(٤) ينظر: الفتاوى والدروس: (٤٥٠).

سورة البلد

قال تعالى: ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البلد: ٢].

أي: مكة؛ فهذا من مزاياها، فالله لم يقسم بأي أرض كانت على وجه البسيطة ما عدا مكة[١].

قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾ [البلد: ٨].

ألم: الهمزة: حرف استفهام. لم: حرف نفي وقلب. نجعل: فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه السكون الظاهر على آخره، والفاعل: مستتر وجوبا تقديره نحن. له: جار ومجرور، اللام: حرف جر، والهاء: ضمير مبني على الضم في محل جر باللام. عينين: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الياء المفتوح ما قبلها المكسور ما بعدها، نيابة عن الفتحة؛ لأنه مثنى والنون عوضا عن الحركة والتنوين في الاسم المفرد[٢].

قال تعالى: ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ [البلد: ٩].

الواو: عاطفة. لسانا: معطوف على عينين، والمعطوف على منصوب منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره. وشفتين: الواو: عاطفة، شفتين: معطوف على عينين والمعطوف على منصوب منصوب وعلامة نصبه

(١) ينظر: شرح كتاب المناسك من الروض المربع: (٥/ أ).
(٢) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٥/ أ).

الياء المفتوح ما قبلها المكسور ما بعدها نيابة عن الفتحة؛ لأنه مثنى والنون عوضا عن الحركة والتنوين في الاسم المفرد[1].

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٥/أ).

سورة الشرح

قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١].

ألم: الهمزة: للاستفهام، لم: حرف نفي وجزم وقلب. ونشرح: فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه السكون. لك: اللام: حرف جر، الكاف: ضمير مبني على الفتح محله الجر. صدرك: صدر: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، صدر: مضاف، والكاف: مضاف إليه مبني على الفتح في محل جر بالمضاف. أين فاعل نشرح؟ فاعل نشرح ضمير مستتر تقديره: نحن، يعود على لفظ الجلالة، واستتاره وجوبا[1].

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٨/أ).

سورة التين

قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: ٣].

أي: مكة[١].

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب المناسك من الروض المربع: (٥/ أ).

سورة العلق

قال تعالى: ﴿ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ [العلق: ١٦].

بدل ﴿ لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾ [العلق: ١٥] بالناصية؛ هذا معرف، ناصية منكر. وقالوا: أنه بدل من الناصية المعرفة[١].

(١) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (١١/ب).

سورة القدر

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر:١].

إنا: حرف توكيد ونصب تنصب الاسم وترفع الخبر، ونا: ضمير متصل مبني على السكون محله نصب اسم إن[١].

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: ١].

المعنى: أن الله تعالى أنزل القرآن في تلك الليلة وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ يعني: القرآن[٢].

قال تعالى: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ [القدر: ٣].

العبادة فيها خير من العبادة في ألف شهر لم يكن فيها ليلة القدر؛ يعني أكثر من ثلاث وثمانين سنة[٣].

---

(١) ينظر: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٩/ أ).

(٢) ينظر: الفتاوى والدروس: (٥٣٢).

(٣) ينظر: الفتاوى والدروس: (٨٢).

سورة البينة

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

فالرسل دعوتهم من أولهم إلى آخرهم، كلها الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له وفي حق نبينا ﷺ قال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] هذا معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ ما معنى حنفاء؟ الحنفاء جمع حنيف والحنيف المقبل على الله المعرض عن كل ما سواه، هذا هو الحنيف[(١)].

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: إن جميع الخلق من أولهم إلى آخرهم مأمورون، بل مخلوقون لعبادة الله وحده لا شريك له. ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ والخلق من آدم إلى يوم القيامة الرب خالقهم وأمرهم بعبادته وحده لا شريك له[(٢)].

لكن منهم من أطاع وعبد الله حقاً، ومنهم من عصى وأبى، ولأجل هذا أرسل الرسل، من أولهم إلى آخرهم، يأمرون بعبادة الله وحده لا شريك له؛ كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على الإسلام، وأول شرك حدث في الأرض حدث في قوم نوح، وذلك أن خمسة رجال صلحاء في قوم نوح وهم: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، كانوا من صلحاء الناس، لما

---

(١) ينظر: الفتاوى والدروس: (٨١).
(٢) ينظر: الفتاوى والدروس: (٨٧).

ماتوا أسف عليهم قومهم، فجعلوا يترددون إلى قبورهم، من أجل أن يتذكروا ما كانوا عليه من الخير والصلاح والتقى؛ لكن الشيطان دس عليهم دسيسة، فقال: لو صورتم صورة كل إنسان ونصبتموها في مجلسه، من أجل أن تتذكروا ما كانوا عليه من الخير؛ لكان أسهل من ترددكم إلى قبورهم. فعملوا هذا العمل، وصوروا صورة كل إنسان ونصبوها في مجلسه؛ من أجل أن يتذكروا ما كانوا عليه من الخير، فلما انقرض هؤلاء وجاء آخرون، جاءهم الشيطان، فقال: إن أولكم لم يصوروا هذه الصور إلا أنهم يستنصرون بهم على الأعداء، ويستسقون بهم الأمطار(١)، فبذلك حدث الشرك في قوم نوح، وبنوا القباب على القبور، وعكفوا عندها وسألوها من دون الله، فأرسل الله إليهم نوحاً يعرفهم بعبادة الله، وينهاهم عن عبادة ما سواه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩]. فقال الملأ وهم السادات والأشراف ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٠- ٦١]. فلم يقبلوا ما جاء به نبيهم ومكث يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، ولما أبغضهم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (ح:٤٩٢٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «صَارَتِ الْأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي الْعَرَبِ بَعْدُ أَمَّا وُدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجُرُفِ عِنْدَ سَبَا وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الْكَلَاعِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ فَفَعَلُوا فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ».

وأبغضوه وملهم وملُّوه، عند ذلك أمره الله بصنع السفينة، كما حكى الله ذلك في القرآن، فأهلك الله قوم نوح بالغرق، فلم يبق منهم نفس تطرف، إلا من كان مع نوح في السفينة.

وهذا هود أرسله الله إلى قومه، فكانوا يعبدون غير الله ويسألونهم من دون الله، أرسل الله إليهم هودًا، قال: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود: ٥٠]. والآية الأخرى: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥]. ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦٦]. فلما طالت دعوته ولم يقبلوا، أرسل الله عليهم ريحًا دمرت جميع ما مرت عليه، من حروثهم وزروعهم، فصاروا كأعجاز نخل خاوية، وهذا جزاء من لم يقبل ما جاءت به الرسل.

وكذلك صالح أرسله الله إلى قومه، فقال: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٧٣]. والآية الأخرى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود: ٦١- ٦٢]. فلما لم يقبلوا أرسل الله عليهم صيحة قطعت قلوبهم في أجوافهم، فما بقي منهم نفس تطرف، إلا امرأة على قول بعض المفسرين، والله أعلم بحقيقة ذلك.

فالرسل دعوتهم من أولهم إلى آخرهم، كلها الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وفي حق نبينا ﷺ قال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

ما معنى حنفاء؟ الحنفاء: جمع حنيف، والحنيف المقبل على الله، المعرض عن كل ما سواه، هذا هو الحنيف، وهذا وصف إبراهيم ﷺ والد الأنبياء وإمام الحنفاء ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ١٢٠- ١٢١]. وقد أُمر نبينا ﷺ باتباع طريقته وملته قال: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣]، فدعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم والغرض الذي خلق الله العباد لأجله، هو عبادته وحده لا شريك له. وهو مدلول كلمة الإخلاص: لا إله إلا الله؛ فلأجلها خلقت الخليقة، وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وجردت سيوف الجهاد، وحقت الحاقة، ووقعت الواقعة، ونصبت الموازين، وقام سوق الجنة والنار، وصار الناس فريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير؛ كله لأجل هذه الكلمة، وهي: لا إله إلا الله.

لا إله: أي لا معبود في الأرض ولا في السماء بحق إلا الله؛ لأنها نفت العبادة عن غير الله، وأثبتت العبادة له وحده لا شريك له، والعبادة: «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة»، فالله لا يقبل لك صوما ولا صلاة ولا زكاة ولا حجا ولا أي: عبادة؛ حتى تكون موحدا الله

-جل وعلا-، وهو مدلول شهادة ألا إله إلا الله، التي جاءت الأحاديث بأن الإسلام بُني على خمسة أركان: أولها شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

إذا تبين ذلك، فنحن الآن في آخر شهر رمضان، ولا سيما في دخول هذه العشر المفضلة التي كان النبي ﷺ يجتهد فيها؛ كما في الصحيحين: «**إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيقَظَ أَهْلَهُ**»[(1)]، ويصلي حتى ينادى بالفلاح، وقد قام حتى تفطرت قدماه الشريفتان من طول القيام، فقيل له في ذلك: إنك عبد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك، يعني: وقد قمت حتى تفطرت قدماك من طول القيام قال: «**أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُوراً**»[(2)].

والصحابة رضي الله عنهم يجتهدون كل الاجتهاد في رمضان، ولاسيما في هذه العشر المفضلة، وكان النبي ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان، ويقول: «**فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**»[(3)]؛ يعني أن العبادة في ليلة القدر خير من عبادة ألف شهر لم يكن فيها ليلة القدر، والله يقول: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ يعني القرآن ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ١ - ٣]؛ أي: العبادة فيها خير من العبادة في ألف شهر، لم يكن فيها ليلة القدر. يعني أكثر من

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (ح:٢٠٢٤)، ومسلم في صحيحه: (ح:١١٧٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: (ح:١١٣٠)، ومسلم في صحيحه: (ح:٢٨١٩) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه النسائي في سننه: (ح:١١٠٦)، وأحمد في المسند: (ح:٧١٤٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ثلاث وثمانين سنة. هذا فضل عظيم، كيف يسوغ للمسلم أن يفوته، ولا سيما في هذه البقعة المباركة[1]، التي هي أشرف بقعة وأفضل مكان على وجه الأرض؛ فإن الله سبحانه وتعالى عظم هذا المكان، وجعل له من الخصائص والفضائل ما لم يكن لغيره من بقية بقاع الأرض.

(١) هي مكة المكرمة. (الشيخ صالح).

سورة التكاثر

قال تعالى: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ [التكاثر: ١-٣].

﴿أَلۡهَىٰكُمُ﴾ بمعنى أشغلكم التكاثر. ﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ يعني "ما" بعد "كلا" تفيد التوعد. يعني: توعد وزجر عن أن تعمل شيئا. يذكر ما بعد كلا[١].

(١) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٧/أ).

سورة العصر

قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣].

معنىٰ وتواصوا: أي: يوصي بعضكم بعضا؛ يأمر بعضكم بعضا بالحق، يعني بمعنىٰ يدعو إلىٰ الحق، ويصبر علىٰ ما يصيبه من الأذىٰ في هذا السبيل. والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة جدا، فآيات الدعوة أكثر من آيات الصوم، وأكثر من آيات الحج اللذين هما ركنان من أركان الإسلام الخمسة كما هو معروف[١].

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٣/أ).

سورة الكوثر

قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

هذه الآية مثل الآية التي سبقتها[1]، وهو أنه جمع فيها بين العبادتين: العبادة البدنية التي هي الصلاة، والعبادة المالية التي هي الذبح وما في معنى الذبح كالصدقة وغيرها تريد بذلك التقرب إلى الله ﷻ، فهو جمع ذلك كله في قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾، وهناك أمر ثالث امتاز به خليل الله إبراهيم ﵇ فإنه اجتمعت فيه هاتان الحالتان: البدنية والمالية، وهناك أمر ثالث[2]، وبذلك حصلت له الخلة في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

فما كان إبراهيم خليلا للرحمن إلا لأنه بذل ماله للضيفان كما هو معلوم ﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: ٢٦]، وكذلك بدنه بذله لله وكسر الأصنام حتى ألقي في النار؛ كل ذلك لأجل الله، والحالة الثالثة: أمر بذبح ولده وفلذة كبده؛ ليسلم قلبه لله ولا يكون فيه شركة لسواه، فعند ذلك بادر وعزم على ذبح ابنه امتثالا لأمر الله حتى أدركته رحمة أرحم الراحمين في قوله: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ [الصافات: ١٠٣- ١٠٦] ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ يعني: أن المسلم يجب أن تكون أفعاله وأقواله وماله كله لله ولأجل الله؛ من ذبح أو غير

---

(١) يقصد آية الأنعام: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].
(٢) ذبح ولده.

ذلك ولا يصرفه في غير مرضاة الله، فإن الرجل يثاب حتى على اللقمة التي يجعلها في فيِّ امرأته كما في حديث سعد وغيره وكما جاءت الأخبار الثابتة عن النبي ﷺ[١].

أي: أن الصلاة عبادة والنحر عبادة[٢].

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٦/ ب).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (٣/ أ).

سورة الكافرون

قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ معنى لا أعبد: يعني أن ما تعبدونه أنتم أيها الكفار فإني لا أعبده، بل أختص الله بالعبادة، وهو معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًۭٔا﴾، فالآية تضمنت المعنى الذي تضمنته ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، كما أن آية البقرة ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍۢ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾.

كان الرسول يقرأ في ركعتي الطواف هاتين السورتين: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ما وجه تخصيص قراءة الرسول لهاتين السورتين؟

تنبيهاً بأنك لم تعبد الكعبة بطوافك، ولم تقصد الكعبة بطوافك، ولم تتفرد إلى الكعبة بطوافك، وأن الطواف لله امتثالاً لأمره؛ إذ يقول: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج:٢٩]، وأن تعلم أن الكعبة ليست محلاً للصمود لأن تُنزِل بها حاجتك، ولهذا قرأت ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ كأنك تتبرأ من عبادة غير الله، وتتبرأ من أن تُنزل حوائجك بغير المالك وأن تنزلها بالكعبة أو غيرها، وكذلك قوله: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ تنبيه بأنك لا تعبد الكعبة، إنما أن تعبد الله، وطوافك بالكعبة هو

امتثال لأمر الله؛ إذ أُمِرت بذلك، لا أنك تتقرب لها! بل تُعظِمُها، وتطوف بها لأجل أن الله أمرك بذلك.

فأنت الآن ما قصدت بهذا الطواف، وأردت بهذا الطواف، لم تُرِد بذلك كلهُ إلا الله، ما قصدت الكعبة، ولا أنك تريد من الكعبة أن تقضي لك حاجة أو تجلب لك منفعة فإنها لا تملك شيئاً.

فهذا فيه إخلاص التوحيد لله بعد طوافك بالكعبة، وبعد تقبيلك للحجر الأسود؛ إذ إنك تعلم كما قال عُمَر: «إني أعلم أنك حجرٌ لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلُكَ ما قَبلتُك»[1].

امتثالاً لأمر الله وامتثالاً لأمر رسول الله، فهاتان السورتان محضة التوحيد لله، وأن عملك هذا كلهُ لله، وأنك تبرأت من أن تُنزل حوائجك ومُلِماتك وترجو إلا الله -جل وعلا-، وأنه هو الصمد الذي تصمُد إليه الخلائق في حوائجها وملماتها ليست الكعبة ولا غيرها، هذا هو الحكمة في قراءة هاتين السورتين في هذا المكان.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه: (ح: ١٤٧٥٤).

سورة النصر

قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: ١].

إن عمر رضي الله عنه لما علم أن أشراف الصحابة وجدوا في أنفسهم على عمر حيث قدم ابن عباس عليهم فأراد أن يريهم مكانة ابن عباس وفضله، وكان يستشيره، عمر كان يستشير ابن عباس وهو من صغار الصحابة، لما حضروا سألهم عن تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ قال الصحابة: إن الله أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالشكر، والتسبيح، والتهليل، والاستغفار؛ مقابل ما أنعم الله عليه من فتح مكة، ومجيء الناس ودخولهم في هذا الدين أفواجا، قال عمر: ما تقول يا ابن عباس؟ فبين معناها مطابقا لقول الرسول: «اللهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ»[1]، بل هو أمر زائد على هذا قال: لا أعرف منها إلا أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال عمر: لا أعرف غير الذي عرفت. كيف عرف ابن عباس أن هذا يدل على أجل رسول الله؟ استنبط هذا من قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾[النصر: ١-٣]، جواب إذا جاء نصر الله قوله: فسبح. هل هو مطابق؟ هل هو إذا جاء نصر الله، ودخل الناس في دين الله أفواجا؛ أن الرسول مأمور بالتسبيح، والاستغفار؟ بل مأمور بالشكر، والتسبيح والاستغفار يخصه هو. والشكر -معنى الشكر- هو التحدث بالنعمة ظاهراً،

(١) أخرجه أحمد في المسند: (ح: ٢٣٩٧) وابن أبي شيبة في مصنفه: (ح: ٣٢٢٢٣).

وكذلك صرفها في مرضاة مسديها ومموليها والاعتراف بها باطنـًا؛ هذا هو الشكر: الاعتراف بالنعم باطنًا، والتحدث بها ظاهراً، وصرفها في مرضاة مسديها؛ هذه أركان الشكر، فهل هو مطابق؟ فهم ابن عباس: أن الدين انتهى وكمل وأن الناس دخلوا في الدين إذا هذا يخص الرسول، ما هو إلا أجله؛ لأن الرسالة التي أرسل لأجلها قد انتهت بفتح مكة ودخول العرب في هذا الدين، وتمسكهم به، ودخولهم فيه جماعات جماعات، ما بقي للدعوة حينئذ؟ قال: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ يعني: أن فسبح جواب لقوله ﴿إِذَا جَآءَ﴾، وسبح هذا خاص بالرسول فقط، ففهم أن هذا قرب أجل رسول الله؛ لكونه بلغ الرسالة وأدى الأمانة، لا أنها في مقابل الشكر، وإن كان الشكر متعينًا على كل حال، لكن دلالتها لقرب أجل رسول الله أظهر من دلالتها للشكر في مقابلة النصر ودخول الناس في دين الله أفواجا؛ لأن هذا أمر يخصه وهو التسبيح، والاستغفار، والشكر في مقابلة النعمة التي أنعم الله بها عليه[1].

(١) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٧/ ب).

سورة المسد

قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١].

الكفار الجهال يعرفون من هذه الكلمة وهي كلمة لا إله إلا الله يعرفون منها ما قصده النبي ﷺ من تلك الكلمة: من إفراد الله بالعبادة، والبراءة من عبادة ما سواه؛ فهم فهموا هذا وعلموا المعنى الذي يريده الرسول من هذه الكلمة حين قال لهم: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، تُفْلِحُوا»[١]، قال عمه أبو لهب تبا لك ما جمعتنا إلا لهذا. تبا لك؛ بمعنى خسارة لك وهلاكا لك ما جمعتنا إلا لهذه الكلمة فأنزل الله ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾ [المسد: ١-٥][٢].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: (ح: ١٦٠٢٣) من حديث ربيعة بن عباد الديلي رضي الله عنه.
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (١/أ).

سورة الإخلاص

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

قل هو: مبتدأ. الله: مبتدأ. أحد: خبر المبتدأ الثاني. الجملة من المبتدأ الثاني وخبره: جملة اسمية محلها رفع خبر المبتدأ الأول، أين الرابط؟ تقول: المبتدأ الثاني هو عين المبتدأ الأول الذي هو الله(١).

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

الأحد يعني: الذي لا نظير له ولا مثيل له ولا نديد أو سمي له لا في ذاته ولا أسمائه ولا في صفاته(٢).

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ٢].

قيل الصمد: هو الذي تصمد إليه الخلائق في ملماتها، أو إنهاء مهماتها وفي حوائجها؛ عندما يقع الإنسان في كربة أو يحتاج، التفت إلى خالقه وبارئه فصمد إلى الله؛ بمعنى أنه ينزل حاجته بالله(٣).

قال تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣].

﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لا فرع له. ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ أي: لا أصل. ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ أي: لا نظير له ولا سمي له ولا مثيل له(٤).

---

(١) ينظر: شرح الشيخ لمقدمة الآجرومية: (٩/ ب).
(٢) ينظر: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (٢/ أ).
(٣) ينظر: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (٢/ أ).
(٤) ينظر: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (٢/ أ).

﴿لَمْ يَلِدْ﴾ أي: لا ولد له. ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ أي: ليس له أب ولا أم[(١)].

قال تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣].

لم: حرف جزم ونفي وقلب. يلد: فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه السكون. ولم يولد: الواو: عاطفة، لم: حرف جزم ونفي وقلب. يولد: فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه السكون، والجملة معطوفة على «لم يلد». والفاعل ضمير مستتر جوازا تقديره هو[(٢)].

قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤].

أي: لا نظير له ولا سمي له ولا مثيل له[(٣)].

فإذا شبهته بخلقه فقد جعلته كفوا لخلقه، أي: مثيلا ونظيرا ونديدا لخلقه تعالى[(٤)].

---

(١) **ينظر**: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (٢/أ).

(٢) **ينظر**: تصويب الشيخ لطلابه في شرحه لمقدمة الآجرومية: (٦/أ).

(٣) **ينظر**: شرح الشيخ لكشف الشبهات: (٢/أ).

(٤) **ينظر**: شرح الشيخ لكتاب التوحيد: (٢٧/أ).

سورة الفلق

قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤].

وهن السواحر، الساحرات يأخذن خيطا وينفثن فيه، ثم يعقدن، ثم ينفثن ويعقدن، ثم ينفثن ويعقدن، ثم يؤثر في بدن المسحور بواسطة تقربهم للشياطين، ولهذا أمرك الله بأن تقول: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ [الفلق: ١-٤].

الفهرس

المقدمة ٣
سورة الفاتحة.. ٥
سورة البقرة ٩
سورة آل عمران ٤٢
سورة النساء ٦٠
سورة المائدة ١٠٤
سورة الأنعام ١٢٥
سورة الأعراف ١٤٤
سورة الأنفال ١٥٩
سورة التوبة ١٦٥
سورة يونس ١٩٣
سورة هود ٢٠١
سورة يوسف ٢٠٨
سورة الرعد ٢١٧
سورة إبراهيم.. ٢٢١
سورة الحجر ٢٢٧
سورة النحل.. ٢٣١
سورة الإسراء ٢٤٧

سورة الكهف.. ٢٥٥
سورة مريم ٢٦٠
سورة طه ٢٦٣
سورة الأنبياء.. ٢٧٠
سورة الحج ٢٧٣
سورة المؤمنون ٢٧٩
سورة النور ٢٨٣
سورة الفرقان.. ٢٨٧
سورة الشعراء ٢٩١
سورة النمل ٢٩٤
سورة القصص ٢٩٨
سورة العنكبوت.. ٣٠٥
سورة الروم.. ٣١١
سورة لقمان ٣١٤
سورة السجدة ٣١٦
سورة الأحزاب.. ٣١٧
سورة سبأ ٣٢١
سورة فاطر ٣٣٢
سورة يس ٣٣٦
سورة الصافات.. ٣٣٧

سورة ص ٣٤٠
سورة الزمر...................................... ٣٤٣
سورة غافر ٣٥٠
سورة فصلت.................................... ٣٥٢
سورة الشورى................................... ٣٥٨
سورة الزخرف ٣٦٢
سورة الجاثية ٣٦٧
سورة الأحقاف.................................. ٣٦٨
سورة محمد...................................... ٣٧١
سورة الفتح...................................... ٣٧٢
سورة الحجرات.................................. ٣٧٥
سورة الذاريات.................................. ٣٧٩
سورة الطور ٣٨١
سورة النجم ٣٨٢
سورة القمر..................................... ٣٨٧
سورة الرحمن ٣٩٠
سورة الواقعة ٣٩٢
سورة الحديد.................................... ٣٩٩
سورة المجادلة ٤٠١
سورة الحشر ٤٠٢

سورة الممتحنة.. ٤٠٣
سورة الصف ٤٠٤
سورة الجمعة ٤٠٥
سورة المنافقون ٤٠٧
سورة التغابن ٤٠٩
سورة الطلاق.. ٤١١
سورة التحريم ٤١٥
سورة الملك ٤١٧
سورة القلم.. ٤٢٣
سورة الحاقة ٤٢٤
سورة المعارج.. ٤٢٥
سورة نوح ٤٢٦
سورة الجن.. ٤٢٧
سورة المزمل.. ٤٣٠
سورة المدثر ٤٣١
سورة الإنسان ٤٣٢
سورة النبأ ٤٣٤
سورة عبس.. ٤٣٥
سورة التكوير.. ٤٣٦
سورة الانفطار.. ٤٣٨

سورة الانشقاق ٤٣٩
سورة البروج ٤٤٢
سورة الطارق ٤٤٣
سورة الأعلى ٤٤٤
سورة البلد ٤٤٥
سورة الشرح ٤٤٧
سورة التين ٤٤٨
سورة العلق ٤٤٩
سورة القدر ٤٥٠
سورة البينة ٤٥١
سورة التكاثر ٤٥٧
سورة العصر ٤٥٨
سورة الكوثر ٤٥٩
سورة الكافرون ٤٦١
سورة النصر ٤٦٣
سورة المسد ٤٦٥
سورة الإخلاص ٤٦٦
سورة الفلق ٤٦٨
الفهرس ٤٦٩